

# مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - [jilrc-magazines.com](http://jilrc-magazines.com) - [social@jilrc-magazines.com](mailto:social@jilrc-magazines.com)



ISSN 2311-5181

العام السادس - العدد 57 - أكتوبر 2019



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

### التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

### اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

### مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

### هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. بغداد باي عبد القادر (المركز الجامعي غليزان، الجزائر)
- د. تيقان بويكر (رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر)
- د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
- د. طراد طارق (جامعة خنشلة، الجزائر)
- د. طوال عبد العزيز (جامعة الجلفة، الجزائر)

### رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)

### اللجنة العلمية:

- أ.د. ودان بوغفالة (جامعة مصطفى اسطمبولي، مُعسكر، الجزائر)
- د. أحمد جلول (جامعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر)
- د. بوجليدة حسان (جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر)
- د. بحري صابر (جامعة سطيف 2، الجزائر)
- د. خويلد محمد الأمين (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
- د. شلّالي لخضر (المركز الجامعي آفلو، الأغواط، الجزائر)
- د. علّة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. فكروني زاوي (جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر)
- د. نجوى نايف عبد النبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة غيرسون، تركيا)

### أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

- أ.م. علاء كامل صالح العيساوي (جامعة البصرة، العراق)
- د. إخلص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان)
- د. أميرة سامي محمود حسين (مصر)
- د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر)
- د. بوطي محمد نور الدين (المدرسة العليا للأساتذة، القبة، الجزائر).
- د. حُسام موسى محمد شوشة (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. حسن زربية (جامعة قفصة، تونس)
- د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون)
- د. سلامي خديجة (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. مسعودي طاهر (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. نوري محمد أحمد شقلابو (جامعة الزاوية، ليبيا)

### التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
- د. فادن عدّي (جامعة قسنطينة 1، الجزائر).
- د. فطيمة ديلمي، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ، (الجزائر)

# شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
  - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
  - اسم الباحث ودرجته العلميّة، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
  - البريد الإلكتروني للباحث.
  - ملخّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
  - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
  - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
  - اللغة الأجنبية: نوع الخط ( Times New Roman ) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
  - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

**ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:**

**social@jilrc-magazines.com**

## الفهرس

### الصفحة

6

- 7 • الافتتاحية
- 9 • جوانب من الحياة الاجتماعية في مغرب القرن التاسع عشر من خلال الرحلات الاستكشافية الإسبانية (رحلة أنطونيودي سان مارتين نموذجا) عادل بن محمد جاهل/جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب.
- 29 • قراءة نظرية في مفهوم الإبداع ، قياتي عاشور/جامعة بني سويف، مصر.
- 45 • المنتجات المحلية الطبيعية بالواحات :مقاربة سوسيو-اقتصادية للتمور بواحة درعة الأوسط، محمد اوبها، جامعة الحسن الثاني المحمدية، المغرب.
- 67 • تحسين مستوى المهارات الاجتماعية لدى ذوي صعوبات التعلم، طهراوي ياسين - فقيه العيد/جامعة، تلمسان، الجزائر.
- 79 • آليات إشتغال فلسفة الخواء: "قراءة في كتابه إميل ميشال سيوران" سعدلي سليم/جامعة برج بوعريج، الجزائر.
- 95 • دور الأساليب الحديثة في تدريس الأصوات ومعالجة أخطائها في تطوير المدرسة القرآنية بمدينة نغاونديري وضواحيها، محمد سعودي/جامعة نغاونديري، الكاميرون.
- 111 • مزاج السمنة وعلاجه النباتي في أقوال الأطباء القدماء-قراءة تحليلية في ضوء مستحدثات الكيمياء الحيوية النباتية- شهرزاد بسنوسي - عبد المجيد مباركي/المركز الجامعي صالحى أحمد، النعام، الجزائر.
- 141 • المدن الجديدة والهوية الاجتماعية: (بوسعادة مثلا) هناء كشيدة/جامعة 09 أفريل تونس.

## مقالات باللغة الأجنبية

- 153 • Corporate Governance Impact on Insurance Firm's Performance (The Case of Palestine) Yaser Shaheen - Nasser Jaradat /Palestine Ahliya University.
- 171 • The sciences in middle ages, Bensoula Noureddine /Mascara University Algeria.

## الافتتاحية

باسم الله المولى الأجلّ سبحانه له الحمدُ في الأولى والآخرة، نستفتحُ بالذي هو خير، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

7

لهو من فضل الله أن يصدر العدد السابع والخمسون (57) من مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية في حلّة بهيئة تحمل ألواناً علميةً متنوعةً كلها تقدّم إضافات لمواضيع معتمة في مجال النشر، حيث ضم هذا العدد عشر أبحاث ودراسات متنوعة تخلق فسيفساء متجانسة لمختلف فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية. هذا ويسعدنا في افتتاحية هذا العدد أن نعيد إجزاء الشكر للأساتذة الأجلاء والباحثين الذين عمّرت أقلامهم صفحات العدد ، آمليّن أن تكون كلّ جهود المجلة في خدمة العلم والبحث العلمي .

**والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،**

**رئيس التحرير / د. جمال بلبكي**

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية  
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز  
جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2019**

## جوانب من الحياة الاجتماعية في مغرب القرن التاسع عشر من خلال الرحلات الاستكشافية الإسبانية (رحلة أنطونيو دي سان مارتين نموذجا)

Aspects of social life in nineteenth century Morocco through Spanish expeditions

(Antonio de San Martín's travel as a model)

د. عادل بن محمد جاهل/جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب

Adil Ben Mohammed Jahi/ Ibn Zohr University, Agadir, Morocco

9

ملخص:

تهدف هذه الورقة، إلى تسليط الضوء على جانب من الرحلات الاستكشافية الإسبانية، إلى بلاد المغرب الأقصى، خلال فترة ستينات القرن التاسع عشر الميلادي، من خلال نموذج رحلة الروائي والمستكشف الكاليسي أنطونيو دي سان مارتين (Antonio de San Martín)، وتشتمل هذه الورقة، على مجموعة من المباحث، حاولنا من خلالها، التعريف بهذه الرحلة، وبصاحبها، وسياقها التاريخي، وأهم الأهداف التي جاء من أجلها صاحب الرحلة إلى المغرب، ناهيك عن الصور والانطباعات، التي خلفها الرحالة حول المجال المذكور.

الكلمات المفتاحية: الحياة الاجتماعية، المغرب، القرن التاسع عشر، الرحلات الاستكشافية الإسبانية، أنطونيو دي سان مارتين.

**Abstract:**

The purpose of this paper is to highlight some of the Spanish expeditions to Morocco during the 1860s, through the model of the journey of novelist and explorer Antonio de San Martín. This paper includes a series of Topics; we tried through them, the definition of this journey, its owner, its historical context, not to mention images and impressions, left behind by The Explorer on the area mentioned.

**Keywords:** Social life, Morocco, 19<sup>th</sup> century, Spanish expeditions, Antonio de San Martin.

## مقدمة:

يظهر أن أغلب الرحالين والمستكشفين والعسكريين الإسبان، الذين جابوا مجاهل بلاد المغرب الأقصى، على الأقل منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، كانت المغامرة، وارتياح المجهول، واكتشاف العجيب والغريب، والتنقيب عن الطريف والمدهش، والخروج على المؤلف، والبحث عن الثراء السريع، والرغبة في الحصول على جائزة خاصة، من الغايات الرئيسية، التي دفعتهم إلى التنقل إلى عين المكان، متجشمين عناء السفر في البر والبحر، ومخاطرين بأرواحهم وأجسادهم، أملا منهم في تحقيق بعض المكاسب، المادية والمعنوية والرمزية. وعلى هذا الأساس، وانطلاقا من تلك الدواعي، وصل إلى بلاد المغرب، الذي كان يكتسي في مخيطة الأوروبيين بشكل عام، طابعا غرابيا، جمهرة كبيرة من المغامرين والمدننين الإسبان، الذين ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم، ومنهم أيضا، المستكشفين والرحالين المحترفين، الذين تعوّدوا على الرحلة، وركوب الأمواج، ومنهم رجال الدين، الذين رغبوا في القيام بنشر رسالة المسيح، وتعاليم الإنجيل، ومنهم رجال العلم، حملة الريشة والقلم، الذين استهوتهم الأبحاث عن الغريب في الطبيعة والإنسان. ونجد من بين هؤلاء المستكشفين، أيضا، الضباط العسكريين، الذين عملوا على إعداد معرفة جغرافية، ورصد أحوال المنطقة والسكان، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والبيانات، مهما بدت صغيرة وتافهة، تمهيدا لغزو قد يأتي لا محالة، ومنهم المستكشف بالصدفة، الذي وصل إلى المنطقة، بكيفية أو بأخرى، فاستهوته مجاهل بلاد المغرب، بلاد "العجائب"، و"الغرائب"، و"الخوارق"، و"الإثارة"، فحرّز على إثرها، ارتسامات وخواطر وانطباعات، مرتبطة بالمجال والإنسان المغربي.

علاوة على ما تقدّم، نجد أن أغلب هؤلاء الرحالين والمستكشفين والعسكريين الإسبان، قبل أن تطأ أقدامهم "الإيالة الشريفة"، كوّنوا خلفية تاريخية، وجغرافية، ودينية، أصيلة وعميقة؛ حيث درسوا الثقافة المغربية، بأبعادها المختلفة، بل أكثر من هذا، تعلموا اللهجات المحلية، والعلوم الإسلامية، وعادات السكان المحليين؛ وذلك كله، من أجل تسهيل مأموريتهم، والنجاح في مهمتهم. وانطلاقا من ذلك، تمكّن هؤلاء الرحالين والمستكشفين والعسكريين الإسبان، من جمع كم هائل ومهم من الأخبار، والمعلومات، والبيانات، القيمة، عن الوضعية السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والقبلية، للمغرب، كما كانوا شهود عيان على الكثير من التفاصيل الدقيقة، عن أوضاع هذه البلاد، وجغرافيتها، ومسالكها، وحياة قاطنيها، ومثلهم الأخلاقية، خلال طيلة الشهور والسنوات التي قضوها فيها؛ قصد التقصي والاستخبار، عن جزء مهم واستراتيجي من القارة الإفريقية<sup>1</sup>.

في المقابل، واجه هؤلاء المستكشفين والرحالين والعسكريين الإسبان، أثناء تسللهم للمجال المذكور، أو أثناء إجراءهم لبحوثهم الميدانية فيه، صعوبات، وعراقيل، ومشقات، جمّة، حيث إن بعضهم تعرض للأسر، والإغارة، والسرقعة، والموت، والجوع، والعطش، والتهديدات البشرية، وتباين الألسنة، واختلاف العادات، ومنهم أيضا، من واجه الحرارة المفرطة، والمرض، والأوبئة، وآلام الغربة، وعدم وضوح معالم الطريق. وكيفما كان الحال، ورغم الصعوبات، والمشاق، والعقبات، الطبيعية والسوسيو ثقافية، الكثيرة والمتنوعة، التي اعترضت هؤلاء الرحالين، والجوالين، والمستكشفين الإسبان، أثناء تسللهم للمجال المذكور، أو أثناء أبحاثهم وتحرياتهم الميدانية فيه، إلا أنهم تمكّنوا جميعهم، من تقديم مادة معرفية أولية، عمّا شاهدوه، وسمعوه، وعانوه، عن شؤون وأوضاع هذه البلاد الإفريقية المجهولة، وغير المعروفة لديهم، سكانا، وقبائل، وشيوخا، خاصة وأن هذا

<sup>1</sup> عادل بن محمد جاهل، "البحث الكولونيالي الإسباني حول مجتمع إفريقيا (الصحراء الأطلنتية نموذجاً): محاولة في التعريف والتركيب"، ضمن مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة، تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، طرابلس، لبنان، العدد 51، مارس 2019، (صص.65-84)، ص.67.

المجال، يُعتبر من المجالات التي لم يتيسر للرواد والمستكشفين الإسبان الأوائل، زيارتها ومعرفة تفاصيل أحوالها وشؤونها عن قرب.

وتُعتبر رحلة "مدينة النعاس: رحلة إلى داخل المغرب" (la Ciudad del Sueño: Viaje al Interior de Marruecos)، للروائي والمستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين (Antonio de San Martín)، من بين أوائل الشواهد المصدرية التاريخية الإسبانية، التي أرخت للمغرب والمغاربة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، خاصة لما لهذه المرحلة من أهمية قصوى، من الناحية التاريخية والاجتماعية والسياسية، حيث تميزت بتسارع الأحداث، وتلاحق الوقائع، إضافة إلى ما كان لها من تأثير كبير في توجيه تاريخ المغرب المعاصر، وإحداث تحولات كان لها وقعا عميقا في بنياته العتيقة، سواء من الناحية السياسية، أو العسكرية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الدينية، وحتى الثقافية، والفكرية.

وهكذا، تضمنت الرحلة السالفة الذكر، معلومات، ومعطيات، وإيماءات، نفيضة وكثيفة، عن الأحوال الاجتماعية، والحياة اليومية، والعادات، والتقاليد، والاحتفالات، في مغرب القرن التاسع عشر الميلادي، وهي بيانات، تُعتبر بحق، نادرة، وقيمة، ومثيرة، وقلما تلتفت إليها المصادر والكتابات المحلية التقليدية، المكتوبة باللغة العربية، والتميز بالشرح والابتسار، على صعيد عناصرها الإخبارية، حيث نجدها لا تهتم إلا بما هو سياسي، وعسكري، وما ارتبط بالأمر، والسلالات الحاكمة، ومآثر الأمراء، والسلطين، والأعيان، أما ما تعلق بالمجتمع وعناصره المختلفة، فمن النادر ما نجدها تعطي إفادات مهمة حوله، إذ جعلته قطعة من التاريخ "المسكوت عنه"، حيث لا تقدم إلا إشارات مقتضبة، وضحلة، ومبعثرة، وعابرة، ومتضاربة، يتواتر فيها الوضوح أحيانا، والغموض والإبهام أحيانا أخرى. وهكذا، لا تمكن هذه البيانات الدارس مُطلقا، من إمالة اللثام عن معظم ثوابت المجتمع ومتغيراته، كما أنها لا تسمح له بأن يغوص في أعماق الواقع الاجتماعي للمجال المذكور، بكيفية عميقة وأصيلة، وحتى إذا ما قُدمت هذه الكتابات المحلية الكلاسيكية، بيانات ومعلومات حول المجتمع وسواد الشعب، فإننا نجدها فقط تُقدم إفادات قليلة، وتلميحات خجولة، وشذرات موجزة، متناثرة هنا وهناك، سقطت سهوا من أقلام مؤلفيها؛ لأن أصحابها اعتادوا التأريخ للخاصة، من دون إيلاء العامة ما تستحق، من حيث أدوارها وأهميتها في تطور مجريات الأحداث والوقائع التاريخية.

ومما ينبغي لفت النظر إليه بهذا الشأن، هو أن المستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، درس، وبإسهاب، كل ما له علاقة مباشرة بالمجتمع المغربي، من أبسط الأشياء إلى أعمقها دلالة، كما أنه أرخ لمنسي التاريخ، ولن لا تاريخ لهم، من بؤساء، وبسطاء، ومستضعفين، ومهزومين، ومهمشين، وغيرهم، الشيء الذي جعل من رحلته المذكورة، مجال "التاريخ اللامفكر فيه"، أو مجال "التاريخ المنسي"، وهكذا أفرز لنا هذا المصنف الرحلي الإسباني المتميز، منتوجا علميا، بالمعنى والكلمة، جدير بالاهتمام والقراءة، وما أحسب أننا أعطينا حقه من البحث والدراسة، حيث ظل هذا التراث العلمي لحقبة طويلة، مغمورا، خامل الذكر، بعيدا عن كل إشارة؛ لأسباب مختلفة ومتعددة، منها: النظرة السلبية للإنتاج الكولونيالي، الذي يُوصف في الغالب الأعم، وإلى عهد قريب، بأنه تحصيل حاصل، لا يقدم ولا يؤخر، أو أداة للهيمنة والسيادة على الآخرين، أو لأنه مرتبط بالسلطة الاستعمارية، إضافة إلى مشكل اللغة، ثم صعوبة الوصول إلى هذه النوعية من المصادر النفيسة، التي تبقى في المجمل حبيسة رفوف الخزانات والريائد الأجنبية.

إذن، ما هي الصور التي رسمها الروائي والمستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين عن المغرب والمغاربة؟ وإلى أي حد تمكن من تشخيص الواقع الاجتماعي للمجال المذكور، في فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي؟

هذه الأسئلة، وما سواها، هي التي سنحاول البحث عن أجوبة لها، في قادم سطور هذا العرض.

أولاً: التعريف بالمستكشف أنطونيو دي سان مارتين ورحلته المغربية

1: من هو أنطونيو دي سان مارتين؟

أول ما يجدر الانتباه إليه، بهذا الصدد، أن المصادر والشواهد التاريخية، لا تمدنا إلا بالزر اليسير فيما يتصل بجوانب من بيوغرافية صاحب هذه الرحلة الاستكشافية وحياته، ومع ذلك، يمكن أن نستمد من تلك المعطيات القليلة والشحيحة، والمتناثرة هنا وهناك، في بعض المؤلفات الأجنبية، وبصفة خاصة في كتابات الرحالة نفسه، بعضاً من تفاصيل شخصيته العلمية والاجتماعية والثقافية. وهكذا، فأنطونيو دي سان مارتين، كما ورد في رحلته الاستكشافية المغربية، هو من مواليد مدينة لا كورونيا (la Coruña)<sup>1</sup>، عاصمة منطقة غاليسيا (Galicia)، الواقعة في شمال غرب إسبانيا، بتاريخ 13 يونيو 1841م، هو روائي وشاعر ومستكشف إسباني، ينتمي إلى عائلة متوسطة الحال<sup>2</sup>، ويظهر من خلال إشارات عدة، أن صاحب الرحلة، كان مغروماً ومفتوناً، بالسفر والمغامرة، وبالاعتراب وشد الرحال، حيث يقول في هذا الجانب: "كنت قبل بضع سنوات، موجوداً في لا كورونيا، المدينة التي ولدت فيها، وكنت حينئذ لا أزال شاباً يافعاً، ورغبتي في السفر، ورؤية العالم، جعلتني قلقاً للغاية، ولم تسمح لي بالاستمتاع بهدوء وملذات شبابي"<sup>3</sup>. هذا الشغف بالسفر والمغامرة، كان يحده، ويكبح جماحه، عائقاً وحيداً، هو ضعف الإمكانيات المادية لعائلة أنطونيو دي سان مارتين، في هذا الصدد، يقول: "عائلتي كانت لديها القليل من وسائل الثروة، ولم تستطع إشباع رغبتى المتحمسة للسفر عبر أرجاء أوروبا"<sup>4</sup>. ويضيف بأن عائلته رغم فقرها وظروفها المادية، الصعبة والمزرية، كانت ترسله بانتظام في رحلات صغيرة إلى بعض "البلدات الخلابه"<sup>5</sup> كما يسميها، بيد أنه وكما يقول تزيده تلك الرحلات، ظمأ ورغبة في اكتشاف عوالم ومجالات أخرى مجهولة<sup>6</sup>. وهكذا، كان يتغلب على تلك الرغبة الجامحة والملحة في السفر والاستكشاف، بقراءة كتب الرحلات والمغامرات، لكن تلك القراءات رغم فوائدها ومتعتها الكبيرة، إلا أنها كانت، بكيفية أو بأخرى، تلهب النار في داخله، وتزيده سعيراً، ورغبة في السفر، واكتشاف العوالم والأقطار، الغريبة والمجهولة والمغلقة<sup>7</sup>.

بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه أعلاه، فإن أنطونيو دي سان مارتين، ستعرف حياته تغييراً جذرياً، بعد أن قام أحد أصدقاء طفولته، والذي يشتغل والده في منصب سام بالدولة الإسبانية، حيث كان وزير دولة، بالتوسط له من أجل إيجاد عمل له، وهكذا وجد له وظيفة توازي حجمه وكفاءته، حيث كانت هذه الوظيفة، تتمثل في القيام برحلة استكشافية استخباراتية إلى بلاد المغرب<sup>8</sup>، وحتى نستشف مضمون هذه الوظيفة بشكل دقيق، نستمع إلى الرسالة التي أرسلها النائب في الكورطيس (Cortes) أي البرلمان الإسباني، الدون مانويل كالديرون (Manuel Calderón)، حيث يقول: "قم بتنفيذ المهمة الموكلة إليك، وكن على يقين أن كفاءتك سترتقي بك يوماً ما، عاجلاً أو آجلاً، إلى تحقيق مسار مهني لامع، إن البلد الذي ستعيش فيه،

1- Antonio de San Martín, *la Ciudad del Sueño: Viaje al Interior de Marruecos*, Imprenta de Santos Larié, Editor Urbano Manini, Madrid, 1870, p.5.

2- Ibidem.

3- Ibidem.

4- Ibidem.

5- Ibidem.

6- Ibidem.

7- Ibid., p.6.

8- Ibidem.

على الرغم من قربيه من إسبانيا، فإنه غير معروف تقريبا. ادرس بعناية عاداتهم، واحرص على نيل رضى رؤسائك، وفي لحظات الترفيه والفراغ، دوّن كتابا يتيح لنا معرفة أسرار تلك الأرض غير المكتشفة والمجهولة تقريبا<sup>1</sup>.

كانت فرحة أنطونيو دي سان مارتين، بهذه المهمة الجديدة، كبيرة جدا، في هذا الإطار، يقول: "كنت متحمسا وسعيدا للغاية وكدت أجنُّ بهذه الرحلة غير المتوقعة، التي جاءت لتحقيق أمنياتي ورغباتي، ولا شيء من هذا العالم، كان يمكنه أن يجعلني أتخلى عن أهدافي ونواياي"<sup>2</sup>، بيد أن هذه السعادة، وهذه الفرحة العارمة بهذه المهمة، سرعان ما تحولت إلى حزن ونكد وألم، خاصة بعد أن رفض والديه وأصدقائه سفره إلى بلاد المغرب، يقول في هذا السياق: "حاول والدي وبعض الأشخاص الذين كانت لهم نوعا من السلطة عليّ، إقناعي بالامتناع عن عزمي وأهدافي، بيد أن كل مجهوداتهم كانت بلا جدوى، فقد كنت متحمسا وسعيدا بهذه الرحلة"<sup>3</sup>، وهكذا "قمت بالاستعداد لسفري مع أقصى درجات الفرح والسعادة وإثارة محبومة، في حين أن والدي المسن، وأختي العزيزة، وأقاربي برمتهم، وبعض أصدقائي المقربين، كانوا جد أسفين لهذا الرحيل غير المتوقع"<sup>4</sup>.

في نفس المنحى، يرى أنطونيو دي سان مارتين، أن السبب الأول والأخير، الذي جعل عائلته وأصدقائه، لا يرغبون في سفره إلى بلاد المغرب، هو "أن المغاربة الذين انتصرت عليهم [إسبانيا] منذ فترة قصيرة، لا بد أن يحتفظوا في قلوبهم بضغينة إفريقية ضد كل ما ينشأ أو يصدر عن إسبانيا"<sup>5</sup>، ويضيف قائلا: "سيقتلونك بغثة في يوم من الأيام، هكذا صاح والدي والدموع في عينيه، إن الجيش [الإسباني] الذي احتل مدينة تطوان قد غادرها بالفعل، ولم يعد هناك أي جندي من جنودنا في كل بلاد البربر. ماذا سيقع للإسبان التعساء الذين يعيشون منذ تلك اللحظات إلى الآن، في تلك البلاد النصف المتوحشة؟ سيملكون! سيملكون! لا ريب في ذلك، ضحايا ضغائن وأحقاد الجنس البشري المتأججة، اليوم أكثر من أي وقت مضى، من خلال الحملة [العسكرية الإسبانية] المجيدة التي انتهت بخير لحسن الحظ"<sup>6</sup>. ثم يضيف قائلا على لسان والده: "آه لو أن والدتك مازالت حية، فأنا متأكد من أنها ستصل بدموعها وتوسلاتها إلى ما لا أستطيع تحقيقه بملاحظات المتكررة"<sup>7</sup>، ويُخبرنا المستكشف أنطونيو دي سان مارتين، أن كلمات وتعابير والده الحزينة، السالفة الذكر، قد سببت له قلقا عظيما، بل ونوعا من الندم، لدرجة أنه اعتقد بأنه كان مخطئا، بيد أن رغباته وولعه الشديد بالسفر والمغامرة، كان أكثر قوة وعمقا من عاطفة البنوة لديه، الشيء الذي جعله لا ينصاع إلى رغبة والده في عدم السفر إلى بلاد المغرب، الذي وصفه ببلاد "التوحش" و"المتوحشين"<sup>8</sup>.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان أنطونيو دي سان مارتين، غزير التأليف والإنتاج، خاصة على المستوى الكتابي الروائية؛ إذ دوّن حوالي 200 رواية، ذات البعد التاريخي، مجملها نشرت على شكل حلقات مسترسلة، في أبرز الصحف والمجلات الإسبانية، المعروفة وقتذاك في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من غزارة إنتاج أنطونيو دي سان مارتين، الرجل الوطني والتقدمي، إلا أن كتابه رحلة "مدينة النعاس: رحلة إلى داخل المغرب"، الذي هو موضوع هذا العرض، يظل أبرز

1- Ibid., pp.6-7.

2- Ibid., p.7.

3- Ibidem.

4- Ibidem.

5- Ibid., p.8.

6- Ibid., pp.8-9.

7- Ibid., p.9.

8- Ibidem.

كتاب أنجزه ودوّنه الرحالة الأنف الذكر، ولا تكمن قيمة وأهمية هذا الكتاب، من حيث ما يزخر به من انطباعات ومشاهد وبيانات حول بلاد المغرب، فحسب، بل وإنما من خلال ما يزخر به من رؤية الآخر الأجنبي، البعيد عن الصراعات والتناحرات القبلية، المستشرية عصرئذ في مختلف الربوع والجهات المغربية.

توفي الروائي والمستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، في مدينة لا كورونيا (la Coruña)، يوم 4 غشت 1887م، وذلك عن عمر لا يتجاوز 46 سنة، توفي في أوج عطائه العلمي والاستكشافي، مخلفا وراءه أعمالا تاريخية وروائية، كثيرة ومتنوعة، والتي تميزت بدقة التصنيف، وسعة الاطلاع، وتفتح في النظر، وحصافة في الرأي.

## 2: السياق التاريخي لرحلة أنطونيو دي سان مارتين المغربية

جرت أحداث هذه الرحلة الاستكشافية، لصاحبها أنطونيو دي سان مارتين سنة 1863م، أي مباشرة بعد هزيمة المغرب أمام إسبانيا سنة (1859م-1860م) في "وقعة تطوان"، المعروفة في الإسطوغرافيا الإسبانية بـ "الحرب الإفريقية" (la Guerra de Africa)، وهي فترة تاريخية، تميزت بكثرة الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية، وما يميز هذه الظرفية التاريخية، أكثر، هو تزايد واشتداد مظاهر التوتر والصراع في العلاقات المغربية الأوروبية بصفة عامة، والإسبانية على وجه الخصوص، وقد شهد المغرب خلال هذه المرحلة الحرجة من تاريخه، مجموعة من الضغوطات والتناقضات، مست مختلف الميادين والمجالات الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والديبلوماسية.

ويمكن إجمال هذه الضغوطات<sup>1</sup>، المتنوعة المقاصد والأهداف، في عواقب معركة إيسلي سنة 1844م، ومعاهدة للامغنية سنة 1845م، وما ترتب عليها من إجحاف وتقزيم لحدود المغرب الشرقية والجنوبية، ثم هناك المعاهدة التجارية التي وقعها المغرب مع بريطانيا سنة 1856م، وما حملته من استغلال فاحش لخيرات المغرب، هذا بالإضافة إلى الحرب التي فرضتها إسبانيا على المغرب سنة 1859م-1860م، وما صاحبها من تعنت إسباني أثناء التوقيع على معاهدة الصلح في 26 أبريل 1860م؛ التي التزم فيها المغرب بدفع غرامة مالية باهظة بقيمة 100 مليون بسيطة، كتعويض عن الخسائر التي زعمت إسبانيا أنها لحقت بمناطق نفوذها بالمغرب<sup>2</sup>، هذا بالإضافة إلى توقيع المغرب يوم 16 غشت 1863م، تحت تهديد الأسطول الفرنسي بقنبلة الموانئ والمدن المغربية، معاهدة تجارية عرفت في الأدبيات التاريخية المغربية بـ "وفق بيكلار" (Béaclard)، والتي من خلالها رسخت فرنسا تواجدها في التراب المغربي.

## 3: أهداف رحلة أنطونيو دي سان مارتين المغربية

نستطيع القول، من خلال ما توافر لدينا من معلومات وبيانات، إن رحلة أنطونيو دي سان مارتين الاستكشافية إلى بلاد المغرب، كانت لها ثلاثة أهداف رئيسة و متميزة، وهي:

○ الهدف الأول: نكتشفه وعلى لسان النائب في الكورتيس (Cortes) أي البرلمان الإسباني الدون مانويل كالديرون (Manuel Calderón)، حيث يقول: "أدرس بعناية عاداتهم، واحرص على نيل رضى رؤسائك، وفي لحظات الترفيه والفراغ، دَوِّن كتابا يُتيح لنا معرفة أسرار تلك الأرض غير المكتشفة والمجهولة تقريبا"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- انظر: نور الدين بلحداد، السلطان مولاي الحسن الأول والسيادة المغربية على الأقاليم الجنوبية 1873-1894م، تقديم مصطفى الكثيري، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، الطبعة الثانية، 2016، صص.12-

13.

<sup>2</sup>- Antonio de San Martín, *la Ciudad del Sueño...*, op.cit., p.7.

<sup>3</sup>- Ibid., pp.6-7.

○ الهدف الثاني: فيتجلى في المشاركة ضمن البعثة السّفرية الإسبانية، التي ترأسها الدون فرانسيسكو ميري إي كولون (Francisco Merry y Colón)، الوزير المفوض للمملكة الإسبانية بمدينة طنجة، التي كانت تهدف إلى لقاء السلطان المغربي المولى محمد بن عبد الرحمن، لأجل التباحث في القضايا المشتركة التي تهم البلدين<sup>1</sup>.

○ الهدف الثالث: فيتمثل في المشاركة ضمن الوفد الإسباني، المكلف باستخلاص المداخيل الجمركية بالموانئ المغربية، تطبيقاً لبنود معاهدة 26 أبريل 1860م، التي تنص إحداها على تعويض المخزن المغربي لإسبانيا خسائر الحرب، والتي قدرتها بحوالي 20 مليون من الريالات الذهبية، مقابل الخروج من مدينة تطوان، وقد أنيطت بالمستكشف أنطونيو دي سان مارتين، تحصيل هذه المداخيل الجمركية في الجهة الشمالية للمغرب، وتحديدًا بمدينة العرائش<sup>2</sup>.

#### 4: مسار رحلة أنطونيو دي سان مارتين المغربية

كانت انطلاقة رحلة أنطونيو دي سان مارتين الاستكشافية إلى بلاد المغرب في سنة 1863م، وهكذا قصد في طريق الذهاب المدن والمحطات التالية: لا كورونيا (la Coruña)، قادس (Cádiz)، كازيل (Carril)، بيبغو (Vigo)، لشبونة (Lisboa)، جبل طارق (Gibraltar)، طريف (Tarifa)، سبتة (Ceuta)، طنجة (Tánger)، العرائش (Larache)، بادية القصر الكبير (Alcazarquivir)، أصيلة (Ávila)، الريف (Rif)، موغادور (Mogador)، حاحا (Haha)، الشياظمة (Schiedma)، مراكش (Marrakech).

ولعل ما يلاحظ، في هذا الصدد، أن المستكشف والرحالة أنطونيو دي سان مارتين، قد زار مجمل حواضر وبوادي بلاد المغرب، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، في إقبال نادر، ورغبة جامحة، واندفاع غريب، أما غايته الرئيسية من وراء كل هذا، فتتجلى أساساً في القيام بمسح شامل للمجال الجغرافي المغربي، من حيث البنية، والتضاريس، والمناخ، والمجتمع، إضافة إلى دراسة الإمكانيات الاقتصادية، التي يتوفر عليها المجال المذكور، تمهيداً لاحتلاله، فجاءت رحلته الاستكشافية الاستعلامية، محتوية على بيانات وفيرة، ذات أهمية بالغة، تعتبر بحق، منجماً غنياً، ومنبعاً ثراً، زاخراً بالأخبار، والطرائف، والعجائب، والغرائب، يندر العثور على مثيلاتها في المصادر التاريخية والجغرافية الأخرى، التي تطرقت إلى تاريخ المغرب وحضارته.

#### 5: رحلة أنطونيو دي سان مارتين المغربية: (قراءة في قيمتها العلمية، ومكانتها التاريخية)

لا مشاحة في أن رحلة "مدينة النعاس: رحلة إلى داخل المغرب"، لمؤلفها أنطونيو دي سان مارتين، تعتبر بحق من أهم الكتابات الرحلية الأجنبية، التي أرخت بدقة متناهية لأوضاع المغرب الاجتماعية، وتحديدًا في فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وهكذا أسهمت هذه الرحلة الاستكشافية الاثنوغرافية، بجلاء، في بلورة ومعالجة قضايا وموضوعات تاريخية واجتماعية وأثنوبولوجية، جد نادرة، بل ومثيرة، لم تكن البتة تلتفت إليها الكتابات المحلية الكلاسيكية أو تعبرها اهتماماً. وإنصافاً منا، نقر جازمين بأن هذه النوعية من البيانات والمعطيات، ذات الطبيعة الاجتماعية والأثنوبولوجية، لم تكن نعتقد أو نتصور إطلاقاً أن تلتفت إليها هذه الرحلة الاستكشافية الإسبانية، أو بالأحرى أن تكشف عن الكثير من التفاصيل والجزئيات حولها؛ حيث درس صاحب الرحلة وبشكل دقيق ومسهب، الحياة اليومية والمعيشية للمغاربة أو "الموروس" (Moros) أو "المروك" (el Marroc)، كما يسميهم، مثل: (اللباس، والسكن، والاستهلاك)، كما عمل على وصف (أشكال المعاش، والعادات، والتقاليد، والفنون، والفلكلور، والمعتقدات، والطقوس، والمتخيل)، إضافة إلى ظواهر اجتماعية أخرى، متنوعة، مثل: (الرق، والحراية، والجنس، والشعوذة، والسحر، واليهو، والجريمة، والدين، والعنف، والتمثلات، والذهنيات، وسلوك السكان المحليين، وعناصر الثقافة المادية، واللامادية).

<sup>1</sup>- Ibid., pp.113-118.

<sup>2</sup>- Ibid., p.8.

وهكذا، حاول الرحالة والمستكشف الإسباني الشاب أنطونيو دي سان مارتين، أن يدرس هذا المجتمع المغربي بالحفر في قعره العميق، من أجل تكوين مادة معرفية دقيقة وواضحة، لدوائر الحركة الاستعمارية الإسبانية، وهو المجال، الذي وصفه بـ "المجهول"، و"الغرائبي"، و"المغلق". بيد أن أهم ما يميّز هذا المصنف الرحلي الإسباني عن غيره، هو أنه عبارة عن تحريات وأبحاث ميدانية مباشرة ومكثفة، وفي عين المكان، كما استغل أيضا مجمل الروايات الشفهية المتواترة، ممّن لهم خبرة وتجربة بالمجال والإنسان المغربي، أجنب كانوا أم من الأهالي. وما ساعد الرحالة السابق الذكر، كثيرا، في مهمته الاستكشافية الاستخباراتية، هي وظيفته الحكومية، المتمثلة في تحصيل مداخيل الجمارك بمدينة العرائش<sup>1</sup>، في إطار تطبيق بنود معاهدة صلح تطوان، المعروفة في الأدبيات التاريخية الإسبانية، بـ "معاهدة واد راس" (el Tratado de Wad-Ras)، والموقعة في 26 أبريل 1860 م، ثم أيضا مشاركته في 10 ماي 1863 م، عضوا ضمن البعثة الدبلوماسية الإسبانية تحت قيادة الوزير والدبلوماسي الدون فرانسيسكو ميري إي كولون (Francisco Merry y Colón)، والمكلفة بأمر من الملكة الإسبانية إيزابيل الثانية (Isabel II) بمقابلة السلطان المغربي المولى محمد بن عبد الرحمن<sup>2</sup>. هذا إضافة إلى إقامته في المغرب، لمدة تربو عن 6 سنوات ونيف<sup>3</sup>، كل هذا مكّنه من التنقل وزيارة مدن مغربية عديدة ومختلفة، سواء الواقعة في المنطقة الشمالية، أو الواقعة في المنطقة الجنوبية، وعلى إثر كل هذا، استجمع معلومات وارتسامات، دقيقة وثمينة، عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والدينية للبلاد المغربية، الشيء الذي جعل من رحلته المذكورة، عبارة عن تسجيلات وثائقية، تصوّر بدقة متناهية ما يثير الملاحظة حقا، بحيث قلّمنا نجد لها نظيرا في باقي المصادر التي أرخت للمغرب والمغاربة، في ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر، سواء المحلية منها أو الأجنبية.

هناك نقطة مهمة أخرى، يتوجب التوقف عندها، والإشارة إليها، هي أنه ورغم المشاكل التي تطرحها هذه النوعية من الكتابات الأجنبية، من حيث موضوعيتها، وأحكامها المسبقة والتعسفية، وخطاباتها المليئة بالتناقضات، والتمثلات والمواقف الخاطئة، ناهيك عن مبالغتها في الأوصاف، والشطط في الأحكام، والكلمات والتعابير النابية والجارحة، والتي تتكرر في غير موضع، والتي لا تعكس على الإطلاق حقيقة الأمور، والتي أيضا لا ترتبط ارتباطا عضويا مع الواقع التاريخي والاجتماعي المغربي، كما أن هذه الكتابات الأجنبية، وفي أحيان كثيرة، نجدها قد غابت الحقائق عنها، أو غيّبتها عن عمد أو قصور، لدواعي امبريالية مكشوفة، أملت الظرفية والمرجعية الاستعمارية، الشيء الذي جعلها تسقط في الكثير من التناقضات والمزالق العلمية، إضافة إلى تكريسها تلك النظرة الاستعمارية النمطية المتحاملة، المبنية على التفوق الغربي، وعلى هيمنت الحضارة الغربية الرأسمالية، وكل ذلك، من أجل خدمة أجندة "الاحتلال" و"الاستغلال"، حيث صوّرت الساكنة المحلية، كأجناس متوحشة وهمجية تارة، ومتخلفة ورجعية تارة أخرى، تعيش خارج نطاق التاريخ، وتفتقد إلى الحضارة والمدنية. وبالتالي، وجب إخراجها من عتمة البدائية إلى دائرة ضوء الحضارة الأوروبية المتقدمة<sup>4</sup>.

صحيح، أن كل هذه الأحكام، وهذه الخطابات التعسفية، وغير الموضوعية، التي تطرحها الانتاجات المعرفية الكولونيالية، قد أبعدت مجمل الكتاب الأجنب عن مقاصد التدوين، التزيه والموضوعي، وصحيح أيضا أن هؤلاء الكتاب كان "مهمم الوحيد وهدفهم الأكيد ليس دراسة البلاد وأهلها من أجل المعرفة، بل الاهتداء والتمكن من الحصول على ثروات البلاد واستغلال

<sup>1</sup>- Ibid., p.8.

<sup>2</sup>- Ibid., pp.113-118.

<sup>3</sup>- Ibid., p.247.

<sup>4</sup>- عادل بن محمد جاهل، "حاضرة تنبكت في نهاية القرن التاسع عشر من خلال الكتابات الفرنسية (مونوغرافية الأب أوغوستان بروسير هاكار نموذجاً)"، ضمن مجلة تنوير للبحوث الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة، تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي أفلو، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، العدد 10، يونيو 2019، (صص.12-40)، ص.18.

خيراتها وسلمها سيادتها<sup>1</sup>، وهو الشيء الذي حصل فعلا، بيد أنه في المقابل، لا يجب أن ننكر قيمة وأهمية هذه الكتابات التاريخية الأجنبية؛ حيث تتضمن وبحق، إفادات وإيماءات، بإمكانها أن تساعدنا لا محالة في تعميق المعرفة التاريخية والاجتماعية حول المجتمع المغربي، وأيضا في ملامسة قضايا بحثية، جديدة ومتنوعة. وفي اقتحام زوايا تاريخية واجتماعية، معتمة ومضمرة، خاصة إذا قرئت تلك الكتابات، بطريقة علمية رصينة ومتزنة، وبعبدة عن أي خلفية وسلطة إيديولوجية.

وبالجملة، فإن الكتابات الأجنبية "لا تخلو من الفوائد ولا غنى للمؤرخ المغربي عنها (...) وللكتابات الكولونيالية فضل واضح، لا يمكن أن يجحده إلا جاهل غبي"<sup>2</sup>، وبناء عليه، يجب أن نُخرج هذه الكتابات الأجنبية الإسبانية من ركام النسيان، وإزالة الحيف الذي لحقها من قبل المؤرخين والدارسين، على اختلاف تخصصاتهم العلمية والمعرفية؛ من أجل الاستفادة مما تزخر به تلك الكتابات، من ارتسامات وإيماءات، تبقى في المجمل نادرة ونفيسة، بل ومثيرة.

ثانيا: جوانب من الحياة الاجتماعية في مغرب القرن التاسع عشر من خلال الرحلة المغربية لأنطونيو دي سان مارتين

يحفل نص رحلة "مدينة النعاس: رحلة إلى داخل المغرب"، للروائي والمستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، بمعطيات عديدة، وبيانات متنوعة، حول مختلف العوائد الاجتماعية، التي كانت منتشرة في مختلف الربوع المغربية، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، كما يحفل النص أيضا، بمعلومات وإيماءات، جد نادرة وثمينة، حول مجمل الظواهر الاجتماعية التي كانت متفشية في المجتمع المغربي، إبان منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، مثل: (شرب الخمر، وشرب الدخان، وتفشي ظواهر السحر، والشعوذة، والجهل، وانتشار جرائم القتل، وتفشي ظاهرة اللصوصية، والعنف، وقطع الطريق، وانتشار العلاقات الجنسية غير الشرعية)، وما سواها من الظواهر والقضايا الاجتماعية المثيرة، والمسكوت عنها، وما زاد من قيمة وجودة المعلومات التي اختزنها رحالتنا في ذاكرته، ودونها في مؤلفه، كونها معطيات ميدانية، مستقاة من عين المكان، الشيء الذي جعلها تتميز ببعده توثيقي هام، وهو ما يجعلنا نطمئن إلى نتائجها، ودقتها، وصدقها.

### 1: العادات الاجتماعية، والاحتفالات الشعبية

#### أ: حفلات الزفاف

اهتم الروائي والمستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، أثناء تجواله في حواضر وبوادي المغرب، كسابقه من الرحالين والمغامرين الأوروبيين، بتدوين كل البيانات والتفاصيل المثيرة، المتعلقة بموضوع الزواج وطرق الاحتفال به عند عموم المغاربة، وفي هذا الصدد، يذكر أنه في إحدى الليالي وهو جالس عند عتبة منزله، برفقة حارسه الشخصي المغربي المدعو "الفروج" (el farrux)، سمعا من مسافة بعيدة صوت آلة المزمار المغربي<sup>3</sup>، ويُضيف "سأل[ت] [الفروج] ما هذا؟ أجابني برزاقته المعتادة، إنه حفل زفاف. وبالفعل، وبعد وقت قصير، ظهر موكب زفاف كبير في الشارع الذي يوجد فيه منزلي"<sup>4</sup>. وحسب رحالتنا، يسود في وسط الأوروبيين اعتقاد خاطئ، منتشر بشكل كبير وواسع، مفاده أن المغاربة يتزوجون من دون أن تكون لديهم أدنى

<sup>1</sup>- مصطفى الشابي، "أهمية المصادر الدفينة في كتابة تاريخ المغرب"، ضمن كتاب جماعي بعنوان: النهضة والتراكم: دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية مهداة للأستاذ محمد المنوني، تقديم السعيد بنسعيد، دار توبقال، الدار البيضاء سلسلة المعرفة التاريخية، الطبعة الأولى، 1986، ص.347.

<sup>2</sup>- إبراهيم بوطالب، "البحث الكولونيالي حول المجتمع المغربي في الفترة الاستعمارية: حصيلة وتقويم"، ضمن ندوة بعنوان: البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، إشراف محمد المنصور، ومحمد كنيب، وعبد الأحد السبتي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، الطبعة الأولى، 1989، صص.138-139.

<sup>3</sup>- Antonio de San Martín, *la Ciudad del Sueño...*, op.cit., p.63.

<sup>4</sup>- Ibidem.

معرفة بزواجهم، والحقيقة نجد العكس على لسان رحالتنا السالف الذكر، في هذا الجانب يقول: "إن هذا ليس صحيحا، حينما يرغب المورو [أي المغربي] في الزواج، فإنه يكون على علم من هم أصدقائه، الذين لديهم بنات أو أخوات في عمر الزواج. ومن تم يختار واحدة التي يبدو له أن لديها مهرا كبيرا، أو تملك صفات جيدة وحميدة، ولا يعدم البتة وجود أمة، تقوم إلى جانب توفير كم مهم من الأخبار عن سيّدتها للخاطب، بتوفير فرصة له لرؤية وجه المرأة التي اختارها زوجة له [وهكذا] تكشف [تلك الزوجة المستقبلية] في زقاق ضيق وجهها المليء بالحيوية، وحمرة لطيفة، ورغبة في الإرضاء"<sup>1</sup>، وإذا رضي الخاطب بمخطوبته خلال ذلك الاختبار السريع، فإنه يطلب يد الفتاة من والديها، أو من يتصرفون على هذا النحو، ويرسل لهم هدية تتناسب مع وضعيتهم الاجتماعية ومكانتهم الاقتصادية، وبعد هذه الخطوة التي تعتبر الأولى، وبعد أن يتم قبول طلبه من أبويها، يقومون بكتابة عقد النكاح أمام القاضي، وهذا العقد المكتوب ينص على الصداق الذي ستأخذه تلك العروس، وأيضا على المبلغ الذي يجب على الزوج أن يدفعه في حال إذا ما أعاد العروس إلى أبويها، وهو الأمر الذي يحدث في أحيان كثيرة جدا<sup>2</sup>.

وفي ذات الاتجاه، يُشير الرحالة أنطونيو دي سان مارتين، إلى أن موكب العرس المغربي عادة ما كان يحدث أثناء عبوره أي شارع أو زقاق، ضجيجا عظيما، وفوضى كبيرة، وبصفته شاهد عيان يصف لنا الرحالة الأنف الذكر، جانبا من مواكب الأعراس ومراسيمها في المنطقة الشمالية للمغرب، في أوائل ستينات القرن التاسع عشر الميلادي، في هذا الإطار يُخبرنا أن موكب العرس الذي شاهده وهو يمر من أمام منزله بمدينة العرائش، كان يتكون من حوالي عشرين أو ثلاثين مغربيا، بعضهم يحملون فوانيس ضخمة ملونة، وآخرون يطلقون النار من بنادقهم في اتجاهات مختلفة، ثم يتبعهم ثلاثة شيوخ ذوّ لحي طويلة، ووجوه كثة الحواجب، يسبقهم أشخاص يحملون في أيديهم ألوية، مصنوعة من ثوب دمشقي، ذي لون قرمزي، كما يسير إلى جانب هؤلاء فرق موسيقية متنوعة، من غيطات وطبول، مُحدّثين بموسيقاهم ضجيجا مجنوننا ومزعجا لا مثيل له. أما العروس فكانت تتقدم الموكب في قفص ضخم، هو على شكل فانوس قديم، محمولة فوق ظهر بغل قوي البنية، ويُحدثنا رحالتنا أن العروس لم تكن على ما يرام أثناء وجودها في تلك المركبة العجيبة والضيقة، في حين نجد في آخر الموكب أهل العروس، وحشد كبير من الأطفال الصغار، الهائجين والصائحين، الذين يملؤون المكان بالعويل والصراخ<sup>3</sup>. ويذكر رحالتنا أنه في الوقت الذي لم يجد فيه شيئا يقوم به، نهض من مكانه وتبع موكب العرس من مكان بعيد، هو وحارسه الشخصي الملقب بـ "الفروج" (el farrux)، ويُبين أنه بعد لحظات توقف موكب العرس على مسافة قصيرة، أمام منزل ذو مظهر معماري رائع للغاية، وهكذا قام أربعة مغاربة على ما يبدو بإنزال القفص، الذي توجد فيه العروس بعناية وحرص شديدين، ثم قاموا بإدخاله إلى المنزل الذي أغلق بابه بإحكام، أمام تلك الحشود المرافقة، ثم ران صمت عميق وغريب في تلك اللحظات، كما توقفت الموسيقى والعزف والرقص وما سواهما، ويضيف رحالتنا أنه كان يجهل سبب ذلك الصمت العجيب والمثير<sup>4</sup>.

وفي نفس المنحى، يُخبرنا رحالتنا السابق الذكر، أنه بعد دخول العروس بيت زوجها، الذي كان ينتظرها بشوق ولهفة كبيرة في غرفة خاصة، وهكذا إذا تبيّن أن سيرة تلك الزوجة عفيفة وطاهرة، أي بمعنى أنها عذراء؛ فإن زوجها لا يتأخر في النزول إلى الباب الخارجي، حيث هناك يطلق رصاصة من مسدسه، ثم تنفجر الحشود الحاضرة، في صيحات الفرح والبهجة والزغاريد، ومرة أخرى ينفجر المكان بالموسيقى والغيطة وطلقات البنادق وما إلى ذلك، أما إذا ظهر الزوج عند عتبة باب المنزل، وبدلا من

<sup>1</sup>- Ibid., pp.63-64.

<sup>2</sup>-Ibid., pp.64-65.

<sup>3</sup>- Ibid., p.65.

<sup>4</sup>- Ibid., pp.65-66.

أن يطلق الرصاصة، وأخذ زوجته بيده وأعادها إلى والدها، بوجه عابس وقاتم، في هذه اللحظة تبتعد الحشود والجموع الحاضرة، بشكل ميكانيكي، في صمت حزين، متطأطين رؤوسهم، معترفين بأن العروس لم تحافظ على عذريتها وطهارتها وعفتها أثناء أيام عزوبتها، وأن زوجها يرفضها بغضب وسخط منقطع النظير، وهنا يذكر رحالتنا مثلاً عامياً مشهوراً، يصور بدقة متناهية عملية الرفض هذه، بقوله: "لا يريد أن يأخذ القط مكان الأرنب (no queriendo tomar gato por liebre)"<sup>1</sup>، ويُشير رحالتنا أنه لاحظ قلقاً عظيماً، على وجوه جميع أهل العروس والعريس والمدعويين، انتظروا بفارغ الصبر أن يطلق الزوج تلك الرصاصة، التي تؤكد الزواج بل وتجيّزه، بيد أن الطلقة لم تخرج من فوهة المسدس، والحضور جميعهم في حالة غير عادية، حيث بلغ الصبر منتهاه، وفجأة فُتِحَ باب بيت العريس على مصراعيه، وظهر منه مغربي لا يزال في سن الشباب، يبدو من مظهره العام أنه شديد الصرامة، يقود امرأة ملفوفة من قمة الرأس إلى أخمص القدمين داخل حايك أبيض اللون، كان ذلك الزوج قد رفض زوجته، وهذه ستعود لا محالة إلى حضن عائلتها، وقد لحقها العار هي وأهلها إلى الأبد.<sup>2</sup>

وأمام هذه الوضعية غير المحسود عليها، كانت عيون أب العروس التعيس تثير غضباً، وأنفه ينفرج بفعل غضب داخلي شديد، موجهها سؤالاً مباشراً للعريس: "ماذا يحدث يا سيدي عبد الرحمن؟"<sup>3</sup> أجابه الزوج بقلب منكسر، "هوأن ابنتك امرأة غير عفيفة وغير طاهرة، لا تليق بك أنت ولا أنا، لقد لطخت سمعتنا جميعاً، سأرجعها إليك"<sup>4</sup>، وحينما قال الزوج ذلك الكلام دفع إليه ابنته الملفوفة في الحايك، التي أرسلت أنينا منخفضاً، واقتربت من والدها، لقد رفضها بشدة، وظلت تتراجع تلك الشابة التعيسة متعثرة، حتى اصطدمت بجدار المنزل، الذي طردت منه بشكل مخزي<sup>5</sup>. ويضيف رحالتنا أن والد العروس، وبفعل هذه الفضيحة، قام كحيوان متوحش، واستل خنجره بسرعة فائقة من حزامه، والعروس الشابة تطلب منه الرحمة والمغفرة، جاثية على ركبتيها عند قدمي والدها، واضعتا يديها عليها، والدموع تملأ عينها، إلا أن والدها ضربها بخنجره ضربة قوية، فسقطت تلك الشابة الجميلة فوق الأرض، وهي ترسل أنينا عميقاً، وجميع الذين حضروا ذلك المشهد الحزين والرهيب، أطلقوا صيحة جماعية مفزعة ومرعبة، عن هول ما شاهدوه، أما رد فعل والد العروس فيذكر رحالتنا السابق الذكر، أنه انسل هارباً بين جموع الحاضرين، وفي اليوم اللاحق من الكارثة الدامية، فقد الأب عقله، وصار مجنوناً<sup>6</sup>.

#### ب: حفلات الختان

تعد رحلة "مدينة النعاس: رحلة إلى داخل المغرب"، للروائي والمستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، ببيانات وإشارات غزيرة وثمينة، حول كيفية إجراء شعيرة ختان الأطفال بالمغرب، وتحديدًا في الجهة الشمالية منه، كما لم يفته ذكر طرق ومراسيم الاحتفال بهذه العملية المؤلمة، على حد تعبير المستكشف السالف الذكر<sup>7</sup>.

وهكذا، يُشير صاحب الرحلة، أن شعيرة الختان في المنطقة المذكورة، غالباً ما تتم في المساجد<sup>8</sup>، وتجرى على النحو التالي: "يجلس كل واحد من هؤلاء في مكان مناسب، الأطباء والأولياء والفقهاء وغيرهم من الشخصيات الأخرى، الذين يحضرون

1- Ibid., pp.66-67.

2- Ibidem.

3- Ibid., pp.67-68.

4- Ibidem.

5- Ibidem.

6- Ibid., pp.69-70.

7- Ibid., p.107.

8- Ibidem.

إلى الحفل، إما عن التزام أو عن رغبة، ويتم تقديم الطفل الذي سيتم ختانه بواسطة والديه أو دويه، إلى الفقير (al fakir) المسؤول عن إجراء هذه العملية المؤلفة. وحتى لا يقوم الطفل بأي مقاومة، أو بالأحرى، من أجل ترفيمه، يُقدمون له الحلويات والألعاب، في الوقت الذي يقطعون فيه ذلك الجزء من جسده بمقص جد حاد، والذي يجب أن يتطهر منه كل مؤمن، وفقا لشريعة محمد. ثم ينفجر الطفل في صراخ حاد، وبكاء شديد المرارة، عند ذلك يقومون بوضع بعض المساحيق المجففة ونصف بيضة دجاجة طرية على الجرح، من أجل التخفيف من الآلام الحادة التي يعاني منها وليندمل الجرح<sup>1</sup>.

وفي إشارة فريدة، تحمل أكثر من دلالة، احتفظ لنا بها رحالتنا، حيث يُبين أن هذا الطقس الشعائري، الذي وصفه بالقاسي والوحشي، يخلف عادة ضحايا أكثر من الأطفال، إذ لا يستطيع جلهم بفعل هزالة بنيتهم الجسمانية، أو بسبب الطريقة الهمجية والبربرية التي تتم بها عملية الختان، أن يصمدوا في وجه تلك العملية الأليمة، وعليه يهلكون في غضون أيام قليلة فقط<sup>2</sup>. بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه أعلاه، يُحدثنا رحالتنا أنه بمجرد أن يفرغ هؤلاء من ختان الطفل، يخرجونه من المسجد ويسلمونه إلى والدته، التي تتلقاه بين ذراعها شاحبا وبلا حياة تقريبا بالقبلات والعناق الحار، وما سوى ذلك<sup>3</sup>.

### ج: احتفالات عيد المولد النبوي الشريف

يُستشف من معطيات المستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، أنه كان مهتما بشكل كبير بطريقة احتفال المغاربة بعيد المولد النبوي الشريف، وتحديدًا في مدينة طنجة شمال المغرب، ويُخبرنا رحالتنا أن الفضول ورغبته الجموح في معرفة طريقة احتفال المغاربة بذلك العيد ومراسيمه، جعلته متلهفا لحضور هذه النوعية من الاحتفالات، رغم تحذيرات الوزير المفوض للمملكة الإسبانية بمدينة طنجة، الدون فرانسيسكو ميري إي كولون (Francisco Merry y Colón)، الذي حذرته بأن خروجه إلى شوارع هذه المدينة لحضور مراسم ذلك الاحتفال، قد يشكل خطرا على حياته، خاصة وأن المدينة المذكورة ستعرف توافد سكان الريف وسكان الجبال، إضافة إلى مجموعات وطوائف متطرفة ومتوحشة، مدججين بالبنادق ومختلف الأسلحة، إلا أن رحالتنا لم يأخذ بهذه النصيحة، فنزل إلى المدينة لمشاهدة الاحتفالات والأجواء المحيطة بها<sup>4</sup>.

ومما أمكن التقاطه من إشارات وشهادات في هذا الجانب، ذكره أن هذه الاحتفالات عادة ما كانت تقام بالموسيقى، من غيطة وطبل وما سواهما، إضافة إلى اللعب بالبارود وغيره<sup>5</sup>، ويُحدثنا صاحب الرحلة أيضا، بأن هذه الاحتفالات غالبا ما كان يحضر فيها أشخاص، ينتمون إلى طائفة عيساوة، حيث يقومون بترويض الأفاعي والحيات، على إيقاع موسيقى صاخبة وهائجة، تنتهي بالتهام شخص أسود من طائفة عيساوة أفعى أو حية، بطريقة همجية ومتوحشة ومقرفة، وفي هذا الصدد يُخبرنا الرحالة السالف الذكر بأنه لا يتذكر مطلقا أنه حضر في حياته برمتها مشهدا أكثر قرفا وفضاعة، مثل ذلك المشهد الأنف الذكر الذي وصفه بالبربري والهمجي<sup>6</sup>.

وفي نفس السياق، يُخبرنا صاحب الرحلة، بأنه حضر مشهدا آخر لا يقل أهمية وعنفا ودموية من الأول، ولتقريب هذا المشهد الفظيع، إليك هذا النص "بعد اتساع الدائرة من حوله في رُمشة عين. أيُّ همجية جديدة أو مشهد بغيض، سيقدمه ذلك الرجل المتوحش للناس؟ سرعان ما عرفت ذلك. فبعد أن أطلق صيحة حادة وطويلة، ألقى رصاصة في الهواء، واتخذ

1- Ibid., pp.107-108.

2- Ibid., p.108.

3- Ibidem.

4- Ibid., pp.97-98.

5- Ibid., pp.98-99.

6- Ibid., p.101.

مكانا مناسباً ليتلقاها فوق رأسه، الذي نسينا أن نقول إنه كان عارياً تماماً، انفجرت جمجمة ذلك الرجل بشكل فظيع. سرعان ما تدفق الدم فوق وجهه وصدره وكتفيه، بيد أنه لم يقلقه ذلك كثيراً، حيث انحنى نحو الأرض، وأخذ حفنة من التراب، ووضعها على جرحه العميق. ثم انطلق لأداء ألعاب جديدة. وقد ازداد حماسه أكثر بفعل تصفيق الجمهور. أما أنا فقد انسحبت في رعب، وأقسمت ألا أرى مرة أخرى في حياتي أي مشهد آخر لأحد هؤلاء المتوحشين المغاربة"<sup>1</sup>.

د: احتفالات عيد الأضحى

21

أورد المستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، بيانات وارتسامات، نادرة وقيمة، حول طريقة احتفال المغاربة بعيد الأضحى (la pascua del carnero)، حيث يُخبرنا في هذا الصدد، أن المغاربة يحتفلون بعيد الأضحى بإجلال كبير منقطع النظير، ولعدة أيام، كما أنه في تلك الأيام المباركة يتلقى السلطان المغربي المولى محمد بن عبد الرحمن الهدايا العينية، التي ترسلها إليه كل الأقاليم المغربية، عن طريق قواده وباشواته المخلصين<sup>2</sup>، واستغل رحالتنا زيارته لقصر السلطان مصحوباً بجميع أفراد سفارته، تحت إشراف الوزير المفوض للمملكة الإسبانية بمدينة طنجة، الدون فرانسيسكو ميري إي كولون (Francisco Merry y Colón)، بتسجيل إشارات عدة حول أجواء العيد في القصر السلطاني، والمعلومات المتعلقة بهذا كثيرة، ولكنني سأتناول بعضها على سبيل المثال لا الحصر، إذ أن المقام لا يسمح بغير ذلك، ومن الإشارات التي استجمعها رحالتنا، ذكره أن القصر السلطاني في مثل هذه الأيام، يكون شديد الإنارة، إضافة إلى الأضواء، كانت تشتعل هناك شموع عديدة ومتنوعة، نصفها أخضر ونصفها قرمزي، وهما لونا السلطان، وقد تم وضع تلك الشموع في شمعدانات جد ضخمة من البرونز<sup>3</sup>، وبالقرب من نافورة تتدفق في وسط الفناء، كانت هناك مائدة كبيرة مكسوة بغطاء، وحولها، فوق الأرضية المبلطة، وضعت أطباق صينية كبيرة، ذات أغشية مخروطية الشكل، مبطنه بمخمل أحمر وأخضر اللون، مطرز بالذهب.

ويُخبرنا أيضاً بأنه في إحدى جنبات القصر، كان هناك ثمانية موسيقيين، يؤدون أغاني وأهازيج محلية، مصحوبين بالدفوف، والقيثارات، والرباب، والنايات، وكانت تلك الأغاني تتسم بحلاوة بالغة وملئنة بشجن ساحر للغاية، تلك الموسيقى والأغاني لم تتوقف للحظة<sup>4</sup>. ويضيف رحالتنا، أنه بعد لحظات وُزِعَ خدم القصر على أفراد البعثة الشاي بالطريقة المغربية، أي أن الكأس الأول يكون بالنعناع، والثاني بعشبة أخرى طيبة المذاق، والثالث بالعنبر الرمادي، وبعد الشاي قُدِّمَ لهم اللحم مطهواً بالطريقة البربرية (al estilo de Berbería)، والحلويات بوفرة كبيرة، ومن بين تلك الحلويات، واحدة مصنوعة من العسل والزيت، طعمها ومذاقها جد مميز<sup>5</sup>.

ه: حفلات الفروسية أو سباق البارود

يُشير المستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، أن احتفالات الفروسية أو سباق الخيل (las corridas de caballos)، كما يسميها، غالباً ما كان الأثرياء المغاربة، هم الذين يسهرون على تنظيمها، ويُخبرنا بأن هذه النوعية من السباقات، غالباً ما كانت تُقام في أمكنة، هي على شكل ساحات، مليئة بالرمال، أما طريقة الاستعراض، فهي تتمثل في الشكل التالي: "يقف عدد كبير من الأشخاص في ساحة فسيحة أو في مجال مترب واسع، راكبين خيول عربية جميلة، وحسنة المنظر، أخف بكثير من الغزلان. كل فارس يحمل بندقية. وبعد تشكيل صف واسع، يهززون خيولهم، وينطلقون في سباق سريع، ويرسلون

1- Ibid., p.103.

2- Ibid., p.155.

3- Ibid., pp.151-152.

4- Ibid., p.152.

5- Ibid., p.153.

صرخات حادة وطويلة. وحينما يصلون إلى نقطة محددة، يطلقون النيران من بنادقهم، دون أن يتوقفوا عن الركض، ويستمترون على هذه الطريقة، حتى المكان المحدد، الذي يشكل نهاية السباق<sup>1</sup>.

إلى جانب ما سلف، يُحدثنا رحالتنا أن العديد من المغاربة، يحبون كثيرا أن يظهرُوا بأنهم فرسان ممتازون، حيث يلقون بنادقهم في الهواء عاليا، ويعودون إلى التقاطها دفعة واحدة، دون أن يخطئوا أو يفقدوا تحكّمهم في خيولهم المروضة جيدا، وتعرف هذه السباقات حضور جم غفير من النساء، اللواتي يجلسن القرفصاء، مرتدين حايك أبيض اللون، يغطي أجسادهم من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، وبين الفينة والأخرى، يطلقن زغاريد قوية للتعبير عن سرورهم وفرحهم الكبير، وحينما يسمع هؤلاء الفرسان تلك الزغاريد، يقومون بتهييج خيولهم التي تكاد تطير بما يهتفون به من صرخات حادة وصيحات قوية، خاصة وأنهم يعلمون أن حبيبتهم وأمهاتهم وأخواتهم، يشاهدنهم ويصفقن لشجاعتهم ومهارتهم في قيادة خيولهم الجموحة<sup>2</sup>، ويضيف رحالتنا أن مثل هذه السباقات، غالبا ما تشهد حوادث جد خطيرة، غير أن ذلك نادرا ما يحدث في بلاد المغرب، ويعلل رحالتنا ذلك بأن المغاربة معروفين بأنهم أجود فرسان العالم (los moros son los mejores ginetes del mundo)<sup>3</sup>.

## 2: اليهود المغاربة

تحتوي رحلة أنطونيو دي سان مارتين المغربية، على تفاصيل كثيرة وغنية، حول طائفة اليهود المغاربة، حيث سجل رحالتنا معلومات جد هامة، تتعلق أساسا بطروف عيش هذه الطائفة، وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وحتى مشاكلهم السوسيو ثقافية، وما سوى ذلك من القضايا، وهكذا يُخبرنا صاحب الرحلة، أن مجمل يهود المغرب ثيابههم رثة، وجلودهم دبغتها أشعة الشمس الحارقة<sup>4</sup>، ويضيف رحالتنا بأن اليهود المغاربة، يشكلون جزءا كبيرا من مجموع الساكنة، حيث يعيشون في أحياء معزولة ومنفصلة، وبمجرد أن تغرب الشمس، يغلق قائد مغربي الباب الذي يعزل هذه الأحياء عن باقي أجزاء المدينة، ولا يفتح الباب مرة أخرى، حتى تشرق الشمس من جديد<sup>5</sup>.

ويُحدثنا أيضا بأن هؤلاء اليهود المغاربة، يتم معاملتهم في عاصمة بلاد البربر (la capital de Berbería)، معاملة سيئة أقسى بكثير من معاملة الهائم، وهم جد محتقرين، لدرجة أنه لا يوجد هناك في العالم كائنات تعيسة مثلهم، ويُخبرنا بأن أي يهودي حينما يمر أمام مسجد، أو بجانب منزل أحد المسلمين، ولا يبادر بخلع حدائه، فسوف يتعرض لعقوبة فظيعة، تتجلى في تلقيه عددا من السياط<sup>6</sup>! أكثر من هذا، يُشير رحالتنا أن بعض اليهود المغاربة، الذين يستقرون في بعض القرى من بلاد البربر، هم جد بؤساء ومحرومون، يعيشون حياة أقل من الكلاب والخيول! إلى جانب هذه المعلومات الغربية، والتي تتميز بكثير من المبالغة؛ لغايات استعمارية لا غبار عليها، يذكر رحالتنا أن اليهود المغاربة يحصلون في كثير من الأحيان، على وظائف سامية ورفيعة لدى سلاطينهم، كما أنه يُبين أن عددا كبيرا من هؤلاء اليهود، قد تمكنوا من تجميع ثروات كبيرة وعظيمة، تؤهلهم لتلقائيا إلى أن يحظوا بالتقدير والاعتراف، في أي بلد أوروبي يقومون بزيارته<sup>7</sup>.

1- Ibid., p.111.

2- Ibid., pp.111-112.

3- Ibid., p.112.

4- Ibid., p.19.

5- Ibid., p.169.

6- Ibid., pp.169-170.

7- Ibid., pp.170-171.

## 3: المرأة المغربية

خصّص المستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، للمرأة المغربية سواء المسلمة منها أو اليهودية، صفحات مهمة في رحلته الاستكشافية، حيث تحدث عن مشاكلها، وأوضاعها، ومميزاتها، وحتى موقعها في المجتمع المغربي. وهكذا، يُخبرنا صاحب الرحلة أنه كان شديد الرغبة في التعرف إلى المغربيات، خاصة وأنه منذ وصوله إلى أرض المغرب، كان يرى كل النسوة المغربيات، ملفوفات في حايك كبير من الصوف، أبيض اللون، من قمة الرأس إلى أخمص القدمين<sup>1</sup>، ويُحدثنا أيضا بأن استدعائه هو وصديقه مستر بارا (Mister Bara)، نائب القنصل الإنجليزي في مدينة العرائش، من طرف أحد الرعايا الجزائريين يدعى محمد، والمستقر في المدينة الأنفة الذكر، منذ فترة زمنية طويلة، لحضور حفل خاص، شكّل له فرصة ثمينة لا تعوز، للتعرف على هؤلاء النسوة المغربيات عن قرب.

ومن الإشارات العديدة والنفيسة، التي سجلها رحالتنا عن المرأة المغربية، التي وصفها بـ "الحسنة الإفريقية"<sup>2</sup>، قوله إن المرأة المغربية بشكل عام، هي امرأة عاطفية<sup>3</sup>، جميلة، ورشيقة<sup>4</sup>، تقدّر كثيرا الرجل المسيحي، والسبب يرجع بالأساس حسب رحالتنا، دائما، أنه يسود في اعتقاد هذه المرأة المغربية، أن الدين المسيحي لا يسمح للرجل المسيحي، أن يتزوج إلا بزوجة واحدة ليس إلا<sup>5</sup>، كما يضيف بأن النسوة المغربيات اللواتي تمكن من اللقاء بهم في ذلك الحفل المذكور، تزيدهم ملابسهم التقليدية، جمالا وفتنة، وهذه الملابس كانت تتكون أساسا من فساتين حريرية، مطرزة بالذهب والفضة، وشالات بلون النار، بيضاء وزرقاء، يلفن بها رؤوسهن<sup>6</sup>.

ويذكر رحالتنا أنه بمجرد أن رأت عيناه وجوه تلك النسوة الحسنات، ظل مشدوها يتأملهن في صمت وإعجاب، لدرجة طرح على نفسه سؤالاً: هل تلك النسوة كائنات ينتمين حقيقة إلى كوكب الأرض؟ أو إلى كوكب آخر، أجمل وأكثر حفا؟<sup>7</sup> في الوقت ذاته، يُشير رحالتنا أن المرأة في بلاد البربر (Berbería)، هي أقل قيمة من الحصان، أو سلاح من نوع ممتاز<sup>8</sup>، حيث تُعامل بطريقة سيئة ووحشية، لدرجة يقول إنها لا تجلس لمائدة الطعام إلا إذا فرغ زوجها من الأكل! أكثر من هذا، يذكر أن المرأة في المجال المذكور، تعيش في عبودية منقطعة النظير<sup>9</sup>، وغالبا ما تشكل في نظر الرجل "حيوان جميل، وضروري، بيد أنها حيوان في آخر المطاف، إنهم لا يرون فيها سوى شيء من الرفاهية أو موضوع متعة"<sup>10</sup>، الشيء الذي جعله يُعلّق على حال أولئك النسوة بالقول: "ما أبأس نساء بلاد البربر" (pobres mujeres de Berbería)<sup>11</sup>.

وبغض النظر عن مدى صحة ومصداقية هذه البيانات، يُشير رحالتنا أن المرأة المغربية اليهودية أو العبرية كما يسميها، غالبا ما كانت ترتدي ملابس ثمينة، بيد أن هذه الأخيرة، خالية من أي شيء يدل على الأناقة والرقّة، ومجوهرات ذات قيمة كبيرة،

1- Ibid., p.43.

2- Ibid., p.42.

3- Ibid., p.44.

4- Ibid., p.47.

5- Ibid., p.44.

6- Ibid., p.47.

7- Ibidem.

8- Ibid., p.261.

9- Ibid., p.260.

10- Ibid., pp.261-262.

11- Ibid., p.261.

ويضيف بأن العبريات "مخلوقات جميلة" (bellísimas criaturas)<sup>1</sup>، ويستخدم في زينة مواد عديدة ومختلفة، على رأسها مادة الزرنيخ (el arsénico)، والتي يستعملونها في تبييض بشرتهن، وفضلا عن هذا، يذكر رحالتنا أن عددا كثيرا من هؤلاء النسوة العبريات، وخاصة اللواتي يتميزن بجمال فاتن، ومظهر مثير، يفلحن في مناسبات كثيرة في استمالة الأثرياء من المغاربة، وحينما يقع عليها اختيار أحد هؤلاء "السادة المستبدين" (despóticos señores)<sup>2</sup>، كما وصفهم رحالتنا السابق الذكر، ما علمها إلا أن تخضع ذليلة مثل كلب حقير يلحق اليد التي تعاقبه، من دون أن تبدي أي شكوى من وقوعها ضحية حب وحشي، يمكن التأكيد أنها لا تشاركه البتة، وحينما تُشبع رغبات ونزوات ذلك الثري المغربي، ويذبل جمالها، وبمجرد أن تتوقف عن الإثارة والإعجاب، ينتهي بها المقام أمة متواضعة في خدمة إماء سيدها<sup>3</sup>.

#### 4: سلوكيات وظواهر اجتماعية

##### أ: شرب الدخان

يُستشف من إشارات المستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، الشاهد العيان، أن شرب الدخان زمن تجواله في بلاد المغرب، خلال ستينات القرن التاسع عشر، كان من العادات والسلوكيات الرائجة والمتفشية في بلاد المغرب، ويذكر أن نبتة الكيف (el quif)، والتي يسميها بـ "النبتة السماوية" (yerba celestial)، هي الأكثر انتشارا بين الساكنة المحلية والأجنبية، ويضيف بأن هذه النبتة العجيبة، إذا تناولها أحدهم، سرعان ما تنقله إلى عالم مجهول، بيد أنه "عالم أكثر جمالا وامتعة، مليء بالسحر، بحيث يكون من المستحيل أن تتخيل شيئا ساعرا يعادله، إذا كان الجنس اللطيف يستهويك، فسترى نفسك محاطا بحوريات فاتنات، وإذا كان لديك طموح في الحكم، فستكون لبعض الوقت ملكا مطلقا لدولة قوية لا تضاهي، حيث جميع رعاياك سيقدمونك، وأخيرا، إذا كنت تحب الثروات، فستجد نفسك مالك كنوز لا تنضب. أه، أيتها الكيف الإلهي! أنت، لا ريب في ذلك، أروع نباتات الجنة، وبدرتك أحضرها إلى الأرض بعض الملائكة لأجل متعة البشر"<sup>4</sup>.

ولا يخفي رحالتنا إعجابه بهذه النبتة المسكرة، نبتة السعادة (El quif es la felicidad)<sup>5</sup>، كما يسميها، حيث يُخبرنا بأن مذاقها لاذع، بل ونافذ، وأن مفعولها سريع، وقوي للغاية، حيث بمجرد أن جرّبها لأول مرة، أحدثت في نفسه شعورا، وصفه بالغريب والعجيب، لدرجة اعتقد رحالتنا في نفسه، أنه يغرق وحيدا دون أن يجد من حوله شيئا يتعلق به<sup>6</sup>.

##### ب: معاقرة الخمر

يُبين المستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين (Antonio de San Martín)، أن الخمر بأنواعه المختلفة، كان من بين المشروبات التي تقبل عليها بعض الفئات المستقرة في المغرب، إقبالا نادرا، وخاصة من قبل بعض الجاليات الأجنبية، سواء المسيحية منها أو المسلمة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>-Ibid., p.171.

<sup>2</sup>- Ibid., p.170.

<sup>3</sup>- Ibidem.

<sup>4</sup>- Ibid., p.56.

<sup>5</sup>- Ibid., p.57.

<sup>6</sup>- Ibid., pp.57-60.

<sup>7</sup>- Ibid., p.54.

## ج: الجهل والتخلف

إن قراءة متأنية في مضامين رحلة "مدينة النعاس: رحلة إلى داخل المغرب"، لصاحبها الروائي والمستكشف أنطونيو دي سان مارتين، أمكن لنا تحديد مجموعة من الصور والانطباعات، التي ارتكز عليها صاحب التأليف، وهو يدرس مجال وإنسان "الإيالة الشريفة"؛ وهي صور، حاول من خلالها، تقريب الآخر المغربي، غير المسيحي، الذي يعاني من "الفوضى" و"التأخر"، و"الجهل" و"التخلف". ومن بين الإشارات التي سجلها صاحب الرحلة حول هذه النقطة بالذات، قوله إن في مدينة العرائش مثلا، والتي وصفها بـ "المدينة الحزينة" (triste ciudad)<sup>1</sup>، كانوا يقدسون أحد المدافع تقديسا مبالغا فيه، ويضيف بأن هذا المدفع الذي صنعه أحد المرتدين الإنجليز، كانوا يخصصونه بطقوس وعبادات مضحكة للغاية<sup>2</sup>. ويذكر أيضا بأن ساكنة العرائش، يؤكدون برمتهم، وبشكل قاطع، أن ذلك "المدفع المقدس" (el cañón sagrado)، "يغادر السور في كل ليلة، ويذهب بهدوء كبير للصلاة، عند ضريح وليّة تدعى للامتانة، الذي يقع قرب المدينة: مائة شخص على الأقل، يشهدون على صحة وقوع تلك المعجزة"<sup>3</sup>. وفي نفس الإطار، يُحدثنا رحالتنا بأنه "ويلٌ لمن يجرؤ على السخرية من ذلك الإيمان الغبي! وشقي من يحاول أن يثبت لهم أن المدفع هو مادة غير حية، غير قادر إطلاقا على التحرك بمفرده"<sup>4</sup>.

## د: السحر والشعوذة

أورد المستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، معطيات كثيرة حول ظاهرتي السحر والشعوذة في بلاد المغرب، ويُخبرنا في هذا الجانب، أن يهود العرائش مثلا ينفردون عن غيرهم في واحدة، وهي أنهم بمجرد أن يولد طفل جديد لهم، يعمل والده على إيقاد مجمرة (brasero) عند باب بيته، ويلقي فيها أحذية قديمة، وحفنة من الملح، وغيرها من الأشياء الأخرى، وكل هذا ينتج فرقة ودخانا، كثيفا ومقرفا، ويضيف بأن السبب الذي يجعل هؤلاء اليهود يقومون بذلك الفعل، اعتقادهم بأن الأرواح الشريرة التي تمقت الروائح الكريهة، لا يمكنها من خلال ذلك أن تسيطر على روح المولود الجديد. أبعد من هذا، يذكر رحالتنا أن نسبة كبيرة من هؤلاء اليهود المغاربة، لا يقتنعون في أحيان كثيرة بتلك الطريقة، وهكذا يقوم أب المولود الجديد بالتسلح بهراوة كبيرة، ويقف عند مدخل المنزل، ثم يشرع في توجيه ضربات عشوائية، وفي اتجاهات مختلفة، اعتقادا منه أن ما يقوم به يطرد الأرواح الشريرة، ويحول دون أن يتربص أحد هؤلاء الأرواح بطفله الجديد<sup>5</sup>، ويختم رحالتنا كلامه هذا بتعليق مثير، مفاده أن هذه الممارسات والاعتقادات الغيبية، التي يؤمن بها هؤلاء الناس، تعتبر أكثر جهلا وانحطاطا وسخرية في كل إمبراطورية المغرب<sup>6</sup>.

## ه: اللصوصية وقطع الطريق

يحتفظ لنا الرحالة الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، بمعطيات تاريخية مهمة، حول اللصوصية وقطع الطريق في المغرب بشكل عام، والصحراء الممتدة جنوبا على وجه الخصوص، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهكذا كان بإمكان هذه البيانات، أن يطوِّبها الزمن، وتحشر في غياهب النسيان، لولا أنه اختزنها رحالتنا في ذاكرته، ودوّنها في رحلته. هذه المعلومات، هي في الأصل عبارة عن رواية شفهية، استقاها مباشرة من لسان زوجة أحد التجار الأغنياء في مدينة طنجة، الذي

1- Ibid., p.39.

2- Ibidem.

3- Ibidem.

4- Ibid., p.40.

5- Ibidem.

6- Ibidem.

يتبين أنه تعرض للإغارة والنهب، هو ورفاقه، من طرف بعض البدو الرحل، الذين احترفوا سرقة القوافل التجارية ونهبها، على طول الطرق والمسالك التجارية الصحراوية، المؤدية إلى إفريقيا جنوب الصحراء.

في هذا الصدد، تقول زوجة الضحية بأسلوب يطغى عليه الحزن والألم النفسي: "سأخبرك بما حدث له، منذ حوالي عامين تقريبا. كان الصغير قد قام برحلة إلى تنبكت<sup>1</sup>. وكانت رحلة الذهاب جد سعيدة. ولكن لم يكن كذلك الأمر بالنسبة لرحلة الإياب. عند عبوره الصحراء، أو الصحراء الكبرى، تعرض للهجوم من قبل بعض البدو، الذين كان عددهم أكبر بكثير من مرافقي الصغير وخدمه. بيد أنه دافع عن نفسه بشجاعة، ولم يستسلم إلا عندما سقط على الأرض، وقد خرمته الجراح، وحسبوه ميتا فتركوه، بعد أن سرقوا كل ما لديه، وأسروا كذلك خدمه. كان الصغير مرميا فوق الرمال، وفاقدا للوعي، والله يعلم كم مدة ذلك، لكن الأجل الذي حدده الله لحياته لم يحن بعد. عاد إلى وعيه، عندما كانت ظلمة الليل وسكونه، قد أعقبا بالفعل ضوء النهار الواضح، كانت إصاباته كثيرة، لكن لحسن الحظ لم يكن أي منهما خطيرا. بيد أنه كان ضعيفا للغاية بسبب الدم الكثير الذي فقده (...). نهض بجهد كبير، وانطلق يمشي فوق الرمال الرهيبة، مسترشدا بالنجوم، والتي هي ذات فائدة كبيرة للمسافرين الذين يعبرون ذلك الرداء الضخم من الرمال، حيث لا توجد هناك طرق أو ممرات، ولا لأي شيء يشير إلى الطريق الذي يجب أن يُسلك، باستثناء عظام المسافرين والجمال، الهالكين من الجوع والعطش، في تلك الأماكن المروعة"<sup>2</sup>.

يبدو من الجلي الواضح، من خلال كلام زوجة التاجر الضحية، الذي دوّن الرحالة الإسباني أنطونيو دي سان مارتين، أن اللصوصية وقطع الطريق والإغارة، كانت من الظواهر الشائعة والمتفشية في منطقة صحراء جنوب المغرب وما وراءها، خلال

<sup>1</sup>- تُعتبر حاضرة تنبكتُ الأسطورية، جوهرة الصحراء الكبرى، وقلب بلاد السودان الغربي، من حواضر بلاد غرب إفريقيا القليلة، التي عرفت رواجاً ونشاطاً تجارياً مهماً، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث سمح موقعها الجغرافي الاستراتيجي المتميز، الذي هو عبارة عن ملتقى طرق القوافل التجارية التي تجوب الصحراء الإفريقية الكبرى، وهمزة وصل بين العالم العربي وإفريقيا السوداء، في خلق مركز تجاري مهم، استقطب مجمل تجار أقطار المعمور، سواء القادمين من إفريقيا الشمالية، أو من المناطق الإفريقية الزنجية، أو من أوروبا الغربية، أو من بعض المناطق العربية، وكل هذا خلق حركة ودينامية اقتصادية مهمة، وعليه اعتبر الأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، حاضرة تنبكتُ "مكان التقاء أولئك الذين يسافرون بالقوارب وأولئك الذين يسافرون بالجمال"، وحتى نستشف بجلاء القيمة الاقتصادية والتجارية لحاضرة تنبكتُ، في الفترة الزمنية المذكورة أعلاه، يقول شارل بغوسلاغ (Charles Brosselard) أحد أقطاب الإدارة الاستعمارية الفرنسية في القارة الإفريقية على لسان أحد التجار المغاربة: "تنبكتُ أرض مباركة. إنها منجم ذهب، كل ما عليك فعله هو الانحناء لجمعه: رحلة واحدة إليها تثري المرء". وفي ذات الاتجاه، يُخبرنا كل من الباحثان الفرنسيان لوسيان هوبير (Lucien Hubert) وموريس دولافوس (Maurice Delafosse)، أن حاضرة تنبكتُ كانت تُشكل لفترة طويلة السوق الكبير للصحراء الغربية المغربية، وهكذا كانت تستقبل تلك الحاضرة وإلى سنة 1887م، ما يقرب عن 400 قافلة تجارية، وكان عدد الإبل المكونة لتلك القوافل حوالي 350 رأس. ومن جهته، يُشير الأب أوغوسطان بروسبير هاكار، إلى أن حاضرة تنبكتُ تُشكل مكانا تجاريا متميزا لتبادل مجمل منتوجات بلاد السودان الغربي بمنتجات طرابلس، وتونس، والجزائر، والمغرب، ووحدات الصحراء، حيث من الشمال تصل كميات معتبرة من (الملح، والأقمشة، والجلود، والأسلحة، ومسحوق البارود، والأواني الزجاجية، والسكاكين، والسكر، والشاي، والتمر). أما جهة الجنوب، فتأتي منها مواد كثيرة ومتنوعة، مثل: (الدخن، والأرز، وزبدة الشيا، والعسل، وجوز الكولا، والأسماك المجففة، والحديد). وتجدر الإشارة هنا، أن ساكنة حاضرة تنبكتُ ورغم أن كل واحد من هذه الساكنة يتوفر على مهنة أو حرفة معينة، إلا أنهم يمتنون التجارة وعلى نطاق واسع، من البائع الصغير للخبز، والعتاب، وبذور البطيخ، إلى كبار التجار في الأقمشة، والحبوب، والعبيد، حيث كلهم لا يستغلون ذكاهم وفطنتهم إلا لحساب الربح المحتمل في قضية ما. ويذكر الأب أوغوسطان بروسبير هاكار السالف الذكر، أنه بعد استقرار مجموعة من التجار الفرنسيين ومن سانت لويس (Saint-Louis) بحاضرة تنبكتُ، أضحووا يستوردون بعض المنتوجات الأوروبية، وعليها أصبحوا ينافسون التجار المغاربة والطرابلسيين. انظر:

- عادل بن محمد جاهل، "حاضرة تنبكتُ في نهاية القرن التاسع عشر من خلال الكتابات الفرنسية..."، م.س، صص.34-37.

<sup>2</sup>- Antonio de San Martín, *la Ciudad del Sueño...*, op.cit., pp.263-264.

القرن التاسع عشر، كما أن تلك المعطيات، تمكن الباحث من إلقاء أضواء كاشفة على الأوضاع الأمنية، التي تبدو هشة ومضطربة في المنطقة المذكورة، خلال الحقبة مدار البحث.

### و: ظاهرة العنف

تزرخ رحلة أنطونيو دي سان مارتين الاستكشافية، على معطيات كثيفة ومتنوعة حول موضوع ظاهرة العنف في بلاد المغرب، وعلى وجه الخصوص في فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ومن القضايا التي استهوت رحالتنا في هذا الموضوع، طريقة تنفيذ العقوبات في بعض المناطق المغربية، في هذا الجانب يذكر الرحالة السالف الذكر، أنه حضر مجموعة من المشاهد، وفي أمكنة مختلفة، تتعلق أساسا في كيفية معاقبة بعض المجرمين واللصوص، ومن بين المعلومات التي ذكرها على سبيل المثال لا الحصر، قوله إنه عاين طريقة تنفيذ عقوبة الرجم على إحدى الزانيات. وهكذا، يُشير أن هذه الأخيرة، وبعد أن حكم عليها القاضي، وبعد أن تبثت عليها جريمة الخيانة الزوجية، تم أخذها إلى مكان قريب من البلدة التي ارتكبت فيها جنيتها، وهناك قام بعض المخازنية بتجربدها من ملابسها تماما، ثم وضعوها فوق ألواح خشبية، هي على هيئة جسد بشري تقريبا، حيث قاموا بصلب ذراعها، كما ثبتوا بالمسامير فوقها ألواحا أخرى، حتى صار جسمها محصورا بدقة متناهية بين الدفتين، وبعد أن انتهوا من ذلك، قاموا بدهن وجهها بالعسل، كما قاموا أيضا بتوقيفها معرضين وجهها للشمس، يتكونها دون أي رحمة، لتتلقى طوفانا من الحجارة، يرميها بها بعض الأطفال والحاضرين، ويذكر رحالتنا أن هذا العذاب الجهنمي يدوم لفترة طويلة، حتى تحتضر تلك المرأة نهائيا<sup>1</sup>.

### خاتمة عامة:

يبدو من حصاد ما سلف، أن رحلة "مدينة النعاس: رحلة إلى داخل المغرب" (la Ciudad del Sueño: Viaje al Interior de Marruecos)، لصاحبها الروائي والمستكشف الإسباني أنطونيو دي سان مارتين (Antonio de San Martín)، نفيضة ونادرة، نظرا لما تزرخ به من معطيات وبيانات، قيّمة، في غاية من الأهمية، من شأنها، إذا ما استغلت بالكيفية المثلى، أن تساعدنا لا محالة على ملأ الفراغ المعرفي، الذي تشكو منه الكتابات التاريخية المحلية، المتميزة بالشرح والابتسار، على صعيد عناصرها الإخبارية. وعليه، فالعودة إلى مثل هذه النوعية من الكتابات الأجنبية، رغم نظرتها الاستعلائية، وأحكامها المسبقة، وخطابها الذي يشرعن للغزو والهيمنة، أضحت اليوم ضرورة ملحة، يفرضها البحث التاريخي المعاصر، من أجل الاستفادة منها، خاصة في مقارنة مواضيع وقضايا جديدة، تهم أساسا: التاريخ الاجتماعي، والذهني، والاقتصادي، والسياسي، والديني. صحيح أن هذه الكتابات، لن تمكننا أبدا من رسم صورة شاملة وكاملة وواضحة، حول تاريخ المغرب وحضارته، بيد أنها على الأقل بإمكانها أن تستكمل لنا بعض التصورات، وتسد بعض الفجوات، التي تعاني منها المصادر المحلية الإخبارية.

### قائمة المراجع:

1. بلحداد، نور الدين، السلطان مولاي الحسن الأول والسيادة المغربية على الأقاليم الجنوبية 1873-1894م، تقديم مصطفى الكثيري، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، الطبعة الثانية، 2016.
2. بوطالب، إبراهيم، "البحث الكولونيالي حول المجتمع المغربي في الفترة الاستعمارية: حصيلة وتقويم"، ضمن ندوة بعنوان: البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، إشراف محمد المنصور، ومحمد كنيب، وعبد الأحد السبتي، مطبعة النجاح

<sup>1</sup> - Ibid., p.95.

- الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، الطبعة الأولى، 1989، (صص.107-173).
3. جاهل، عادل بن محمد، "البحث الكولونيالي الإسباني حول مجتمع إفريقيا (الصحراء الأطلنتية نموذجاً): محاولة في التعريف والتركيب"، ضمن مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة، تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، طرابلس، لبنان، العدد 51، مارس 2019، (صص.65-84).
4. جاهل، عادل بن محمد، "حاضرة تنبكتُ في نهاية القرن التاسع عشر من خلال الكتابات الفرنسية (مونتوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار نموذجاً)"، ضمن مجلة تنوير للبحوث الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة، تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي أفلو، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، العدد 10، يونيو 2019، (صص.12-40).
5. الشابي، مصطفى، "أهمية المصادر الدفينة في كتابة تاريخ المغرب"، ضمن كتاب جماعي بعنوان: النهضة والتراكم: دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية مهداة للأستاذ محمد المنوني، تقديم السعيد بنسعيد، دار توبقال، الدار البيضاء، سلسلة المعرفة التاريخية، الطبعة الأولى، 1986، (صص.347-360).
6. Martín, Antonio de San, **la Ciudad del Sueño: Viaje al Interior de Marruecos**, Imprenta de Santos Larié, Editor Urbano Manini, Madrid, 1870.

## قراءة نظرية في مفهوم الإبداع

### Theoretical Reading about the Concept of Creativity

د. قياتي عاشور/جامعة بني سويف، مصر

Kayaty Ashour /Beni-Suef University

#### ملخص:

نظرا لأهمية الإبداع وهو ما يستوجب علي الباحثين بذل الجهود للتعريف به وتفعيل ممارسته في الحياة تهدف الدراسة إلي (1) التعرف على الرؤي والمنظورات التي تناولت مفهوم الإبداع. (2) التعرف على مستويات الإبداع. (3) التعرف على المفهوم الثقافي للإبداع. (4) التعرف علي طبيعة العلاقة بين الأصالة والجدة والملائمة والإبداع. مع تقديم في النهاية تعريف متكامل للإبداع، وتوصلت الدراسة إلي عدد من النتائج من أهمها: إن التعريف المتكامل للإبداع هو أنه أحد المنتجات التي قدمها الفرد، ويتضمن الإبداع التفكير الذي يهدف إلي إنتاج أفكار تكون جديدة نسبيا في بعض الجوانب ومقنعة، والإبداع له عناصر نطاق محدد واخري عام، والإبداع قابل للقياس، ويمكن تطويره وتعزيزه، ويمكن تعريفه من منظور ثقافي بأنه عملية اجتماعية ثقافية نفسية معقدة، من خلال العمل مع مواد "مكتسبة ثقافياً" ضمن مساحة ذاتية مشتركة، ويؤدي إلي جيل من تقييم توالد الأدوات على أنها جديدة ومهّمة من جانب واحد أو أكثر من الأشخاص أو المجتمعات في وقت معين، كما أن المظاهر المادية هي محل تقدير لما يُسَمَّى "الإبداع"، لابد من التوالد وليس بالفعل الموجود.

الكلمات المفتاحية: الإبداع، مستويات الإبداعية، المفهوم الثقافي للإبداع.

#### Abstract:

Due to the importance of creativity, which requires researchers to exert efforts to introduce it and activate its practice in life, the study aims to (1) identify the visions and perspectives that dealt with the concept of creativity (2) identify the levels of creativity (3) identify the cultural concept of creativity (4) identify the nature of the relationship between originality, novelty, relevance and creativity, in addition to introducing an integrated definition of creativity, and the study reached a number of results, the most important of which are : The integrated definition of creativity is that one of the products provided by the individual, and creativity includes thinking that aims to producing ideas that are relatively new in some aspects and convincing, in addition that creativity has both specific and general domain elements, moreover creativity is measurable, and it can be developed. Creativity can be defined from a cultural perspective as a complex socio, cultural, and psychological process by working with culturally acquired materials within a shared self-space leading to a generation of evaluating the creation of tools as new and important by one side or more of people and communities at a specific time. Besides, the physical manifestations are appreciated by the so-called "creativity", to be procreating and not already existing.

**Keywords:** creativity, creative levels, cultural concept of creativity.

## مقدمة:

أصبح من المتفق عليه إلى حد كبير الآن بين المفكرين ومنقفي العصر أن الفروق بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة هي فروق في امتلاك الدول للعقول المبدعة أو عدم امتلاكها لها؛ فقد أصبح الإبداع هو المحك الحاسم في الإسراع بتقدم شعب من الشعوب أو تخلفه ووقوفه عند حاوية التخلف والجهل. ويبقى الاهتمام بالإبداع كظاهرة بشرية يستحق المزيد من المتابعة والفحص والتدقيق، ويستحث جهود الباحثين والمتخصصين، برغم الكم الهائل من البحوث والدراسات التي تسجلها الدوريات العلمية المتخصصة حول ظاهرة الإبداع، إلا أننا لا نزال نكتشف جديداً كل يوم، ونعرف عن الإبداع ما لم نعرفه. فكل بحث جاد هو خطوة على الطريق.

وفي هذا الجانب حققت العلوم النفسية تقدماً كبيراً في فهمنا للإبداع، وأخذ البعض منهم بعين الاعتبار "منظور الفرد" الذي يركز على الملامح الشخصية للعباقرة المبدعين مقارنة بغيرهم ممن هم أقل موهبة، واتخذ البعض الآخر "منظور الإنتاج" فيتساءل عن متى ولماذا تُعدُّ منتجات معينة إبداعية؟ وأخيراً اعتبرت بعض الأعمال "العمليات المعرفية" والتحفيزية التي تعزز أو تمنع الأداء الإبداعي، وكما هو ظاهر الاختلاف بين الاتجاهات التي درست الإبداع إلا أنها تميل إلى أن تتلاقى في تعريف للإبداع بأنه "الرؤى والأفكار وحلول المشكلات"، أو "المنتجات الجديدة والمفيدة"<sup>(1)</sup>.

واكتسب مفهوم الإبداع أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة، على سبيل المثال ركزت قدر هائل من الأدبيات في مجال الإدارة بشكل كبير على الكيفية التي من خلالها يعزز الإبداع ويُشجعه في مكان العمل؛ وذلك للتعامل مع البيئات المتغيرة، ودليل آخر على أهمية الإبداع قرار الاتحاد الأوروبي لجعل عام 2009 عام الإبداع والابتكار، والهدف من هذا العام "تعزيز الإبداع للجميع بوصفه وسيلة للابتكار وعاملاً أساسياً للتنمية الشخصية والمهنية والكفاءات الريادية والاجتماعية، من خلال التعلم مدى الحياة، ومنذ هذا العام تم رفع الوعي العام وتعزيز مناقشة الإبداع"<sup>(2)</sup>.

وبما أننا الآن نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا، ونحن بحاجة إلى تشجيع ورعاية المبدعين؛ ومن المقبول - أيضاً - أن المفكرين المبدعين في مجتمع ما في أي وقت سيحددون مستوى التنمية والنهوض الثقافي؛ ولهذا نؤكد لماذا يُفترضُ لبحوث الإبداع أن تأخذ مكانتها في البحث والدراسة. والإبداع في نهاية المطاف سيكون بمثابة نقطة محورية لجميع التخصصات المعنية بتطور صحة الإنسان، وسعادته ووضعه الاجتماعي<sup>(3)</sup>.

وقد حدد العلماء عدة مستويات للإبداع، منها الفردي الذي يعتمد على الخصائص الفطرية للإنسان كالذكاء بأنواعه والمواهب المختلفة، والإبداع الجماعي القائم على التعاون بين عدة أفراد لتطبيق الأفكار على أرض الواقع وتغيير الأشياء إلى الأفضل، وغيرهما من أنواع الإبداع المرتبطة بطريقة حياة الإنسان الحديث، وقد حاول الباحثين وضع تعريفات للإبداع واكتشاف طريقة عمل العقل البشري لإخراج الأفكار الإبداعية، وذلك لتحديد مفهوم عام وشامل للعملية الإبداعية، وهو ما يستوجب علي الباحثين بذل الجهود للتعريف به وتفعيل ممارسته في الحياة.

(1)De Dreu, C. K. W. (2010). **Human Creativity: Reflections on the Role of Culture**, the International Association for Chinese Management Research, P. 438-439.

(2)Ernesto, V. (2008). **On Creativity Towards an Understanding of Creativity and its Measurements**, European Commission Joint Research Centre, P. 9.

(3)Rao, K.S (2012). **Relationship Between Socio . cultural Environment And Creativity Of Secondary School Pupils Of Bangarpet Taluk**, Indian Streams Research Journal, Vol. 2, Issue. 9, P.2.

وبناء علي ما سبق تتمحور تساؤلات الدراسة فيما يلي:

1. ما الرؤي والمنظورات التي تناولت مفهوم الإبداع؟
2. ما مستويات الإبداع؟
3. ما المفهوم الثقافي للإبداع؟
4. ما طبيعة العلاقة بين الأصالة والجدة والملائمة والإبداع؟
5. ما التعريف المتكامل للإبداع؟

### الرؤي والمنظورات المختلفة في تناول مفهوم الإبداع

يبقى الإبداع ظاهرة بالغة التعقيد لا يمكن اختصارها أو اختزالها في صيغة واحدة<sup>(1)</sup>، ويُعرف الإبداع عادة بأنه عملية جلب إلى حيز الوجود شيء ما يتصف بالجدة والفائدة، وهو من أكثر الظواهر النفسية و(الاجتماعية) إثارة للاهتمام<sup>(2)</sup>، وبالرجوع إلى قاموس "وبستر" تشير كلمة "يبدع" إلى: تسبب في الوجود، أو جلب إلى حيز الوجود ويتضمن شيئاً عميقاً إلهياً تقريباً، مثل خلق الله السماوات والأرض، وربما كان ذلك أصل عبارة "الإلهام الإلهي"<sup>(3)</sup>.

وفيما يلي مقارنة لأبرز تعريفات الإبداع وما يرتبط بها من تصورات في الأدبيات، فهناك العديد من التعريفات للإبداع وتركز بعضها على خصائص الأفراد الذين تُعدُّ أعمالهم إبداعية (من الشخص المبدع؟) في حين يرى البعض الآخر العمل نفسه (ما الذي يجعل هذا العمل إبداعياً؟) في كلتا الحالتين فإن معظم التعريفات تتبنى اثنين من المعايير الرئيسة للحكم على الإبداع: "الحدائة، والملاءمة" على سبيل المثال يعرف "بيركنز" (1988م) الإبداع على النحو التالي: " (أ) نتيجة إبداعية نتاج الأصالة والمناسبة. (ب) الشخص الإبداعي هو الذي ينتج بشكل روتيني نتائج خلاقة، على الرغم من أن أطروحات وتصورات "بيركنز" "واسعة"، فهي تربط بين مفاهيم المبدعين والأنشطة الإبداعية في حزمة عملية متقنة، وحتى مع ذلك؛ كل جانب من جوانب هذا التعريف البسيط يطرح أسئلة، والجدة والأصالة قد تكون الخصائص المرتبطة بصورة مباشرة مع الإبداع ونادراً ما تعتبر الأعمال الأدبية التي تقلد الذين قبلهم أو الاكتشافات العلمية التي هي مجرد إعادة صياغة للأعمال في وقت سابق إبداعية، فيجب أن تكون خلاقة، ولكي تكون إبداعية لا بد أن يكون منتجاً جديداً<sup>(4)</sup>.

وتناول "برنسكي" (2001م) "ماهية الإبداع" وما الذي لم نطلق عليه الإبداع"، وكمفهوم نفسي فإنها تعريفات لا لبس فيها، واقترح "روديس" أن تعريفات الإبداع ترتبط بأربعة مجالات بحثية مختلفة. (أ) الشخص المبدع (ب) العمليات المعرفية التي ينطوي عليها تشكيل أو تكوين الأفكار. (ج) البيئة التي يحدث فيها الإبداع أو التأثيرات البيئية. (د) المنتج الذي ينتج عن النشاط الإبداعي<sup>(5)</sup>.

(1)European Affairs (2009). **The impact of culture on creativity**, A Study prepared for the European Commission (Directorate. General for Education and Culture). P.22.

(2) Maddux, W.W. &Galinsky, A. D. (2009). **Cultural Borders and Mental Barriers: The Relationship between Living Abroad and Creativity**, Journal of Personality and Social Psychology, Vol. 96, No. 5, P. 1047.

(3) Niu, W. & Sternberg, R. G. (2001). **Cultural influences on artistic creativity and its evaluation**, International Journal of Psychology, 2001, 36 (4) , P.226.

(4)Starko, A. J. (2010). **Creativity in the Classroom Schools of Curious Delight**, New York, Routledge., P. 5 - 6.

(5) Prentky, R. A. (2001). **Mental illness and roots of genius**, Creativity Research Journal, Vol. (13) , P. (96).

والآن نعرض الرؤى المختلفة في تناولها مفهوم الإبداع والاستعانة ببعض المقولات الأساسية لرواد كل اتجاه على حدة.

### الإبداع كعملية:

يمكننا تعريف الإبداع بأنه عملية أكثر من كونه إنتاجًا، وهذا التمييز ليس غريبًا علينا؛ فقد عرّفته "إمابيل" (1988م) بأنه عملية معرفية على المستوى الفردي تتكون من مراحل متعددة<sup>(1)</sup>، كما عرّفه "تورانس" (1988م) بأنه هو عملية الحساسية للمشكلات وأوجه القصور والفجوات في المعرفة، والعناصر المفقودة، والتنافر وتحديد الصعوبة، والبحث عن حلول، وصياغة التخمينات، وصياغة الفروض لأوجه القصور، واختبار الفروض وإعادة اختبارها، وربما تعديل وإعادة اختبارها، وأخيرًا التوصل للنتائج<sup>(2)</sup>.

وتحاول دراسات أخرى في علم النفس المعرفي اكتشاف عملية التفكير الإبداعي، وهل يمكن أو لا يمكن ترسيمها، ونقدم هنا لمحة عامة عن بعض النماذج البارزة للإبداع على سبيل المثال اقترح "ولاس" (1926م) أن العملية الإبداعية تتضمن "الإعداد، الاختمار، الإضاءة، التحقق" وقد عرض "روس" (1931م) النموذج في سبع خطوات: ملاحظة الحاجة أو الصعوبة، تحليل الاحتياجات، مسح لكل المعلومات المتاحة، صياغة لكل الحلول الموضوعية، تحليل نقدي لتلك الحلول من حيث مميزاتها وعيوبها، ولادة فكرة جديدة، (الابتكار)، تجارب لاختبار الحل الأكثر تنفيذًا، ومن ثمّ الاختيار النهائي، واقتراح "بلسك" (1997م) أن عناصر الإبداع الموجهة تتألف من الملاحظة، التحليل، التوليد، الحصاد، التعزيز، التقييم، التنفيذ، العيش معها، وتم تجميعها في، الإعداد، الخيال، التطوير، الفعل أو العمل<sup>(3)</sup>.

ويمكن تصور الفعل الإبداعي .على حد قول "سويلر". على أنه شكل خاص للتفاعل بين عمليات التفكير الأساسية والثانوية؛ حيث يتم توليد فكرة أو رؤية جديدة تلقائيًا، وتصور العمليات غير المنطقية وغير الموضوعية "الذاتية" للعمليات الأساسية، ومن ثم قولبتها عن طريق العمليات الثانوية داخل سياق اجتماعي مناسب وذات معنى وفائدة للآخرين، هذا هو أساس التفسير المعرفي للإبداع، والذي يمكن أن يسهم جزئيًا في تفسير عملية الإبداع<sup>(4)</sup>. أي أنه عملية إدراك علاقات جديدة وتحديات جديدة، والتعامل مع الأوضاع المتغيرة والتعبير عن واحد من المفاهيم الفريدة والردود سواء من خلال رمزية الفن، أو من خلال العمل الاجتماعي الهادف والمناسب، أو من خلال توسيع قاعدة المعرفة؛ بحيث تعطي إجابات للمشاكل الفردية والمجتمعية المتاحة<sup>(5)</sup>.

والخلاصة أنه يمكن تعريف "الإبداع" بوصفه عملية عقلية متعلقة بتوليد الأفكار الجديدة أو تحسين الأفكار القائمة، وعلاوة على ذلك يؤكد "كيندال" (1985م). أيضًا. أن الإبداع هو واحد من أكثر القدرات البشرية المنشودة<sup>(6)</sup>.

(1) Drazin, R. & Glynn, M.A & Kazanjian, R.K. (1999). **Multilevel theorizing about creativity in Organizations: A Sense making Perspective**, The Academy of Management Review, Vol. 24, No. 2. P.29.

(2) Kim, K. H. (2006). **Can we trust creativity tests? a review of the torrance tests of creative thinking (TTCT)** , Creativity Research Journal, Vol. 18, No. 1. P. (3).

(3) Ernesto, V. (2008). **On Creativity Towards an Understanding of Creativity and its Measurements**, Op. Cit. P. (12. 13).

(4) McFadzean, E. (2001). **Critical factors for enhancing creativity**, Strategic Change, Vol. 10. P. (268).

(5) Raina, M. K. (1999). **Cross . Cultural Differences**, in Mark A. Runco, Steven R. Pritzker (ed) , Encyclopedia of Creativity, London, Academic Press. P. (453).

(6) Totrakartrakul, R. & Yan Sze Lang, J. (2008). **Leadership influencing Organizational Creativity: . The Case of IKEA**, The Business Program Leadership and Management in International Context, Baltic Business School, P. (13).

من الواضح أن هذا الاتجاه يعد محور إهتمام علماء النفس المعرفيين، ويركز على الجوانب المتعلقة بعملية حل المشكلات، وأنماط التفكير، أو أنماط معالجة المعلومات التي تشكل عملية الإبداع.

#### الشخصية الإبداعية:

يمكن للأفراد أن يكونوا مبدعين في أعمالهم؛ وذلك عن طريق توليد أفكار وطرق جديدة لتحسين عملهم من خلال إجراءات جديدة وأفكار مبتكرة، وإعادة تشكيل مداخل معروفة في بدائل جديدة، وبالتالي لا يوجد إبداع في مجالات بعينها، ولكن يمكن أن يحدث خلال حالات العمل المختلفة، ونحدد الإبداع في العمل على المستوى الفردي على أنه مدخل العمل الذي يؤدي إلى توليد جيل من الأفكار الجديدة والملائمة، والعمليات والحلول، ويمكن أن يضم هذا التعريف استراتيجيات الأعمال الإبداعية والحلول الإبداعية لمشاكل العمل، وذلك من أجل أن يكون مبدعاً ومع ذلك يجب أن تكون هذه النتائج على مستوى متفرد وتميز مقارنة بالأفكار الأخرى، وفي نفس الوقت لا تكون عجيبة أو شاذة بحيث يمكن تبنيها وتنفيذها، وفي سياق العمل نجد أن مفاهيم الجودة والملاءمة مهمة في مجموعات متنوعة من الوظائف والمهن<sup>(1)</sup>، ومع ذلك تركز سمة الجودة أو التفرد في تصورات الإبداع على حدود مرجعية واسعة نسبياً، ويتم تحديدها ضمن الحدود الاجتماعية والثقافية والتاريخية للحقل<sup>(2)</sup>، ويتم تصور الإبداع على أنه مزيج من التفكير الواقعي والخيالي، وهو نوع من حل المشكلات دون إجابة محددة سلفاً، ففي كثير من الأحيان يبدو الإبداع تعبيراً عن الذات باعتباره السمة الغالبة<sup>(3)</sup>.

وأكد "رونكو" (2007م) أن الشخصية الإبداعية تتميز بالحكم الذاتي والمرونة، وتفضيل التعقيد، والانفتاح على الخبرة، والحساسية والمزاح، وتحمل المخاطر، والدوافع الذاتية، وفاعلية الذات والاهتمام الواضح والفضول<sup>(4)</sup>.

ومن خلال التحليلات الأخيرة خلص "فيسست" (1998م)، أن المبدع - عموماً - أكثر انفتاحاً على الخبرات الجديدة، وأكثر استقلالية، وانطواء، وتشكيقاً في المعايير الاجتماعية، والثقة بالنفس، وقبول الذات، ولديه دافعية للنجاح، وعدائي، ومتسرع. وبالمثل اقترح "كروبي" (1994م) أن الطفل المبدع هو أكثر تسرعاً وغير منساق للمواصفات، وغير منظم، ومغامر، وخيالي، ووجدت الدراسات المقارنة بين الأمريكيين لأفراد الثقافات الأخرى بأنها مرتفعة في العديد من هذه الخصائص وخصوصاً في الانفتاح على الخبرة، والاستقلالية، وعدم الانصياع، والثقة بالنفس، وقبول الذات، ودافعية الإنجاز، والهيمنة، والعداء، والاندفاع والتسرع<sup>(5)</sup>.

#### الإبداع كإنتاج:

المنظور الثالث للإبداع يَعتَبِرُه إنتاجاً؛ إذ تشير معظم مناقشات الإبداع إلى توليد أو إيجاد شيء يتسم بالجدة والأصالة،

(1) Perry, Smith, J. E. & Shalley, Ch. E. (2003). *The Social Side of Creativity: A Static and Dynamic Social Network Perspective*, The Academy of Management Review, Vol. 28, No. 1. P. (90).

(2) Ibid, P. (91).

(3) Rao, K.S (2012). *Relationship Between Socio . cultural Environment And Creativity Of Secondary School Pupils Of Bangarpet Taluk*, Op. Cit. 9.P. (3).

(4) Runco, M. A. (2007). *Creativity. Theories and Themes: Research, Development and Practice*. Amsterdam: Elsevier. P. (315).

(5) Zha, P. & Walczyk, J.J. & Griffith. Ross, D. A. & Tobacyk, J.J. & Walczyk, D. F (2006). *The impact of culture and individualism. Collectivism on the Creative Potential and Achievement of American and Chinese Adults*, Creativity Research Journal, Vol. P. (356).

والإبداع إنتاج أصيل ومبتكر<sup>(1)</sup>، ويتضمن الإبداع الجودة<sup>(2)</sup>؛ حيث عرّف عدد من البحوث الأمبريقية الإبداع بأنه "مخرج أو منتج بالتركيز على إنتاج أفكار جديدة ومفيدة، وذلك فيما يتعلق بالمنتجات والخدمات، والعمليات والإجراءات"<sup>(3)</sup>.

ووفقاً "لأمابيل" يعرف الإبداع بأنه توليد أفكار جديدة مفيدة وملائمة، والأفكار الجديدة التي لا تكون مفيدة أو ملائمة لا يمكن تنفيذها في شكل منتج، تكنولوجيا، عمليات، خدمات جديدة. وهكذا يجب أن تتضمن الأفكار الإبداعية الجودة والفائدة<sup>(4)</sup>، وبتعبير آخر هو عبارة عن إنتاج أفكار جديدة ومفيدة من قِبَل أفراد أو مجموعة صغيرة من الأفراد الذين يعملون معاً، وبالتالي يشمل الإبداع كلاً من الجودة والقيمة<sup>(5)</sup>.

ويتفق في ذلك "كاميرون" حيث يشير إلى أن الإبداع شيءٌ جديدٌ وله قيمة<sup>(6)</sup>. ويعرّفه "تشاو" بأنه تطوير الأفكار أو المنتجات التي هي على حد سواء جديدة ومفيدة<sup>(7)</sup>.

ويشير "كايو" أيضاً إلى الإبداع بأنه الجودة المفيدة<sup>(8)</sup>. أي إن الإبداع يعني توليد "الاختلاف"، ولكن ليس من أي نوع عندما يتعلق الأمر بالمنتجات الإبداعية، فإن الميزة والأفضلية تتمثل في كونها مختلفة<sup>(9)</sup>.

يُعدّ هذا الاتجاه بالنتائج الإبداعي ذاته على افتراض أن العملية الإبداعية سوف تؤدي في النهاية إلى نواتج ملموسة مبدعة بصورة لا لبس فيها سواء أكانت على شكل (قصيدة، أو لوحة فنية، أو اكتشاف، أو نظرية).

#### التأثيرات البيئية:

الإبداع هو "التفاعل بين الاستعداد، والعملية، والبيئة التي يمكن للفرد أو المجموعة أن ينتج منتجاً ملموساً يتميز بالجودة والفائدة؛ كما هو محدد ضمن السياق الاجتماعي"<sup>(10)</sup>.

ومن المهم أن نعتز بأن الإبداع هو مفهوم ثقافي تطور مع الزمن وعبر البلدان، كما يعكس عائقاً ثقافياً، ومفهوم الإبداع

(1) Fasnacht, P.H. (2003). *Creativity: A Refinement of the Concept for Nursing Practice*, Journal of Advanced Nursing, Vol. 41 (2). P. (199).

(2) Murad, J. & West, D. (2004). *The Definition and Measurement of Creativity: What Do We Know?*, Journal of Rduertisting Research, P. 190.

(3) Shalley, C. E. & Gilson, L.L. (2004). *What leaders need to know: A review of Social and Contextual Factors that can Foster or Hinder Creativity*, The Leadership Quarterly, Vol. (15), P. (34).

(4) Erez, M. & Nouri, R. (2010). *Creativity: The Influence of Cultural, Social, and Work Contexts*, Management and Organization Review. P. (351).

(5) McFadzean, E (2001). *Critical factors for Enhancing Creativity*, Op. Cit., P. (268).

(6) Ford, C.M. (1996). *A Theory of Individual Creative Action in Multiple Social Domains*, The Academy of Management Review, Vol. 21, No. 4.P. (1114).

(7) Chua, R.Y.J. (2013). *The Costs of Ambient Cultural Disharmony: Indirect Intercultural Conflicts in Social Environment Undermine Creativity*, Academy of Management Journal, Vol. 56, No. 6. P. (1545).

(8) Baek, K. & Brian, J. (2007). *The Impact of Contextual and Personal Characteristics on Employee Creativity in Korean Firms*, University of Minnesota. P. (21).

(9) Glăveanu, V. P. (2011). *Creating Creativity: Reflections from fieldwork*, Integr Psych Behav, Vol (45). P. (110).

(10) Plucker, J.A. & Makel, M. C. (2010). *Assessment of Creativity*, in James C. Kaufman, and Robert J. Stenberg (ed), *The Cambridge Handbook of Creativity*, Cambridge University Press P. (49).

الذي تتبناه الدراسات يعكس وجهة نظر علماء الغرب وثقافتهم، وفقاً لذلك اعتبر "بارت" الإبداع على أنه "المنتج القائم على الأصالة الذي يهدف إلى حل المشكلات"<sup>(1)</sup>. والتعريف الثقافي للإبداع في جوهره أحد التعريفات السياقية؛ حيث يؤكد هذا الجانب أنه يمكن أن نبدأ من التعريفات التقليدية للمنتجات الإبداعية التي تؤكد الحداثة والملاءمة / الفائدة، وإشكالية معناها: الجدة بالمقارنة مع ماذا؟ مفيد لمن؟ الفعل والسياقات، الإبداع هو جوهر في النهج الثقافي<sup>(2)</sup>.

ومن خلال هذا المعنى أنه يمكن النظر للإبداع كشكل من أشكال القيادة التي يمارس فيها المبدع تأثيراً شخصياً واضحاً على الآخرين. إن تقبل مجتمع ما واعترافه بقيمة وأهمية عمل ما شرط أساسي لتفريد هذا العمل وإبرازه في سجل الحضارة الإنسانية.

ويمكن التعقيب على ماسبق من خلال استعراض الرؤى والتصورات المختلفة أنه يمكن تعريف الإبداع بأنه "سمة أو صفة تُنسب إلى شخص أو عملية في كثير من الأحيان تنتج حلاً جديداً ومناسباً للمشكلة، هناك الكثير من التعريفات للإبداع في هذا المجال، ولكن في هذا الخصوص قد تم اختيار هذا التعريف لسببين: أولاً يمكن أن يُعزى الإبداع للشخص أو العملية التي لديها منتج، ويركز منظور الشخص على ملامح شخصية العباقرة المبدعين مقارنة مع أولئك الأفراد الأقل موهبةً، ومنظور المنتج هو فحص متى ولماذا تكون مخرجات معينة إبداعية. ثانياً: يدل التعريف على أهمية كل من الجودة والملاءمة، التمييز مهم بشكل خاص مع الأخذ بعين الاعتبار الكيفية التي يتم النظر بها للإبداع في الثقافات والمجتمعات الأخرى<sup>(3)</sup>.

#### مستويات الإبداع

قبل المضي قدماً، من المهم أن نعتزف بأن مصطلح "الإبداع" يمكن استخدامه لوصف الأفعال على عدة مستويات مختلفة، الإبداع اليومي كما تم وصفه أعلاه هو بالتأكيد مختلف في النطاق إن لم يكن بالضرورة في العملية، من جهود تغيير العالم من "دافينشي" أو "آينشتاين"، ويميز الكتاب أحياناً بين "الإبداع، مع C الكبيرة" الذي يغير التخصصات و"الإبداع مع C الصغيرة"، والابتكارات أكثر شيوعاً في الحياة اليومية، ويميز "نيكا" بين المانع، والمتبلور، والناضج، والبارز، فالإبداع المانع هو حالة كل إنسان ويميز هذه الأعمال الأساسية كما يؤلف الأحكام الأصلية، وهو يدوم لحظات قليلة فقط في هذا النموذج، والإبداع المتبلور مرادف لحل المشكلة، ويمكن أن تختلف اختلافاً كبيراً تبعاً لتعقيد المشكلة التي يتعين حلها، ويتناول الإبداع الناضج المشاكل المعقدة مع الأصالة، وعادة ما يتطلب عمق الخبرة في مجال المشكلة، ويختلف الإبداع البارز عن الإبداع الناضج من حيث إنه يعالج مشاكل كبيرة بما يكفي لإحداث تحول في التخصص، كما يتطلب القبول والاعتراف داخل الحقل<sup>(4)</sup>، بحيث يتطلب مفهوم الإبداع الفهم على المستويات الثقافية، والفردية والاجتماعية<sup>(5)</sup>.

(1) Lubart, T. (1999). *Creativity across Cultures*, in R.J Sternberg Handbook of Creativity, Cambridge University Press, P. (339. 350).

(2) Glăveanu, V. P. (2012). *Creativity and culture: Towards a cultural psychology of creativity in folk art*, A thesis submitted to the Institute of Social Psychology of the London School of Economics for the degree of Doctor of Philosophy, London. P. (47).

(3) Shah, S. (2013). *Creativity across cultures: A comparison of Cognitive Creativity to Creative achievement between the United States and India*. UNF Theses and Dissertations. P. 2.

(4) Necka, E. & Grohman, M. & Slabosz, A. (2006). *Creativity studies in Poland*. In J. C. Kaufman & R. J. Sternberg (Eds.), *The international handbook of creativity*, New York: Cambridge University Press. (pp. 270. 306).

(5) European Affairs (2009). *The impact of culture on creativity*, Op. Cit., P. (22).

## تعريف الإبداع على مستوى الفرد:

وعلى مستوى الفرد نعرف الإبداع بأنه مشاركة الفرد داخل الفعل الإبداعي وعملية المشاركة الإبداعية التي يقوم بها الفرد سلوكياً، ومعرفياً، وعاطفياً تهدف إلى تحقيق نتائج إبداعية.

ويختلف مستوى المشاركة الإبداعية من شخص إلى آخر ومن موقف إلى آخر، وقد يختار الفرد الحد الأدنى من المشاركة، اقتراح حلول بسيطة لا تكون جديدة أو سلوك مفيد، وأشار "فورد" (1996م) إلى الفعل المعتاد، وبدلاً من ذلك يمكن للفرد اختيار المشاركة بصورة كلية / كاملة، مستخدماً كامل طاقاته وإمكاناته لتحقيق منتجات إبداعية، وقرر "كان" (1990م) أن مثل هذه العمليات المشاركة (أو الانفصال) تختلف على مدار الوقت، وتراجع وتزايد من لحظة إلى الأخرى ومن يوم إلى اليوم الذي يليه / لآخر / يوم<sup>(1)</sup>.

## تعريف الإبداع على مستوى الجماعة:

ويمكن تعريف الإبداع - أيضاً - على مستوى الجماعة، حيث تتطلب المشروعات المعقدة الإبداعية من قبل المنظمات الكبرى مشاركة متضافرة من الكثير من الأفراد بدلاً من فرد واحد أو عدد قليل من الأفراد، واعتبرت "أمابيل" (1996م) أن عمليات الجماعة أو الفرد ذات تركيبة مشابهة؛ لأن كلاهما يضم العمليات المعرفية لجيل الأفكار، واختبار الفكرة، وفي حالة كون الإبداع معقداً يحتاج إلى المهارات من قواعد متعددة من الخبرة فقد يكون من الصعب فصل إسهامات الفرد من مستوى الجماعة، ومشاركة الأفراد / الجماعات في العمليات الإبداعية بطريقة متكررة، ويطور الأفراد الأفكار ومن ثمّ يعرضونها على الجماعة، ويتعلمون منها، ثم يعملون القضايا داخل العزلة ثم يعودون إلى المجموعة لمواصلة تعديل أفكارهم وتعزيزها، بحيث تتطلب الطبيعة المتكررة والمتفاعلة للإبداع الجماعي أن يختار الأفراد أولاً الانخراط أو المشاركة في المستوى الفردي للإبداع، ويمكننا أن نجعل من افتراض أن الأفراد يتصرفون بشكل متجانس ضمن مجموعات حيث الانخراط في السلوك الإبداعي<sup>(2)</sup>. والإبداع ليس فقط الابتكار في مقابل التشابه / التماثل، وإنما هو التفرد ضد الجماعة، واللحظة الحاضرة ضد الماضي، والعقل أو الذكاء ضد المادة الخاملة<sup>(3)</sup>.

وقد تم تعريف الإبداع على أنه الحكم على الجودة والفائدة (أو القيمة) لشيء ما، وتميل البحوث النفسية الخاصة بالإبداع إلى التركيز على الأفراد والعوامل البيئية الفردية مثل التحفيز، وقد ركز الباحثون المنتمون إلى مجالات أخرى. ولا سيما علم الاجتماع. على المزيد من القضايا الكلية بشأن تأثير البيئة في الإبداع<sup>(4)</sup>.

## المفهوم الثقافي للإبداع

يحتاج المفهوم الثقافي للإبداع إلى أن يأخذ في الاعتبار الإطار الاجتماعي للأعمال الإبداعية وكذلك علاقتها بالموارد الثقافية.

(1) Drazin, R. & Glynn, M.A & Kazanjian, R.K. (1999). **Multilevel theorizing about creativity in Organizations: A Sense making Perspective**, Op. Cit, P. (290).

(2) Ibid, P.292.

(3) Ingold, T. & Hallam, E. (2007). **Creativity and cultural improvisation: An introduction**. In E. Hallam & T. Ingold (Eds.), *Creativity and Cultural Improvisation*, P. (3).

(4) Pirola Merlo, A. & Mann, L. (2004). **The relationship between individual creativity and Team Creativity: aggregating across people and time**, Journal of Organizational Behavior, 25, P. (236).

"يحل الفرد المبدع المشكلات، وينتج الموضحة، أو يطرح أسئلة جديدة ضمن مجال الطريقة التي يتم النظر فيها في البداية على أنها تكون غير عادية، ولكن في نهاية المطاف قُبلت ضمن جماعة ثقافية واحدة على الأقل"<sup>(1)</sup>.

وعرّف "ليب" الإبداع بأنه "النشاط الذي ينتج شيئاً جديداً من خلال إعادة التركيب والتحول من الممارسات الثقافية أو النماذج الموجودة"<sup>(2)</sup>.

ويقرر "فيشر" أن "الإبداع البشري اجتماعي، ينشأ عن الأنشطة التي تحدث في السياق والتفاعل مع الآخرين ومظاهر الثقافة المادية التي تجسد المعرفة الجماعية"<sup>(3)</sup>.

وفي النهاية يمكننا تعريف الإبداع من منظور ثقافي. بأنه عملية اجتماعية ثقافية نفسية معقدة، من خلال العمل مع مواد "مشربة أو مكتسبة ثقافياً" ضمن مساحة ذاتية مشتركة، ويؤدي إلى جيل من تقييم توالد الأدوات على أنها جديدة ومهمة من جانب واحد أو أكثر من الأشخاص أو المجتمعات في وقت معين، كما أن المظاهر المادية هي محل تقدير لما يُسمّى "الإبداع"، لا بد من التوالد وليس بالفعل الموجود، ومع ذلك هذا الجانب الثاني حيز التعريفات العلمية للإبداع هو الأصالة (أو درجة الجودة)، وهذا يعني ليس فقط أن المصنوعات اليدوية تختلف عن ما كان موجوداً من قبل، ولكن مع الأخذ في الاعتبار. أيضاً. مدى هذا الاختلاف، ومن الجدير بالملاحظة في أي حال أن معنى الإبداع وكيفية تقييمه من قبل المجتمعات المحلية محاط ثقافياً، وغير ذلك من معايير الجودة وأهميتها هي الأكثر شيوعاً في الأدبيات (وربما في التصور الشعبي)، ولكنها ليست المعايير الوحيدة المستخدمة للتمييز بين الإبداعي أو غير الإبداعي، وأخيراً وعلى النحو المبين من قبل العملية الإبداعية اجتماعية وثقافية، ونفسية و في جوهرها حوارية، والمواد المشبعة ثقافياً هي موارد رمزية (العلامات والأدوات)، والساحة الذاتية المشتركة هو الفضاء المحتمل، بين المبدع والمجتمع اعتماد هذا التعريف يفتح عالمًا جديدًا من الإمكانيات لدراسة الإبداع أو تبحث حصراً في جوانبها المعرفية<sup>(4)</sup>.

#### الأصالة والجدة والملائمة والإبداع

تشير الأدلة البحثية إلى أنه قد يكون هناك بعض المكونات العالمية للإبداع، وأكثرها وضوحاً هي فكرة الحدائثة والجدة، أو الأصالة، ومع ذلك تتوقف الجدة في حد ذاتها على السياق، فالجديد والأصيل في مجتمع قد لا يكون جديداً في مجتمع آخر. وقد جادل بعض الكتاب أن عددًا كبيراً من الجمل التي ينطق بها الفرد في المحادثات اليومية هي اتلافات جديدة من الكلمات، وطبقاً لهذا الرأي يشارك الجميع تقريباً في بعض الأنشطة الإبداعية كل يوم، ومع ذلك فإن هذا النوع من الجدة ليس كافياً وسيتم تجاهله، وبالتالي فمن الممكن التمييز بين مسألة ما هو جديد (المحتوى) من مقدار الجدة التي تم التعبير عنها (الدرجة).

وتؤدي درجة الجدة إلى قضية مهمة تتعلق بالتعريف الطبيعي الأساسي للحدائثة، وهو نموذج مفاهيمي وتصوري واحد للانفصال عن الماضي، وبالتالي فهي فكرة راديكالية جديدة بشكل قاطع ومختلف<sup>(5)</sup>. ويمكن القول: إن الجدة والأصالة يعد

(1) Glăveanu, V. P. (2012). *Creativity and Culture: Towards a Cultural Psychology of Creativity in Folk Art*, Op. Cit, P. (42).

(2) Liep, J. (2001). *Introduction*, In J. Liep (Ed.) , *Locating cultural creativity*, London, Pluto Press, P. (2).

(3) Fischer, G. & Giaccardi, E. & Eden, H. & Sugimoto, M., & Ye, Y. (2005). *Beyond binary choices: Integrating individual and social creativity*. *International Journal of Human. Computer Studies*, Vol. 63 P. (482).

(4) Glăveanu, V. P. (2012). *Creativity and Culture: Towards a Cultural Psychology of Creativity in Folk Art*, Op. Cit., P. (35).

(5) Lubart, T. (2010). *Cross . Cultural Perspectives on Creativity*, in James C. Kaufman, and Robert J. Stenberg (ed) , *The Cambridge Handbook of Creativity*, Cambridge University Press. P. (267).

جوهر عملية الإبداع، وربما لكل من الإيفهام والتصورات العلمية والدارجة للظاهرة، وفي النهاية يمكن تعريف الإبداع بأنه جلب أو إيجاد شيء جديد إلى حيز الوجود لم يكن موجوداً من قبل، وتتضمن هذه السمة تقريباً في كل تعريفات الإبداع سواء الصريحة منها أو الضمنية. وتمثل الجودة شرطاً مسبقاً وضرورياً، ولكنها ليست كافية؛ حيث يحتاج المنتج الإبداعي أن يكون أصيلاً، بمعنى أن يختلف إلى حد كبير عما هو موجود فعلاً؛ ومن هنا تصبح الأمور أكثر تعقيداً حينما يصبح الشيء جديداً بالنسبة للفرد، وليس للمجتمع بأكمله<sup>(1)</sup>.

ولأن الإبداع يُعد من قِبَل العديد من الباحثين ملزماً ومقيداً تاريخياً وثقافياً واجتماعياً؛ لذا فمن المهم وجود اتفاق بين أولئك الذين يرون أن المعرفة بالمجال ترتبط بمستوى الإبداع<sup>(2)</sup>، ويرتبط مفهوم الأصالة ارتباطاً وثيقاً بامتلاك الجودة التي هي ميزة محورية في معظم التعريفات القياسية. الإبداع وجدة المنتج (أو التعبير) هي بطبيعة الحال جزء لا يتجزأ من جوهر ظاهرة الإبداع؛ كما أكد العديد من الكتّاب البارزين في الموضوعات، ومع ذلك فإن معيار الجودة هو أبعد ما يكون عن الوضوح<sup>(3)</sup>. وفي الواقع يعرف الإبداع غالباً بأنه المنتج الجديد الذي ينال مستوى معيناً من الاعتراف الاجتماعي أولاً، ويجب أن تكون الفكرة أو العمل الإبداعي جديداً ولكن بُعد الجودة ليس كافياً؛ بحيث لا تكون الفكرة الجديدة عملاً سخيلاً، أو لا معنى له، وبالإضافة للجودة لتكون إبداعية يجب أن تكون مناسبة، ويتم الاعتراف بها اجتماعياً<sup>(4)</sup>.

وتُستخدم المنتجات الناتجة عن عملية الإبداع باستمرار عبر التخصصات كدليل على حدوثه. ضمناً وليس دائماً. وتوضع القيمة على المنتج بكونه إبداعياً<sup>(5)</sup>.

وادعى "هاوسمان" "Housman" 1987 أن مفهوم الإبداع يتطلب استحضار مفهوم "الجودة الراديكالية"؛ من أجل تمييزه عن أشكال تافهة من الجودة، على سبيل المثال في شكل الحد الأدنى من الاختلافات والتنوعات، في الموقف الذي يجادل لصالحه ويشير إلى:

(أ) مسألة شرط ظهور الجودة الراديكالية ما إذا كان يمكن العثور على تفسير من شأنه التحديد والتنبؤ بالجودة أو الوضوح، بدلاً من الجودة التافهة لفرق بسيط.

(ب) مسألة شرط إمكان العثور عليها من خلال التفسير الذي يمكن من التنبؤ بالقيم التي تسهم في خلق النتائج<sup>(6)</sup>.

وقرر "سيمينتون" وزملاؤه أن الإبداع هو الجودة والفائدة، ولحدوث الإبداع فلا بد من توافر عنصري الجودة والفائدة (كل المعاملات لا بد أن تكون أكبر من الصفر)، ويسمح المدخل بإمكانية تحليل التأثيرات الثقافية على ما إذا كان شيئاً مبدعاً أم لا.

(1) Glăveanu, V. P. (2011). *Creating creativity: Reflections from field work*, Op. Cit. P. (104).

(2) Shalley, C. E. & Gilson, L.L. (2004). *What leaders need to know: A review of Social and Contextual Factors that can Foster or Hinder Creativity*, Op. Cit, P. (35).

(3) Kaufman, G. (2004). *Two Kinds of Creativity - But Which Ones?*. *Creativity and Innovation Management*, Vol. 13, No. 3, pp. (154-165).

(4) European Affairs (2009). *The impact of culture on creativity*, Op. Cit., P. (23).

(5) Fasnacht, P.H. (2003). *Creativity: A Refinement of the Concept for Nursing Practice*, Op. Cit. P. (200).

(6) Kaufman, G. (2004). *Two Kinds of Creativity - But Which Ones*, Op, Cit, P.138.

أولاً: يمكن أن تؤثر الثقافة في تحديد الجودة أو الفائدة أو كليهما، والمجال (مجتمع الخبراء الذي يتلقى التقييم، وفي النهاية يؤيد المنتج الإبداعي ويقبله)، ونرى الجودة والفائدة متنوعة عبر الثقافات، ويمكن أن تؤثر الثقافة في المعايير المستخدمة في تحديد الجودة والفائدة.

ثانياً: يمكن للثقافة التأثير على الوزن النسبي الممنوح للجودة أو الفائدة، وما هو المجال الأكثر أهمية عبر الثقافات (1).

الجانب الآخر من الإبداع هو الملاءمة، وتأكيداً لذلك إذا طلب منك الرد على موقف "قفزت البقرة على جهاز كمبيوتر أمس" سيكون بالتأكيد الجودة، ولكنه لا يُعد إبداعاً؛ ومما يؤكد ذلك أن أعمال الفنان "فإن جوخ" لم تكن مقبولة من قبل الجمهور في وقته، وكانت غير لائقة برغم كونها إبداعية. فهنا تأكيد على أن أحد العوامل المهمة في تحديد الملاءمة هو السياق الثقافي الذي يستند إليه الإبداع، والذي يختلف من ثقافة إلى أخرى (2).

المكون الرئيس التعريفي الثاني للإبداع، ليكون شاملاً ومعترفاً به ثقافياً، هو القيمة التكيفية، ويتم استخدام مصطلح القيمة. هنا لتغطية مفاهيم الفائدة، والرضا المفروض، والتكيف ومناسبتها وفعاليتها، وأهميتها في السياق الذي يتم إنشاء الجودة به، فمن الواضح أن عبر المجالات المختلفة من المسعى يمكن أن يختلف الوزن النسبي للحدائق مقابل القيمة التكيفية. وهكذا، إلى الحد الذي يكون فيه جماعة ثقافية أو قيم المجتمع والإبداع في بعض قطاعات النشاط أكثر من غيرها، وتعريف الإبداع قد يعكس هذا الاختيار الاستراتيجي، وإذا كانت النفعية محل تقدير كبير في سياق ثقافي؛ فإن عنصر تكيف الإبداع سيكون لديه الأهمية النسبية فيما يتعلق بمكون الجودة، وأخيراً فإن مفهوم القيمة التكيفية لوجه آخر، وهو المنفعة الاجتماعية للفعل الإبداعي (3).

ويمكن الإشارة في النهاية إلى أن التمييز بين عنصرَي جودة الفكرة وفائدتها ضروري لفهم الاختلاف في التأثيرات الثقافية على الإبداع، ونقترح أن بعض الثقافات تؤكد على حداثة الفكرة في حين قد تؤكد الثقافات الأخرى على فائدة وملاءمة هذه الفكرة وعلى سبيل المثال فالغربيون يسجلون ارتفاعاً في الانفتاح على الخبرة، التي تحفز الأفكار الجديدة، بل هي أيضاً أكثر انبساطاً معبراً عن أفكارهم بشكل أكثر صراحة من الآسيويين الشرقيين. وفي الثقافات الآسيوية الشرقية الحاجة إلى الاستكشاف تتلقى تركيزاً أقل بالمقارنة مع الحاجة إلى الانغلاق المعرفي، وبالمثل فإن الحاجة إلى التنوع والتفرد أضعف في الثقافات الآسيوية الشرقية مقارنة مع الثقافات الغربية (4).

### التعريف المتكامل للإبداع

يشير التعريف المتكامل إلى الإبداع أولاً: أنه أحد المنتجات التي قدمها الفرد، ويجب التفكير في المنتج الإبداعي بمصطلحات عامة، أي أن أي شيء يمكن للناس فحصه ودراسته والحكم عليه، بما في ذلك توصيل الأفكار، وعملية الحكم بشكل مستقل على المنتجات التي ينتجها والإبداع هو حكم ذاتي أدلى به أعضاء الحقل عن الجودة وقيمة المنتج. ثانياً: هو ليس من النوعية المتأصلة التي يمكن قياسها مستقلاً عن عمليات البناء الاجتماعي داخل الحقل. ثالثاً: تقييم الإبداع هو مجال معين، وأنها قد تتغير بمرور الوقت مع مجال الأعمال الإبداعية المحتفظ بها، وانطلاقاً من هذه الأفكار، عرف كاميرون الإبداع

(1) Hempel, P.S. & Sue. Chan, C. (2010). *Culture and the Assessment of Creativity*. Management and Organization Review, Vol. 6 (3): P. (415).

(2) Starko, A. J. (2010). *Creativity in the Classroom Schools of Curious Delight*, Op.CitP. (6).

(3) Lubart, T. (2010). *Cross. Cultural Perspectives on Creativity*, Op. Cit, P. (267).

(4) Erez, M. &Nouri, R. (2010). *Creativity: The Influence of Cultural, Social, and Work Contexts*, Op.Cit.P. (3. 6).

كمجال محدد، وحكم ذاتي للجدة وقيمة المنتج لفعل معين<sup>(1)</sup>.

وفي عمل لاحق أكد "سترنبرج" (2006م) بأن هناك خمسة قواسم مشتركة في بحوث الإبداع في كل أنحاء العالم. أولاً: يتضمن الإبداع التفكير الذي يهدف إلى إنتاج أفكار أو منتجات تكون جديدة نسبياً في بعض الجوانب ومقنعة.

ثانياً لدالإبداع بعض عناصر النطاق المحدد والنطاق العام، وهذا القول يحتاج إلى بعض المعرفة المحددة، ولكن هناك بعض عناصر الإبداع تتقاطع وتشمل المجالات المختلفة. ثالثاً الإبداع قابل للقياس على الأقل إلى حد ما. رابعاً: يمكن تطويره وتعزيزه. خامساً ليست مكافأة الإبداع بدرجة كبيرة في المستوى التطبيقي، كالمفترض أن تكون عليه في المستوى النظري<sup>(2)</sup>.

وفي الولايات المتحدة نشرت اللجنة الاستشارية القومية للتعليم الإبداعي والثقافي تقريراً أكثر تفصيلاً، وهم يؤكدون أن عملية الإبداع لها أربع خصائص، خيالي: حيث إنه ينطوي دائماً على الخيال؛ لأنه عملية توليد شيء أصيل وجديد، هادف: وضع الخيال في الفعل نحو النهاية ينتج شيئاً أصيلاً فيما يتعلق بالعمل السابق للفرد ولجماعة الأقران أو النظراء أو استنتاجات لسبق الفرد في مجال معين، وأخيراً فإن له قيمة من حيث الهدف الذي وُضِعَ من أجل تطبيقه، ولا يشمل الإبداع فقط توليد الأفكار، ولكن تقييمها والبت فيها لاختيار أفضلها<sup>(3)</sup>.

وهناك. بالتالي. إجماع معين على بعض خصائص وسمات الإبداع، ويبدو واضحاً أنه يرتبط بإنتاج شيء جديد وذو قيمة. أيضاً. إن هناك اتفاقاً معيناً على أنه بإمكان الفرد أن يكون إبداعياً إلى حد ما، ومع ذلك برغم معالجة "ماير" (1999م) في مراجعته لموجز "استرنبرج" "على الرغم من الاتفاق على التعريف الأساسي للإبداع، فهناك الكثير من الأسئلة التي توضح وتعرض تنوع الميدان والمؤلفين، وأن لها إجابات مختلفة" كما أشار "ماير" أن دراسات الإبداع يمكن أن تشير إلى الإبداع الشخصي، الاجتماعي، حيث يشير الإبداع الشخصي إلى إبداع شيء جديد فيما يتعلق بالشخص الذي يبدع المنتج، بينما الإبداع الاجتماعي يشير إلى شيء جديد ومفيد فيما يتعلق بالبيئة الاجتماعية والثقافية، حيث يتم إنتاجها. وأكدت "Naccce" 1999م، أن الإبداع ينطوي على الأصالة في ثلاثة أشكال محتملة "الفردية، النسبية، التاريخية" الإبداع الفردي تزامن مع تعريف ماير للإبداع الشخصي، ويشير النسبي إلى الأصالة المتعلقة بأقرانهم في نفس المجال، وأخيراً التاريخي يشير إلى الأصالة في منتجات فرد معين في مجال معين. وصنف "سترنبرج" (1999م)، الإسهامات الإبداعية في العلوم إلى ثمانية أنواع مختلفة تختلف نوعياً فيما يتعلق بالسياق، حيث يتم إنتاجها<sup>(4)</sup> وتختلف بحسب تأثيرها على التخصص<sup>(5)</sup>.

وأنواع الإسهامات الثمانية يمكن تصنيفها في ثلاثة تصنيفات رئيسية: قبول النماذج الإرشادية الحالية، رفض النماذج الإرشادية الحالية، ومحاولة دمج النماذج الحالية المتعددة، وبالإضافة إلى ذلك أشار "ماير" (1999م) إلى أن هناك حاجة إلى توضيح كون الإبداع امتلاكاً للأفراد المنتجاً لعملية، ويؤكد أن هذا يتوقف على الافتراض، وقد استخدم أساليب مختلفة لدراسة الإبداع<sup>(6)</sup>.

(1) Ford, C.M. (1996). A Theory of Individual Creative Action in Multiple Social Domains, Op. Cit., P. (1115).

(2) Sternberg, R. J. (2006). Introduction. In J. C. Kaufman and R. J. Sternberg (eds) The International Handbook of Creativity, P. (2).

(3) Ernesto, V. (2008). On Creativity Towards an Understanding of Creativity and its Measurements, Op. Cit. P. (13. 14).

(4) Ernesto, V. (2008). On Creativity Towards an Understanding of Creativity and its Measurements, Op. Cit. P. (15).

(5) Starko, A. J. (2010). Creativity in the Classroom Schools of Curious Delight, Op. Cit. P. (10).

(6) Ernesto, V. (2008). On Creativity Towards an Understanding of Creativity and its Measurements, Op. Cit. P. (15. 16).

خاتمة:

أن الهدف من هذه القراءة النظرية للإبداع هو التأكيد على أهميته كبعد محوري لكل من الأفراد والمؤسسات التي تريد البقاء ولديها من القدرة على إستخدام المتاح وابتداع أشياء جديدة، فكان من الضروري بمكان الإهتمام بالإبداع من أجل مواكبة كل التطورات السريعة في هذا العصر، فيرجع أهتمام الباحثين بأهمية الإبداع والحاجة الي رعاية الفرد من هذه الناحية، وظهر ذلك من خلال تعريفه وتحديد مستوياته والرؤي المختلفة في تناول تعريفه.

قائمة المراجع:

1. Baek, K. & Brian, J. (2007). **The Impact of Contextual and Personal Characteristics on Employee Creativity in Korean Firms**, University of Minnesota.
2. Chua, R.Y.J. (2013). **The Costs of Ambient Cultural Disharmony: Indirect Intercultural Conflicts in Social Environment Undermine Creativity**, *Academy of Management Journal*, Vol. 56, No. 6.
3. De Dreu, C. K. W. (2010). **Human Creativity: Reflections on the Role of Culture**, the International Association for Chinese Management Research.
4. Drazin, R. & Glynn, M.A & Kazanjian, R.K. (1999). **Multilevel theorizing about creativity in Organizations: A Sense making Perspective**, *The Academy of Management Review*, Vol. 24, No. 2.
5. Erez, M. & Nouri, R. (2010). **Creativity: The Influence of Cultural, Social, and Work Contexts**, *Management and Organization Review*.
6. Ernesto, V. (2008). **On Creativity Towards an Understanding of Creativity and its Measurements**, European Commission Joint Research Centre.
7. European Affairs (2009). **The impact of culture on creativity**, A Study prepared for the European Commission (Directorate. General for Education and Culture).
8. Fasnacht, P.H. (2003). **Creativity: A Refinement of the Concept for Nursing Practice**, *Journal of Advanced Nursing*, Vol. 41 (2).
9. Fischer, G. & Giaccardi, E. & Eden, H. & Sugimoto, M., & Ye, Y. (2005). **Beyond binary choices: Integrating individual and social creativity**. *International Journal of Human. Computer Studies*, Vol. 63 .
10. Ford, C.M. (1996). **A Theory of Individual Creative Action in Multiple Social Domains**, *The Academy of Management Review*, Vol. 21, No. 4.
11. Glăveanu, V. P. (2011). **Creating Creativity: Reflections from fieldwork**, *Integr Psych Behav*, Vol (45).
12. Glăveanu, V. P. (2012). **Creativity and culture: Towards a cultural psychology of creativity in folk art**, A thesis submitted to the Institute of Social Psychology of the London School of Economics for the degree of Doctor of Philosophy, London.
13. Hempel, P.S. & Sue . Chan, C. (2010). **Culture and the Assessment of Creativity**. *Management and Organization Review*, Vol. 6 (3).

14. Ingold, T. & Hallam, E. (2007). **Creativity and cultural improvisation: An introduction**. In E. Hallam & T. Ingold (Eds.), *Creativity and Cultural Improvisation*.
15. Kaufman, G. (2004). **Two Kinds of Creativity - But Which Ones?**. *Creativity and Innovation Management*, Vol. 13, No. 3.
16. Kim, K. H. (2006). **Can we trust creativity tests? a review of the Torrance tests of creative thinking (TTCT)**, *Creativity Research Journal*, Vol. 18, No. 1.
17. Liep, J. (2001). **Introduction**, In J. Liep (Ed.), *Locating cultural creativity*, London, Pluto Press.
18. Lubart, T. (1999). **Creativity across Cultures**, in R.J. Sternberg *Handbook of Creativity*, Cambridge University Press.
19. Lubart, T. (2010). **Cross. Cultural Perspectives on Creativity**, in James C. Kaufman, and Robert J. Sternberg (ed), *The Cambridge Handbook of Creativity*, Cambridge University Press.
20. Maddux, W.W. & Galinsky, A. D. (2009). **Cultural Borders and Mental Barriers: The Relationship between Living Abroad and Creativity**, *Journal of Personality and Social Psychology*, Vol. 96, No. 5.
21. McFadzean, E. (2001). **Critical factors for enhancing creativity**, *Strategic Change*, Vol. 10.
22. Murad, J. & West, D. (2004). **The Definition and Measurement of Creativity: What Do We Know?**, *Journal of Advertising Research*.
23. Necka, E. & Grohman, M. & Slabosz, A. (2006). **Creativity studies in Poland**. In J. C. Kaufman & R. J. Sternberg (Eds.), *The international handbook of creativity*, New York: Cambridge University Press.
24. Niu, W. & Sternberg, R. G. (2001). **Cultural influences on artistic creativity and its evaluation**, *International Journal of Psychology*, 2001, 36 (4).
25. Perry, J. E. & Shalley, C. E. (2003). **The Social Side of Creativity: A Static and Dynamic Social Network Perspective**, *The Academy of Management Review*, Vol. 28, No. 1.
26. Pirola Merlo, A. & Mann, L. (2004). **The relationship between individual creativity and Team Creativity: aggregating across people and time**, *Journal of Organizational Behavior*, 25.
27. Plucker, J.A. & Makel, M. C. (2010). **Assessment of Creativity**, in James C. Kaufman, and Robert J. Sternberg (ed), *The Cambridge Handbook of Creativity*, Cambridge University Press.
28. Prentky, R. A. (2001). **Mental illness and roots of genius**, *Creativity Research Journal*, Vol. (13).
29. Raina, M. K. (1999). **Cross. Cultural Differences**, in Mark A. Runco, Steven R. Pritzker (ed), *Encyclopedia of Creativity*, London, Academic Press.
30. Rao, K.S (2012). **Relationship Between Socio . cultural Environment And Creativity Of Secondary School Pupils Of Bangarpet Taluk**, *Indian Streams Research Journal*, Vol. 2, Issue. 9.
31. Runco, M. A. (2007). **Creativity. Theories and Themes: Research, Development and Practice**. Amsterdam: Elsevier.

32. Shah, S. (2013). **Creativity across cultures: A comparison of cognitive creativity to creative achievement between the United States and India**, UNF Theses and Dissertations.
33. Shalley, C. E. & Gilson, L.L. (2004). **What leaders need to know: A review of Social and Contextual Factors that can Foster or Hinder Creativity**, *The Leadership Quarterly*, Vol. (15).
34. Starko, A. J. (2010). **Creativity in the Classroom Schools of Curious Delight**, New York, Routledge.
35. Sternberg, R. J. (2006). **Introduction**. In J. C. Kaufman and R. J. Sternberg (eds) *The International Handbook of Creativity*.
36. Totrakarntrakul, R. & Yan Sze Lang, J. (2008). **Leadership influencing Organizational Creativity: . The Case of IKEA**, *The Business Program Leadership and Management in International Context*, Baltic Business School.
37. Zha, P. & Walczyk, J.J. & Griffith . Ross, D. A. & Tobacyk, J.J. & Walczyk, D. F (2006). **The impact of culture and individualism . Collectivism on the Creative Potential and Achievement of American and Chinese Adults**, *Creativity Research Journal*, Vol.



## المنتجات المحلية الطبيعية بالواحات :

### مقاربة سوسيو-اقتصادية للتمور بواحة درعة الأوسط

## Local natural Product in osasses :A socio-economic approach to the production of dates in The middle Draa oasis

محمد اوبها، طالب بسلك الدكتوراه /جامعة الحسن الثاني المحمدية، المغرب

Mohamed OUBAHA, PhD student at Hassan II university, Mohammedia, Morocco

#### ملخص :

يتناول هذا المقال موضوعا مهما يرتبط بالمنتجات الطبيعية في الواحات وخاصة واحات الجنوب الشرقي للمغرب، فهذه الواحات تزخر بالعديد من الموارد الطبيعية التي يمكن الاعتماد عليها من أجل تحقيق تنمية مستدامة بالمنطقة، ومن أهم هذه الموارد التمور التي تعد الركيزة الأساسية للاقتصاد الواحي بدرعة الأوسط؛ إذ أنها تشكل الغذاء الرئيس للسكان بالمنطقة، وتحظى بالطلب من كل المدن المغربية؛ بل إن منها أنواعا توجه وتصدر نحو الخارج، ومنها أنواع مصنفة على المستوى العالمي، لكن هذه الثروة الطبيعية معرضة لكثير من الإكراهات، منها ما هو طبيعي مثل الجفاف والتصحر ومنها ما يتعلق بالأمراض والأوبئة وأخطرها الإصابة بمرض البيوض. هذا المرض الفتاك الذي دمر أعدادا كبيرة من النخيل بالواحة، إضافة إلى أمراض أخرى لا تقل خطورة عن السابق. ولهذا يأتي هذا المقال من أجل التعريف بأهمية التمور في تنمية اقتصاد واحة درعة الأوسط وأيضا للوقوف على الإكراهات التي تعانها التمور بهذه الواحات.

الكلمات المفتاحية: المنتجات الطبيعية- التمور- الواحات- درعة الوسطى- التنمية الاقتصادية.

#### Abstract :

The present article addresses a very important topic related to the local natural products, specifically the product of "Dates" in Draa oasis in the south of Morocco. Draa is well known for its rich natural resources - if valued - would help in the sustainable development of the region. For example, the production of dates is at the top of the economy of this area. Dates of draa region are on demand in other parts of the country and abroad for their good quality. However, these natural resources in this southern area face many natural challenges such as: deforestation, drought and lack of water as well as other diseases that affect palm trees like "Bayoud" which is a disease that destroys hundreds of palm trees in the oasis each year. Thus, this article sheds light on the importance of date in the economy of Draa oasis and meanwhile tackles some challenges that face this important product in the oasis areas.

**Keywords:** natural products, dates, oases, central Draa, economic development.

## مقدمة :

شكل النخيل -ولازال- أهمية خاصة لدى سكان واحة درعة، باعتباره مادة اقتصادية حيوية، يصعب الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، فبفضله تمكنت المجموعات البشرية التي تعاقبت على تدمير واحة الوادي من إقامة نشاط زراعي متميز، على طول الشريط الرسوبي الممتد على ضفاف وادي درعة. كما تميز نخيل درعة بمردوديته الكبيرة، وأصنافه المتعددة ذات الجودة العالية، بذلك شكل نقطة مميزة لهذه المنطقة، تذكر كلما ذكر التمر.

46

فأهمية النخيل لا تقتصر على إنتاج التمر، من أجل الاستهلاك فقط، بل لأن له أهمية إيكولوجية وبيئية، وتراثية اجتماعية، واقتصادية مادية، لا يمكن تعويضه بأي نبات آخر. بفضلته تنبت باقي الزراعات الأخرى، حيث يلفظ من قساوة المناخ الجاف الذي يسود المنطقة. وبالتالي يوفر مناخا محليا، تنفرد به هذه الواحة. ناهيك عن أهمية التمر من الناحية الغذائية والبيولوجية للإنسان والحيوان، كما أشارت إلى ذلك الكتب السماوية، وأيضا بعض الديانات القديمة، وكتب الطب والفلاحة، وعززته الأبحاث الجارية في مجال التغذية.

إن نخيل التمر يشكل العمود الفقري للحياة المعيشية للسكان بواحة درعة، فهو طعامهم الأساسي في التغذية اليومية، ولذلك تحظى النخلة بعناية خاصة منذ مرحلة الغرس إلى مرحلة الإثمار، ثم الجني والتسويق أو التخزين، وتحاط بطقوس خاصة على جميع المستويات الثقافية أو الدينية.

وبالرغم من هذه الأهمية، فالدراسات في هذا الموضوع لم تظهر إلا متأخرة على يد الجغرافيين والباحثين في مجال الزراعة، خاصة بعد تضرر النظام الواحي. أما المصادر التاريخية فتذكر التمور والنخيل في إشارات قليلة حول بعض أصنافها، أو مجال تسويقها، أو في ذكر بضائع التبادل التجاري. من هنا يصبح موضوع التمور بهذه الواحة بحاجة إلى دراسة معمقة من منظور تاريخي، بغية فهم دوره الاقتصادي -الاجتماعي عبر التاريخ.

## الإشكالية :

يطرح هذا المقال إشكالية تنطلق من الحاضر لمساءلة الماضي، مع الرغبة الملحة في استشراف المستقبل، حول تمور واحة درعة، ويمكن إجمالها في الأسئلة التالية: ما هو واقع إنتاج التمور بواحة درعة؟ كيف تفاعل الإنسان الدرعي مع خصوصيته المجالية؟ ما هي الأهمية التي تكتسبها شجرة النخلة ضمن النظام الاقتصادي والاجتماعي الواحي بدعة؟ ما هي خصائص إنتاج التمور، وأصنافها، وأوجه استعمالها بواحة درعة؟ ثم ماهي الإكراهات التي تواجه إنتاج التمر من حيث الآفات الطبيعية، وعلى مستوى التسويق؟

## 1. درعة الوسطى الموقع والمعطيات التضاريسي

## 1- الموقع الجغرافي



خريطة رقم 1 : توطين واحات درعة الوسطى

وتقع منطقة درعة في الجنوب الشرقي للمملكة المغربية على طول وادي درعة، وهي منطقة شبه صحراوية. وتشكل واحات وادي درعة الحلقة الوسطى في سلسلة الواحات الصحراوية، التي تمتد في الجنوب المغربي على شكل هلال كبير، من وادي نول غربا إلى بلاد توات شرقا، حيث يفتح هذا الهلال على إفريقيا السوداء. هذا الموقع سمح لواحات درعة بالقيام بدور الوسيط التجاري بين إفريقيا السوداء والمناطق الصحراوية في الجنوب، والمناطق الجبلية في الشمال.

وتتكون واحة درعة الوسطى من ست واحات، وهي من الشمال إلى الجنوب: واحة مزكيطة<sup>1</sup>، واحة تنزولين<sup>2</sup>، واحة ترناتة<sup>3</sup>، واحة فزواطة<sup>4</sup>، واحة اكتاوة<sup>5</sup>، واحة المحاميد<sup>6</sup>. وتمتد هذه الواحات الست على مساحة تناهز 240 كلم تفصل بين هذه الواحات مجموعة من الخوانق تدعى محليا بالفم<sup>7</sup>.

## 2- مناخ قاري وجاف

يتسم مناخ واحات درعة بالطابع القاري الصحراوي، إلا أنها تستفيد بشكل كبير من المياه المنحدرة من قمم الأطلس الكبير عبر أنهار دادسورزازات، الذي ينحدر من جبل سيروا، وعندما تتجمع المياه بمنطقة تَأْغِيَابًا فَالْأَنْدَرَى تنساب منحدره عبر الوادي لتهب الحياة للسكان المستقرين بالواحات الخصبة على حفاقي نهر درعة، وقد ساهم هذا الموقع الجغرافي لواحة درعة

<sup>1</sup>- واحة مزكيطة الواحة العليا من نهر درعة الأوسط، تبدأ عند مخرج وادي درعة من صاغرو، افلا ندرا، حتى فم تانسخت على مساحة 34 كلم، يصل أقصى اتساع لها إلى 150 كلم وأدناه 110 كلم وتبلغ مساحتها الكلية 4752 هكتار منها 2368 مسقية.

<sup>2</sup>- واحة تينزولين: هي أطول واحة ضمن مجال درعة الأوسط، تبدأ من تانسخت على مساحة 48 كلم إلى فم ازلاك، تصل مساحتها إلى 7037 هكتار منها 4429 هكتار مسقية.

<sup>3</sup>- واحة ترناتة: تمتد من فم ازلاك إلى فم زاكورة على طول 30 كلم مساحتها 8485 هكتار، المجال الفلاحي منها هو 6190 هكتار.

<sup>4</sup>- واحة فزواطة: تبلغ مساحتها الكلية ب 8281 هكتار، تمتد على طول 37 كلم من فم زاكورة حتى فم تقات.

<sup>5</sup>- واحة كتاوة: هي الواحة الماقبل أخيرة في مجال درعة الأوسط، تنتشر على طول 25 كلم من فم تقات، وزاوية وادي درعة حيث يغير مجراه إلى الغرب، إلى فم تدري، وهي الأولى من حيث المساحة الزراعية (10962 هكتار).

<sup>6</sup>- واحة المحاميد: هي آخر واحة في اتجاه الجنوب، وهي اصغر واحة من حيث الامتداد المجالي بين جميع الواحات.

<sup>7</sup>- أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17 إلى مطلع القرن 20: دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، مؤسسة آفاق الدار البيضاء، 1994، ص 31.

في جعلها معبرا لأهم هجرات القبائل البدوية المترحلة، ومحطة أساسية في حركة القوافل التجارية بين وادي درعة وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، أو بين درعة وما يجاورها من سوس وتافيلالت ودادس.

وتميزت واحة درعة باستقرار بشري قديم وبتنوع أصول ساكنتها وتعايشها منذ زمن طويل، وهو ما أثمر غنى على مستوى الثقافة المحلية.

ويعتبر واد درعة المجمع الأساسي لمياه مختلف الروافد الآتية من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير، وخاصة دادس ومكون، ثم واد المالح وإميني. ويصنف وادي درعة عادة من الأنهار الشبه صحراوية، وهو بذلك يشبه وادي زيز وكير وغريس. وقد وردت إشارات إلى هذا الوادي في كتابات المؤرخين والجغرافيين القدماء، حيث نجد أن المؤرخ الإغريقي بوليب (polybe) في القرن الثاني قبل الميلاد يذكر نهري درعة (Darat) وماسة (Masata)، وهو نفس الشيء الذي نجده عند بلين الشيخ (Pline l'Ancien). وفي القرن الخامس الميلادي حوالي 417م، نجد إشارة لبول أوروز (P.Orose) في تواريخه<sup>2</sup> إلى نهر درعة (Dara).

النخيل التمر بوادي درعة: أصله وأهميته

## 1. الموطن الأصلي للنخلة

تشير جميع الدراسات في علم النبات والفلاحة، أن الموطن الأصلي لشجرة نخلة التمر غير معروف. وتتضارب بشأنه الآراء، فكتاب (الفلاحة النبطية)<sup>3</sup> لابن وحشية<sup>4</sup> يورد نقلا عن ماسي السوراني، أن النخلة نبات شرقي قدم من فارس والبلاد المحاذية لها، يقول في ذلك: "وقد زعم قوم أن أصل النخلة كله في الأرض إنما كان من جزيرة من جزائر البحر محاذية لبلاد فارس في البحر يقال لها خرکان، وأن الناس وجدوا النخل فيما قد نبت لنفسه بلا زارع فنقلوه واتخذوه في أرض فارس زراعا وغرسا فأفلق وكثر وانتشر، واتخذه الناس بعد ذلك في بلدانهم، فتنوع باتخاذ الناس له حتى صار على هذه الكثرة من أنواعه"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أكرير (عبد العزيز)، دور درعة التجاري قديما، ضمن ندوة حوض درعة ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير 1996. ص 27

<sup>2</sup> نفسه، ص 28.

<sup>3</sup> كتاب الفلاحة نادر الوجود كاملا، واختلف الباحثون فيمن ألفه فمنهم من ينسبه إلى فوفامي، وعندما نقله العرب إلى لغتهم حصلت عليه بعض التغييرات، وأن زمان وضعه كان حوالي ابتداء القرن الثالث عشر قبل المسيح، فيما يذهب آخرون إلى أن الكتاب هو لجملة من المؤلفين، أنظر أحمد عيسى، النبات عند العرب، منشورات كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة 2013، ص 122. والنسخة التي اعتمدنا في هذا البحث هي "كتاب الفلاحة المنحولة إلى ابن وحشية، تحقيق توفيق فهد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1995، الجزء الثاني من الصفحة 1339 إلى 1453 وهو الباب الخاص بالنخيل.

<sup>4</sup> ويعرف أبو بكر أحمد (بابن وحشية)، وقد نقل كتاب الفلاحة من الكسدانية/النبطية، إلى العربية، حيث أملاه على ابن محمد الزيات سنة 318هـ فقال له: اعلم يا بني إني وجدت هذا الكتاب في كتب الكسدانيين، يترجم معناه، فلاحه الأرض وإصلاح الزرع والشجر والثمار، ودفع الآفات عنها، وكانوا هؤلاء الكسدانيين أشد غيرة علما، لئلا يظهر هذا الكتاب، فكانوا يخفونه بجهدهم، وكان الله عز وجل قد رزقني من المعرفة بلغتهم ولسانهم، فوصلت إلى ما أردت من الكتب بهذا الوجه، وكان هذا الكتاب عند رجل متميز، فأخفى عني علمه، فلما اطلعت عليه لمته في إخفاء الكتاب عني، وقلت له: إنك إن أخفيت هذا العلم عني ومر ومضى، ولا يبقى لأسلافك ذكر وما يصنع الإنسان بكتبه عنده لا يقرؤها ولا يخلي من يقرؤها فهي عنده بمنزلة الحجارة والمدر... فجعلت انقل كتابا بعد كتاب، فكان أول كتاب نقلته ذواناي البابلي، في معرفة أسرار الفلك والأحكام على حوادث النجوم، ونقلت كتاب الفلاحة بتمامه وكماله لاستحساني له وعظيم ما رأيت في فائدته" أحمد عيسى، النبات عند العرب، كلمات عربية للترجمة والنشر، ص 122.

<sup>5</sup> كتاب الفلاحة النبطية، الترجمة المنحولة إلى ابن وحشية، تحقيق توفيق فهد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق 1995، الجزء الثاني، ص 1341

## 2. الأهمية البيولوجية والغذائية للتمر

لقد ذكرت الكتب السماوية القيمة الغذائية للتمر، وخصته بمكانة متميزة مقارنة مع باقي الفواكه الأخرى، ففي سورة مريم الآية 25 يقول عز وجل "وهزي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، فكلي واشربي وقري عينا" (الآية)، ولعل إichاء الله سبحانه وتعالى لمريم أن تهز إليها بجدع النخلة فيتساقط عليها رطبا جنيا، كان إعجازا طبيا، فقد أثبت الطب الحديث احتواء التمر على هرمون أنثوي يزيد من انقباضات الرحم أثناء الولادة، وبذلك يقلل من متاعب الأم.<sup>1</sup>

أما كتب الطب والفلاحة، فقد أثبتت القيمة الغذائية للتمر، فهذا قول ابن وحشية وقد تطرق بتفصيل إلى الفوائد الغذائية والطبية للتمر، في تعليق عن صحة العرب، وقوة أبدانهم، ناسبا ذلك إلى غذائهم المتميز "وغذاء هؤلاء المصححين وهؤلاء المعمرين هو التمر والرطب واللبن".<sup>2</sup> ثم يضيف في موضع آخر "إن التمر يغذي الأبدان غذاءا حسنا جيدا، ويسمن بعض الناس عليه، وتخصب أبدانهم، ويقون زيادة قوتهم، وليس ذلك إلا لموافقة طبيعة النخل طبيعة الإنسان، وقبول بدن الإنسان لما يكون من ثمار النخل".<sup>3</sup>

ويقول صاحب عمدة الطبيب في معرفة النبات أثناء حديثه عن أهمية النخيل: "وأجزاء النخل كلها قابض يصلح للقبض من قطع الدم والإسهال ودبغ المعدة، ورد نتوء المقعدة والرحيم".<sup>4</sup> وفي كتاب "نباتات طبية ذكرتها الكتب السماوية" لصاحبه مظفر أحمد الموصلي يقول: «التمر دواء لأمراض مختلفة في المسالك البولية والجهاز الهضمي، ويداوي أمراض الصدر والرئتين، ويمنع الإمساك وتقبض الأمعاء...».<sup>5</sup>

ومن خواص التمر أيضا أنه يسكن الإعياء والإعانة على المشي الطويل والتقوية عليه. يقول ابن وحشية نقلا عن سفونجا الفيح: « ما وجدت شيئا سكن عني الإعياء أكثر مثل التمر ».<sup>6</sup>

كما أن التمر له أهمية بالغة في معالجة أوجاع الطفل وتسكن آلامه، يقول ابن وحشية في هذا الصدد: "ونرى عيانا أن العرب وغيرهم ممن اعتاد أكل التمر يغذون به صبيانهم، أعني الأطفال، المولود كما يغذوهم باللبن ويستشفون به من أوجاع أمراض كثيرة، منها أوجاع الخاصرة ووجع الظهر، وفي تليين الطبع إذا استحجر الغذاء في الجوف، فإن ثمرة النخلة واللبن يلينان ذلك تليينا بليغا ويعينان على إخراجهم... وهم (العرب الذين يتناولون التمر) جيدي القريحة سريعي الأجوبة"<sup>7</sup>

ليس التمر نافع لبدن الإنسان فقط، بل للحيوان أيضا. حيث يقول صاحب الفلاحة النبطية: " وفي التمر كله خاصية في تسمين الجمال والحمير، وأكثر دواب الخف والحافر والخنازير وغير ذلك من البهائم، إذا أُلّف أكل التمر وأدمنه فإنه يسمنه ويكسبه شحما كثيرا ... فإذا أدمنه مدمن زاد في بدنه ثم زاد شحما"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup>- مظفر أحمد الموصلي، نباتات طبية ذكرتها الكتب السماوية، دار ابن الأثير للطباعة والنشر في جامعة الموصل العراق، 2007، ص 62

<sup>2</sup>- ابن وحشية، الفلاحة النبطية، مصدر سابق، ص 1432.

<sup>3</sup>- نفسه، ص 1431.

<sup>4</sup>- الإشبيلي أبو الخير (ق 6/12م)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدم له وحققه وأعاد ترتيبه محمد العربي الخطابي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، 1990، ص 508.

<sup>5</sup>- مظفر أحمد الموصلي، مرجع سابق، ص 62.

<sup>6</sup>- ابن وحشية، الفلاحة النبطية، مصدر سابق، ص 1431، يذكرنا هذا بأن الزاد الأساسي لسكان درعة، حيث يكون زاد الفلاح الذي يقضي يومه في الحقل، وأيضا للرعاة وراء غنمه طيلة اليوم قليلا ما كان يحمل معه الخبز لقلته كما أشار إلى ذلك حسن الوزان ومرمول كربخال.

<sup>7</sup>- نفسه، ص 1432.

<sup>8</sup>- نفسه، ص 1431.

ولأهميته هذه فإنه غذاء حيوانات أهل درعة، كما هو ظاهر في الحياة اليومية وكما تذكره المصادر التاريخية، يقول صاحب "إفريقيا" في ذلك: "ويكون (أي التمر) الغذاء الأساسي لأهل المنطقة، خلال شطر هام من السنة...تختلف أثمانه باختلاف أصنافه...أما أرداد الأثمار فتستعمل علفا للخيل والإبل بدلا من الشعير"<sup>1</sup>. وتبرز القيمة الغذائية للتمر من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 1: محتوى 100 جرام تمر طازج وسهلة الهضم

سكريات كلية	سكريات مختزلة	سكروز	جليكوز	فريكتوز	بروتين	دهون	ألياف
80	74	6	34	35	2.2	3.7	1.9

المصدر: عوض محمد أحمد عثمان، تطوير وإنتاج التمور، ضمن ندوة النخلة، ص 353.

يوضح الجدول إذن، أن التمور تحتوي على كميات قليلة من البروتينات والدهون، وبالتالي فإن تناول التمر مع الحليب يكون غذاء كاملا ومثاليا لاحتوائه كافة العناصر الغذائية، إضافة إلى كمية مهمة من الألياف.

جدول رقم 2: محتوى 100 جرام تمر طازج من الفيتامينات والأملاح المعدنية

عناصر نادرة بالملح				أملاح معدنية بالملح					فيتامينات			
فلورين	نحاس	منغنيز	حديد	Mg	كبريت	بوتاسيوم	فوسفور	كالسيوم	A	B7	B2	B1
0.13	2.4	4.9	3.5	96	15	798	14	167	80	مايين 7و-6	38	35

المصدر: عوض محمد أحمد عثمان، تطوير وإنتاج التمور، مرجع سابق، ص 354، بتصريف

ويحتوي التمر على نسبة من البوتاسيوم والحديد والكالسيوم والفلورين، كما يحتوي على سكريات الجليكوز، والألياف، ونسبة قليلة من الدهون. لتبيان القيمة الغذائية للتمر لابد من مقارنتها مع بعض الفواكه الأخرى وهذا ما سيوضحه الجدول رقم 3:

جدول رقم 3: القيمة الغذائية لمائة غرام من بعض أنواع الفاكهة مقارنة بالتمر

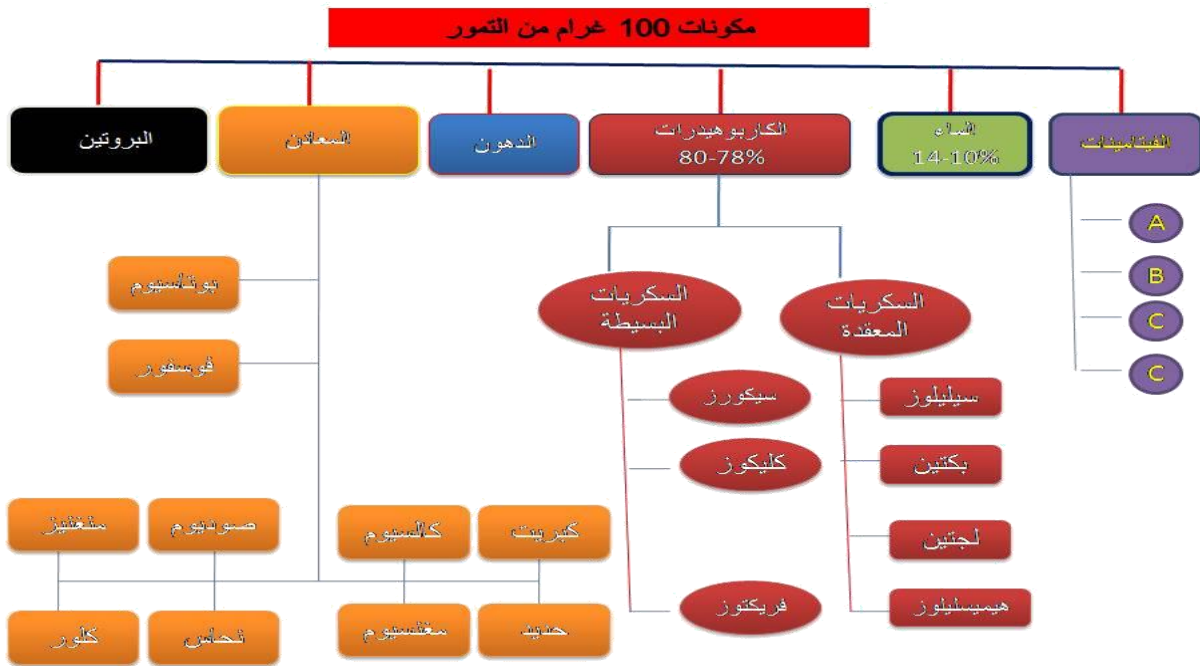
معادن (مليغرام)				(غرام)		السرعات الحرارية	الفاكهة
بوتاسيوم	حديد	فوسفور	كالسيوم	ألياف	السكريات		
648	3,0	63	59	2,3	72,9	274	التمر
370	0,7	26	8	0,5	22,2	85	الموز
200	0,4	20	41	0,5	12,2	49	البرتقال

المصدر: عبد الباسط عودة، واقع زراعة التمور بالوطن العربي، ضمن ندوة النخلة، ص 389.

<sup>1</sup>- مرمول كبرخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زبير واحمد التوفيق واحمد بن جلون، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف الجديدة، 1984، ص 145.

يبين الجدول أعلاه أن التمر يتوفر على كمية مهمة من السعرات الحرارية التي تساعد الإنسان على أداء نشاطه اليومي بشكل جيد، كما أنه يتوفر على كمية مهمة من المعادن، أما نواة التمر التي يبلغ وزنها ما بين 10 إلى 20 بالمئة من التمرة فإنها تحتوي على: " 2,46% من الماء، 62.49% كربوهيدرات، 8.49% دهون، 22.5% بروتين، 16,30% ألياف، 1,12% رماد، وكذلك أحماض منها: 2,3% حمض الميرستيك، 9,5% حمض المالك، 3,3% الستريك، 25,5% حمض الأوليك، 0,8% حمض الكاربون، 24,2% حمض اللوريك<sup>1</sup>، وكل هذه العناصر مفيدة في التغذية، ونلخصها في الخطاطة التالية.

### خطاطة تلخص أهم العناصر الغذائية التي يتوفر عليها التمر



المصدر: تم استخلاص هذه الخطاطة من الجداول السابقة

### 3. واقع إنتاج التمور بالمغرب

#### أ- هم مناطق إنتاج التمر

يعتبر المغرب من بين البلدان الرئيسية المنتجة للتمور في العالم، نظرا لتوفر الظروف المناخية والبيئية الملائمة لزراعة النخيل وإنتاج التمر. وتمتد حقول النخيل على مساحة قدرها 471000 كلم، أي ما يعادل ثلثي مساحة المغرب، ويتمركز معظم النخيل المنتج للتمور جنوب الأطلس الكبير، على شكل واحات تمتد على الأودية (حوض واد زيز، حوض واد درعة..) أو حول الأماكن التي تكثر فيها المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض (باني صاغرو، تافيالالت،..)<sup>2</sup> أما الواحات الأكثر إنتاجا للتمور فهي: واحة تافيالالت، طاطا، فكيك، كلميم، تزينت، وأبرزها واحة درعة.

<sup>1</sup> رضي الدين الغزي، مصباح الفلاح في الطب والزراعة، تحقيق أديب عمر الحصري، دار البشائر الإسلامية، 1997، ص 50

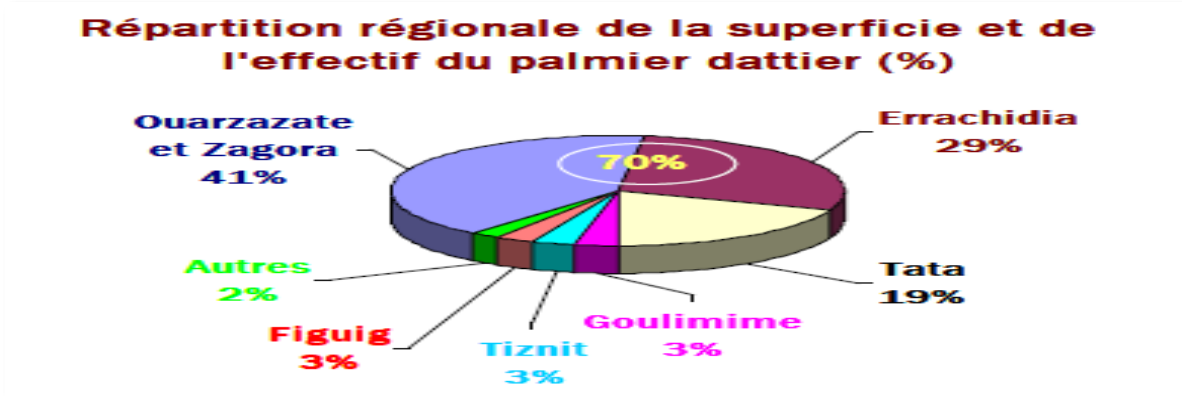
<sup>2</sup> حسناء الحراق وعبد العزيز شطو، دراسة تسويق التمور وتصنيعها واستغلال مخلفات النخيل والتمور ومنتجاتها العرضية بالمملكة المغربية، منشورات المعهد الوطني للبحث الزراعي، الطبعة الأولى، نونبر 2005، ص 32.

جدول رقم 4: يوضح أهم مناطق إنتاج التمر وأهم الأصناف ومتوسط الإنتاج السنوي

الواحات	أهم الأصناف	متوسط الإنتاج السنوي (بالطن) <sup>1</sup>
واحات فكيك	أزيزا - آسيان	1.500
واحات طاطا	بوقفوس- بوزكري- بويوطب	5.000
واحات تافيلالت	بوقفوس- المجهول	35.000
واحات درعة	بوقفوس- بوزكري- الجهل - بوستحي- الخلط -	50.000

المصدر: وزارة الفلاحة والصيد البحري 2009

مبيان رقم 1: توزيع انتاج التمريين المناطق المغربية



المصدر: أطلس التمريض 15

من خلال الجدول رقم 5 والمبيان رقم 1، يتبين أن مجال درعه يحظى بتمثيلية أكبر من حيث أصناف التمر (بوقفوس، المجهول، بوسكري، بورار، بوستحي..). بمتوسط إنتاج يبلغ 50 طن سنويا، وهو ما يعادل نسبة 41 بالمائة من الإنتاج الوطني، ثم تليه تافيلالت بنسبة 29 بالمائة.

ب- أهمية قطاع التمور بالمغرب

تشير بعض الدراسات إلى أعداد النخيل بالمغرب في نهاية القرن 19 كانت تبلغ ما يناهز 15 مليون على مساحة زراعية تبلغ 150 ألف هكتار، كما أن تمور المغرب تتمتع بمكانة عالية في الأسواق العالمية، نظرا لجودتها المرتفعة وأصنافها المتميزة، وهذا ما

<sup>1</sup>- بالنسبة للإنتاج السنوي يخضع لتغير الظروف المناخية، خاصة تساقط الأمطار التي تؤدي إلى ارتفاعه والعكس.

تذكره الدراسة التي قام بها كل من حسناء الحراق<sup>1</sup> وعبد العزيز شطو<sup>2</sup> (2005) عن (Pereau-leroy (1958) "ذكر أن أسواق التمور بلندن (إنجلترا) كانت تمون أساسا بمجهول<sup>3</sup> تافيلالت في أواخر القرن التاسع عشر"<sup>4</sup>، وكان المغرب يحتل الرتبة الثالثة بين الدول المنتجة<sup>5</sup>.

لكن هذا الرقم تراجع بشكل كبير خلال النصف الأول من القرن 20، وهذا ما تؤكدته الإحصائيات الأولى حول قطاع النخيل بالمغرب سنة 1930، حيث تم إحصاء ما بين ستة وسبعة ملايين نخلة<sup>6</sup>، وفي سنة 1950 بلغت حوالي خمسة ملايين نخلة. تعكس هذه الإحصائيات تراجع نسبة النخيل في المغرب، ومن الملاحظ أن معظم أصناف تمر المغرب من الأنواع الممتازة، نوعيا واقتصاديا، ويظهر ذلك من خلال ما أورده جورج سبيلمان الذي كان ضابطا للشؤون الأهلية في أكدز سنة 1933-1934: " فالنخيل يوفر أحيانا تمرا ذا جودة عالية والأنواع الرائجة هي: بوفقوس، والجهم، وأكليد، وجافري، والحموري وبوزكري"<sup>7</sup>.

#### 4. تميز قطاع التمور ضمن النظام الزراعي بواحات درعة

##### أ- خصائص النظام الزراعي بالواحات

يتميز النظام الزراعي في الواحات باندماج شامل بين الزراعات النباتية والمواشي، نظرا للعلاقات الثنائية الهامة التي تربطهما على المستويين الزراعي والاقتصادي، إذ كل واحد منهما يكمل الآخر<sup>8</sup>. وتبدو أسباب هذا الاندماج جد معقولة، لأن الروث الذي تفرزه الحيوانات يشكل مادة ثمينة للحفاظ على خصوبة التربة، التي يستفيد منها كل من النخيل والزراعات المنضمة إليه، كما أن المواشي تلعب دورا استراتيجيا في التسيير المادي للمزارع، فزيادة على المنتجات التي يحصل عليها المزارعون من قطعانهم الحيوانية لتلبية حاجياتهم من الغذاء ومتطلبات الحياة (اللحوم، الحليب، الصوف، الجلود..)، فإن عائدات المبيعات الحيوانية الموسمية تشكل المصدر الأساسي لتموين تكاليف بعض العمليات الزراعية التي يقومون بها، قبل نضج المحاصيل النباتية وخاصة التمور<sup>9</sup>.

يتكون النظام الزراعي بالواحة من ثلاث طبقات نباتية: عليا، متوسطة، وسفليمثل النخيل للطبقة العليا، وتضم الطبقة المتوسطة عددا كبيرا من الأشجار الأخرى أو ما يسمى بالزهريات المثمرة غير النخيل كالزيتون، التين، المشمش، التفاح، الكروم، اللوز، الحوامض... أما الطبقة السفلى فهي كسابقتها تتكون من عدد من الزراعات الموسمية كالحبوب، الحناء، الفصية... فالطابع الزراعي الواحي يطغى عليه طابع الكثافة والتنوع في المساحة الواحدة، والقصد منه الاستفادة القصوى من الموارد النادرة خاصة الأرض والماء، ناهيك عن تلطيف المناخ المحلي بالواحة.

<sup>1</sup>- حسناء الحراق : باحثة في ميدان تكنولوجية التمور بالمعهد الوطني للبحث الزراعي، اختصاص الصناعات الزراعية والغذائية، المركز الجهوي للبحث الزراعي بمراكش.

<sup>2</sup>- عبد العزيز شطو: باحث في ميدان الإنتاج الواحاتي والتسويق بالمعهد الوطني للبحث الزراعي، اختصاص الاقتصاد الزراعي، المركز الجهوي للبحث الزراعي بالقنيطرة.

<sup>3</sup>- تمر المجهول، من الأنواع الممتازة بالمغرب وقد حصل على علامة الجودة العالمية، وينتشر في مناطق درعة تافالالت، وادي زين، الجهة الشرقية، وباني، وهو جد حساس تجاه مرض البيوض.

<sup>4</sup>- حسناء الحراق وعبد العزيز شطو، دراسة تسويق التمور وتصنيعها، مرجع سابق، ص 33.

<sup>5</sup>- نفسه.

<sup>6</sup>- نفسه.

<sup>7</sup>- جورج سبيلمان، أيت عطا الصحراء و"مهدنة" درعة العليا، ترجمة محمد احدي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ابن زهر اكادير، الطبعة الثانية، 2011، ص 34.

<sup>8</sup>- حسناء الحراق وعبد العزيز شطو، دراسة تسويق التمور وتصنيعها، مرجع سابق، ص 41.

<sup>9</sup>- نفسه، ص 42.

## ب- أصناف التمور

تعد منطقة درعة من بين المناطق المهمة لإنتاج التمر بالمغرب، حيث يبلغ متوسط الإنتاج 50.000 طن سنويا<sup>1</sup>. وتشمل المساحة الإجمالية التي تشغلها زراعة النخيل المنتج للتمور 40 ألف هكتار، وهو ما يعادل 26% من المساحات الزراعية المخصصة للأشجار المثمرة. وتتوفر منطقة درعة على 172 صنف محدد من أصل 453 المحدد على المستوى الوطني، أي ما يعادل نسبة 38% كما هو مبين في الجدول رقم 9. أما الأصناف الخاصة بمنطقة درعة فتبلغ 85 صنف من أصل 453، أي ما يعادل نسبة 19%<sup>3</sup>

جدول رقم 5: جرد أصناف التمور بدرعة

النوع	خاص بدرعة	مشترك مع مناطق اخرى	النوع	خاص بدرعة	مشترك مع مناطق اخرى
احرضان	*	*	الحفرة	*	*
اكليد	*	*	أزل	*	*
اكودي	*	*	كناست	*	*
بوفقوس	*	*	اسدام	*	*
بورار	*	*	القبيلة	*	*
بوسكري	*	*	اكنبوح	*	*
بوستحي السوءاء	**	*	الجعفرية/جعفري	**	*
بوزكار	*	*	الضاية	*	*
حفص	*	*	بن سعيد	*	*
ايكلان	*	*	غليضة	*	*
الجهل	*	*	ملالة	*	*
المجهول	*	*	عم بوفقوس	*	*
رأس الحمير	*	*	كرشاوا	*	*
ادومو	*	*	كوداج	*	*
عيسى ليوب	*	*	كونس	*	*
بوخاني	*	*	جافري	*	*
هوا	*	*	الخامرة	*	*
مح البيض	*	*	بكرية	*	*
مكت	*	*	بوتوتوبتلوبانية	*	*

<sup>1</sup>- منوغرافية إقليم زاكورة 2012 وهي آخر منوغرافية متوفرة.

<sup>2</sup>- المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات مارس 2014.

<sup>3</sup>- تم استخراج هذه المعطيات بناء على تحليل المعطيات الواردة في أطلس التمر الصفحات 48، 50 و 89.

*		شتوية/شتوي		*	مستالي
	*	تمان لكرافس	*		ام النجل
	*	مسابو	*		صبع السلطان
	*	خديري		*	بولهنا
	*	طاليا احمد	*		نجدة
	*	إدوان برا	*		تادمينت
	*	تغزوت		*	لعلبضة ليايسة
	*	مولاي الطالب		*	بويوفولوسن
	*	لا حليوا		*	عود الزين
	*	مسترواح		*	كردوجو
	*	عمات الجيمل		*	اسبيا
	*	عم احرضان		*	امرزان
	*	لخضيرة		*	ام تعلي
	*	مهداك		*	بوحيرت الفاضل
	*	لمعسلة		*	امغروس
	*	بن دراعو		*	بوتزرا
	*	امتماماميت		*	بحيرت احبوش
	*	موكوروجي		*	بحيرت الساقية
	*	لحديري		*	ديتيكنزاتين
	*	موكوجان		*	تاكاشكويرت
	*	خلط جنان الدار		*	ساير بوجهلي
	*	خلط شتوية		*	لمصارف
	*	خلط يا حفيض		*	امتصابونت
	*	خلط صبع السلطان		*	تاكنايت
	*	بوحافص		*	أم الكرات
	*	خلط الطاليا احمد		*	الرتاب
	*	خلط تاكلاشت		*	الساير الحمر
	*	خلط حمو خويا		*	المركب
	*	أملال		*	تامر كزوي
	*	وسط جنان		*	تاكركاوت
	*	أغزاف		*	تاسفت

	*	زيري		*	جنب الحيط
	*	تمازوزت		*	كسارات امحاريز
	*	راس العود		*	تازروالت
	*	بن عم الفقوس		*	تينبابا
	*	تامجوعليت		*	تيكمليدودان
	*	امردي		*	ميصوضان
	*	بركي		*	خلط السائر
	*	تاسغارت		*	خلط ساير العيلات
	*	بلمختار		*	عم بوفقوس
	*	بلكيرد		*	جنان الدار
	*	بوحفصة		*	اشريك
	*	تاسيرتنتكوبيت		*	اكافو
	*	بونكار	*		ادمان
	*	تامكيرير		*	اكبو
	*	تاوورت		*	ريبب بوفقوس
	*	تكودجت		*	ريبب المجهول
	*	تالموكرت		*	لملوكا
	*	تنبدة	*		دكلت النور
	*	تسليخت		*	تاسايوت
	*	الخوديري		*	خلط الحفرة
	*	الحموري		*	اكورار/ تاكورارت
	*	البكار		*	ازبلوح
*		كرين غزال		*	خلط بوبالوح
	*	إكهي		*	خلط بوتكما
	*	راس العود		*	خلط بولحنا
	*	الذهبية		*	خلط بوزاك
	*	كولان		*	خلط راس العود
	*	الملحة		*	كرشاوا
	*	تيمزكوود		*	تيمقران
	*	بزيز			تيمكرت
		لكبوري		*	الخيلى

	*	الكومان		*	الكوحيلة
	*	فليكة	*		فيلال
	*	فدواش		*	الموس
	*	تيموزرا		*	تيكمي دودان
	*	اكرفس		*	ركيز

المصدر: تم استخراج هذه المعطيات من أطلس التمر، مرجع سابق، ص 43-44-45-46.

يتبين من خلال الجدول أعلاه أن درعة تتميز بإنتاج أصناف مهمة من التمور (بوقفوس، الجهم، مح البيض، صبع السلطان، راس الحمر...)، حتى أن الفلاح الدرعي نفسه لا يعرف جميع هذه الأنواع، وهو ما يعبر عن غنى وتنوع هذا الموروث الطبيعي. ويذكر الجدول أيضا بعض الأصناف التي تنفرد بها واحات درعة عن باقي المناطق الأخرى بالمغرب مثل أمرزوان، بحيرت الساقية، ريبب المجهول، ملوكا... أما الأصناف المشتركة في الأخرى متعددة، تتميز واحدة درعة باحتضانها لأنواع نادرة من التمر، تميزها عن باقي الواحات الأخرى، وتتميز هذه الأنواع بخصائص متميزة سواء على مستوى الشكل أو من حيث فترة النضج، وقيمة الجودة، وقد جرى تحديد سلوك اتجاه مرض البيوض، كما أن لها أسماء متميزة عن باقي الأصناف الأخرى، تهمل من الإرث المحلي، ونبين هذه الخصائص من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 6: الأصناف النادرة الموجودة فقط بواحات درعه مع ذكر خصائصها من حيث الشكل وحجم التمر وسلوكها تجاه مرض البيوض

النوع النادر	خصائصه
أسدام	ذو شكل بيضاوي، حساس اتجاه مرض البيوض، متوسط الجودة.
الجعفرية أو الجعفري	اسطوانى الشكل، بني اللون، متوسط الجود، مجهول سلوكه اتجاه مرض البيوض.
عود الزين	بني اللون، بيضاوي الشكل، متوسط الجودة، يجهل سلوكه اتجاه مرض البيوض
بوطوطوبتاللبوانية	فاتح اللون، دو جودة متوسطة، بيضاوي معدد، يجهل سلوكه اتجاه مرض البيوض
الشتوية أو الشتوي	دو جودة عالية، لون بني فاتح، بيضاوي متعدد الشكل، يجهل سلوكه اتجاه مرض البيوض
لمعسلة	بني اللون، متوسط الجودة، بيضاوي متعدد الشكل، يجهل سلوكه اتجاه مرض البيوض
موقور يحي	بيضاوي الشكل، لون بني قاتم، جودة متوسطة
موقوجان	بيضاوي الشكل، ضعيف الجودة،
تيعمياضوضان	بيضاوي معدد، ضعيف الجودة
بكرية	بيضاوي، متوسط الجودة، نضج مبكر جدا
الخديرة أو الخديري	بيضاوي الشكل، حساس اتجاه مرض البيوض، متوسط الجودة

لحليوة	متوسط الجودة، بني فاتح، لم يعرف بعد سلوكه اتجاه مرض البيوض
لخديرة	نضج مبكر، متوسط الجودة، لم يعرف بعد سلوكه اتجاه مرض البيوض
أم تهمايت	شديد الحلاوة، متعدد الاستخدامات، بني اللون
أم تصابونت	جودة مرتفعة، شديد الحلاوة، دو لون بني ذهبي
تكنيت	بني اللون، متوسط الجودة، شديد التبيكر، بيضاوي الشكل
تمركزوي	متوسط الجودة، بيضاوي الشكل، بني اللون
تفرقاوت	بني اللون، متوسط الجودة، متعدد الاستخدامات
تصافت	بني اللون، لم يعرف سلوكه اتجاه مرض البيوض، متوسط الجودة
تزلكتو	بني اللون، ضعيف الجودة
تينابا	بيضاوي الشكل، ضعيف الجودة، لم يعرف سلوكه اتجاه مرض البيوض

المصدر: أطلس التمر<sup>1</sup>

يتبين أن مجال درعة يتوفر على أنواع نادرة من أصناف التمر، منها أصناف ذات جودة عالية ومتوسطة، غير أن أغلبها مهددة بمرض البيوض لكونها حساسة اتجاه هذا المرض، وهناك أصناف أخرى لم يتم بعد تحديد سلوكها تجاه هذا المرض، أما من حيث فترة الإنتاج فإن أغلب هذه الأنواع تنتج بشكل مبكر، ونعلم جميعا أن الإنتاج المبكر للتمر يكتسي قيمة تجارية من حيث التسويق المحلي، خاصة إذا تناسب مع بداية شهر رمضان، أو مناسبات أخرى، حيث يتزايد الطلب على التمر. ويبقى السؤال الموضوعي الواجب طرحه ماهي آليات المحافظة على هذه الأنواع النادرة وحمايتها من الاندثار؟

## III. إكراهات إنتاج التمور بدرعة وإستراتيجية الدولة للنهوض بالقطاع

## 1. الإكراهات الطبيعية

تعاني واحات درعة من عدة إكراهات تحد من تطوير قطاع النخيل بوثيرة سريعة، من أهمها عامل الجفاف وندرة الموارد المائية، اللذان يحدان من تطوير هذا القطاع ويظهر ذلك على مستوى إتلاف عدد كبير من الأشجار كما حدث في السنوات القليلة الماضية، الأمر الذي انعكس على المساحات المزروعة وتراجعها. وقد أشارت المصادر التاريخية المحلية إلى هذه الظواهر، دون أن تتوسع في الموضوع،<sup>2</sup> فقد جاء في كتاب الدرر المرصعة للفقير محمد المكي بن موسى الناصري وهو من رجال القرن 12هـ/18م، ذكر هذا الفقيه أن الرمال طمرت قصر تيوبوس بواحة فزواطة، وأن الرمل قد غطى النخل السامق.<sup>3</sup> ومنه نستخلص خطورة الرياح التي تجتاح منطقة درعة، نتيجة ضعف التساقطات وزحف الرمال كنتيجة للجفاف، تؤدي هذه الرياح إلى طمر الآبار والسواقي ومصاريق الري، فتضيع المئات من أشجار النخيل وباقي الأشجار المثمرة، كما هو حاصل في واحة المحاميد المهدة حاليا بالاندثار.

<sup>1</sup>- تم تحديد هذه المعطيات بناء على تحليل المعلومات الواردة في أطلس التمر من ص 157 إلى 185.

<sup>2</sup>- أحمد البوزيدي، تدهور البيئة بواحات درعة من خلال الكتابات المحلية، ضمن ندوة البيئة بالمغرب معطيات تاريخية وأفاق تنموية: منطقة درعة نموذجاً، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 9، 2005، ص 96.

<sup>3</sup>- نفسه، ص 97

إذا كان للجفاف دور سلبي في تهديده للواحات بالزوال، فإن ظاهرة الفيضانات هي الأخرى لا تقل خطورة ذلك أن طبيعة المناخ الجاف السائد في المنطقة يؤدي إلى حدوث فيضانات كبيرة، تجرف معها السواقي وتهدم الأكواك، وتقتلع العشرات من أشجار النخيل، ولقد تطرقت المصادر المحلية إلى ذلك، فصاحب "تاريخ درعة"، الطيب بن لحبيب الملولي، ذكر أنه في شهر ذي القعدة الحرام سنة 1342هـ/1924م سقطت أمطار عاصفية مصحوبة ببرد بمنطقة أولاد جري بالمدخل الشمالي لواحة تيزولين، وتسببت الأمطار في خسائر فادحة حصرها المؤرخ في جرف العديد من الآبار وتهديم عدد من المنازل بزوايا تمسلا<sup>1</sup> وأهلاك الكثير من أشجار النخيل كما جرفت تربة من حقول الزاوية المذكورة.<sup>2</sup>

يتبين من خلال هذه الإشارات المصدرية أن المحيط البيئي، وخاصة شجر نخيل التمر، يتضرر بشكل مباشر من التقلبات المناخية خصوصا الجفاف والفيضانات إذ تؤثر على إنتاج التمر بشكل سلبي، سواء من حيث الكمية أو من حيث الجودة، وهو ما يستوجب اتخاذ تدابير من أجل حماية النظام الواحي والحفاظ على استمراره.

بالإضافة إلى عاملي الفيضانات والجفاف، فهناك تشتت المساحات المزروعة بسبب الانقسامات الإرثية المتتالية، مما يؤدي إلى تعدد القطع الأرضية وضيق مساحتها وتباعد المسافة بينها، مما لا يشجع الفلاحين على إدخال الطرق الحديثة للاستغلال كالمكننة الزراعية، زد على ذلك الفقر الذي يتخبط فيه صغار الفلاحين الذين تعد نسبتهم كبيرة في المنطقة. غير أن هذه المشاكل السابقة تعتبر عامة وتؤثر بشكل عام على الواحة، فماذا عن الأمراض التي تصيب شجر النخيل بشكل مباشر؟

## 2. مرض البيوض

يعتبر مرض البيوض من الأمراض الخطيرة، التي تهدد نخيل التمر في المغرب نظرا لصعوبة مكافحته، سرعته في التوسع والانتشار، ويصيب أساسا الأنواع الممتازة. كما أن الفطر المسبب لهذا المرض يمكن أن يبقى في التربة لعشرات السنين، وقد قضى على ما يفوق عشرة ملايين نخلة في المغرب وأكثر من ثلاث ملايين نخلة بالجزائر،<sup>3</sup> فما هو مرض البيوض وما وسائل انتشاره؟ وما هي أساليب المكافحة الممكنة؟

ينتج مرض البيوض عن فطر أرضي يدعى علميا بـ *Oxysponumf.sp. albdedinis*<sup>4</sup> Fysarium، ويبلغ طوله ما بين 3 و20 ميكرون، وقد ظهر هذا المرض ما بين 1877 و1887<sup>5</sup>، في الواحات الحدودية مع الجزائر وفي واحات درعة. ولم يعرف الفطر المسبب لهذا المرض إلا في سنة 1934، وقد انتشر المرض بشكل كبير في النصف الأول من القرن العشرين (1900-1950) في الواحات الشرقية والجنوبية، وكذلك الواحات الجنوبية الجزائرية. تم اكتشاف آخر بؤرة له سنة 1978 في منطقة غرداية

<sup>1</sup> - زاوية تمسلا، فرع من الزاوية القادرية، بواحة تيزولين، لتزال هذه الزاوية قائمة بوظائفها الي اليوم.

<sup>2</sup> - احمد البوزيدي، تدهور البيئة بواحات درعه من خلال الكتابات المحلية، مرجع سابق، ص 99

<sup>3</sup> - Anjarne .M , La multiplication in vitro du palmier dattier :Un outil de développement des palmeraies marocaines dévastées par la maladie du Bayoud, Actes du Symposium International sur : Le développement durable des systèmes Oasiens, Edition INRA et Ministère de l'Agriculture du Développement Rural, 2005,p80

<sup>4</sup> - Moulay Hassan SEDRA, Le Palmier dattier base de la mise en valeur des oasis au Maroc , techniques phoénicoles et création d'oasis , L'Institut National de la recherche Agronomique, Maroc, 2003, p160

<sup>5</sup> - Moulay Hassan SEDRA, La maladie du Bayoud du palmier dattier en Afrique du Nord : Diagnostic et caractérisation , Actes du Symposium International sur : LE DEVELOPPEMENT DURABLE DES SYSTEMES OASIENS ,Edition INRA et Ministère de l'Agriculture du Développement Rural, 2005, P 25

بالجزائر<sup>1</sup>، وما بين 1995 و 2005 تم اكتشاف عدة بؤر نشيطة للمرض بسبب الطرق المعتادة في ري النخيل، وخاصة في منطقة أدرار بموريتانيا<sup>2</sup>، حيث ظهر أثر المرض في بعض المزارع المصابة.

يقدر عدد النخيل المصاب سنويا بهذا المرض 10 بالمائة<sup>3</sup>، وهو ما يهدد العمود الفقري للاقتصاد بواحات درعة كما تشير بعض الإحصائيات إلى أن مرض البيوض قضى على ثلثي النخيل بواحات درعة منذ ظهوره.

### 3- الحشرة القشرية البيضاء (المن - الناحول - القملية البيضاء)<sup>4</sup>

تنتشر الحشرة على جميع أجزاء النخلة وخاصة السعف والثمار، وتتمثل أضرارها في امتصاص العصارة النباتية وإعاقة عمل ووظيفة التمثيل الضوئي للسعف حيث تغطيه بكمية كبيرة من الحشرات القشرية المتراكمة على بعضها البعض، ومن تم إضعاف النخلة وتقليص مرد وديتها بالإضافة إلى جعل التمور المصابة غير قابلة للتسويق<sup>5</sup>.

تعيش هذه الحشرة داخل قشرة شبه شفافة تحيط بها من كل الجهات، وتضع الحشرة البيض داخل هذه القشرة، وعندما يفقس تخرج اليرقات لتتحول على سطح الجريد لفترة ما، ثم تستقر كل واحدة لتنمو وتفرز قشرتها التي تعيش داخلها. تتكاثر هذه الحشرة بسرعة خلال أربعة أجيال في السنة، ويعتبر الجيل الثالث (نصف شتنب، نصف نونبر) أكثر ضررا للنخلة لتزامنه مع فترة الإثمار.

### 4- سوسة التمر (أو دودة تمر النخيل)

يصعب تحديد الفترة التاريخية لظهور هذه الآفة، فتبدأ الإصابة الأولى للثمار عن طريق وضع بيض فراشة السوسة فوق الثمار مع بداية نضجها ثم تنتشر العدوى خلال مرحلة التجفيف والتخزين، يتراوح مستوى إتلاف التمور ما بين 30 و 40 بالمائة من الإنتاج المحلي المخزن<sup>6</sup>، ولذلك يضطر الفلاح إلى البحث عن أماكن توفر شروط أحسن للتخزين. وتعتبر اليرقة الطور الضار لهذه الفراشة الصغيرة بحيث تتغذى داخل التمرة وتجعلها غير صالحة للاستهلاك<sup>7</sup>.

يمكن استعمال المقاومة البيولوجية، أو الكيماوية عبر رش المبيدات خلال فترة الإصابة (الرشة الأولى في شهر غشت، الرشة الثانية بعد مرور ثلاث أسابيع<sup>8</sup>) باستعمال المواد الفعالة الخاصة بهذا المرض، وفي مرحلة الجني يجب معالجة التمر بعد تجفيفه للقضاء على البيض واليرقات، وتفادي العدوى<sup>9</sup>، وتعبئة التمر بشكل سليم في أماكن توفر شروط أفضل للتخزين.

<sup>1</sup>- Ibid., p26.

<sup>2</sup>- Ibidem

<sup>3</sup>- عزيز بن الطالب، تدهور النظام البيئي بالجنوب المغربي: أي آفاق للتهيئة والتنمية؟ الأطلس الصغير الشرقي نموذجا، ضمن ندوة البيئة بالمغرب معطيات تاريخية وآفاق تنمية : منطقة درعة نموذجا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 9، 2005. ص 117.

<sup>4</sup>-Moulay Hassan SEDRA, Le Palmier dattier base de la mise en valeur des oasis au Maroc. Op.cit. p156.

<sup>5</sup>- عبد المالك زراري، ورقة تقنية حول زراعة نخيل، منشورات المعهد الوطني للبحث الزراعي، 2010، ص 24.

<sup>6</sup>- نفسه، ص 25.

<sup>7</sup>- نفسه

<sup>8</sup>- نفسه

<sup>9</sup>- نفسه

## 5- الرتلة أو عنكبوت الغبار أو بوفروة (القرقور)

تصعب رؤية هذا العنكبوت نظرا لصغر حجمه، حيث تضع الأنثى بيضها بين خيوط نسيج على سطح البلح. وفي حالة الإصابة الشديدة يعم النسيج الثمار وجزء من العرجون فيتراكم الغبار على شبكة الخيوط (كما هو في الصورة رقم اسفله).

صورة رقم 2: عرجون من التمر مصاب بأفة عنكبوت الغبار



والضرر الناتج عن هذا العنكبوت هو خدش ومص عصارة خلايا قشرة التمرة فتصبح القشرة متصلبة مغبرة، ولا تنمو بصورة طبيعية، بل تجف وتكون غير صالحة للاستهلاك. وتكون الإصابة عادة موضعية أي شديدة في بعض العدوق وفي العراجين الأخرى، وتشتد عادة في النخيل المجاور للطرق الترابية.

## 6- الإكراهات المرتبطة بالتسويق

تعتبر مرحلة التسويق أهم مرحلة لدى الفلاح، حيث يقدم منتجه إلى المستهلك، بطريقة مباشرة في الأسواق المحلية، أو عبر الوسطاء في المدن الكبرى، غير أن الملاحظة اليومية لطرق تسويق هذا المنتج، وما يعتره من إكراهات، يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أ-فوضوية أنظمة تسويق التمور التي ترجع إلى نقص البنية التحتية (الأسواق الطرق وسائل النقل...)

ب-شبه غياب الوحدات الصناعية التحويلية لهذا المنتج، وتوفرها يمكن أن يشجع على البحث عن الطرق الأخرى لاستهلاك التمور، وخاصة التمور ذات الجودة المتوسطة والرديئة.

ج-عدم كفاية وحدات التبريد والتخزين، ومد عرض التمور على مدار السنة وخاصة فترات الاستهلاك المرتفع التي تشهد استيراد التمور الأجنبية.

د-تدني أسعار التمور خلال موسم جنيها، في ظل غياب توزيع تسويقها على طول السنة.

هـ-عزلة وبعد مناطق الإنتاج بالنسبة للمراكز الكبيرة للاستهلاك، الشيء الذي يشجع ظهور وتكاثر عدد كبير من الوسطاء بين منتجي التمور ومستهلكها. وهنا يمكن القول إن المنتج يعمل لحساب الوسطاء لأن الفائدة الاقتصادية التي يجنيها الوسطاء أكبر بكثير من تلك التي يحصل عليها المنتج، وهذا لا يشجع تقويم التمور وتطوير أساليب الإنتاج.

تعتبر بعض المشاكل من بين أخرى إكراهات يعاني منها تسويق التمور بواحة درعة، سواء على المستوى المحلي من ضعف العناية بإنتاج التمور، سواء قبل وأثناء وبعد جنيها<sup>1</sup>، أو من حيث ضعف البنية التحتية، خصوصا على مستوى وحدات التبريد، بالإضافة إلى المنافسة الشديدة للتمور الأجنبية. كل هذه المشاكل مجتمعة تؤثر على استقرار الواحة، كما لا يساعد على القيام بمبادرة لتقوية الإنتاج من هنا نتساءل: ما هو تأثير هذه المشاكل على سكان الواحة؟ وما هي أبرز المؤسسات المتدخلة في تنمية قطاع التمور بالواحة؟ وما هي استراتيجية الدولة لتنمية قطاع التمور بواحة درعة؟

<sup>1</sup>- عبد العزيز شطو وحسناء الحراق، دراسة تسويق التمور وتصنيعها، مرجع سابق، ص 149.

## IV. استراتيجيات الدولة للنهوض بالقطاع

## 1. أهم المؤسسات المتدخلة في تنمية قطاع التمور بوحدة درعة

## أ. المعهد الوطني للبحث الزراعي

يعتبر المعهد الوطني للبحث الزراعي أبرز مؤسسة للبحث في مجال الفلاحة في المغرب، فهو يشتغل عبر مجموعة من الخلايا، وأيضا بتعاون مع مراكز الاستثمار الفلاحي بالجهات. بدأ أبحاثه في مجال النخيل منذ سنة 1964<sup>1</sup>، م بين مراميه العمل على أساسا إلى انتقاء أصناف وسلالات هجينة من النخيل مقاومة لمرض البيوض وذي تمور ممتازة قصد إكثارها عن طريق الزراعة الأنبوبية، أو ما يسمى بالزراعة النسيجية بمختبر الفيزيولوجيا النباتية<sup>2</sup>، كما يهدف إلى البحث في التقنيات الزراعية والأساليب التكنولوجية الملائمة التي يجب على المزارعين إتباعها أثناء مراحل الإنتاج وتحسين التقنيات الزراعية (الغرس، السقي، التسميد، التلقيح، الجني والتخزين وأنظمة الإنتاج والتسويق بالوحدات.

## - بعض الدراسات التي أنجزها البرنامج الوطني للبحوث حول النخيل

- الدراسة الأولى: تهمين وتسويق التمور بالمغرب: عبارة عن دراسة مرجعية ووثائقية وإحصائية حول إنتاج وتهمين وتسويق التمور بالمغرب، نشرت هذه الدراسة بالفرنسية خلال سنة 2001 تحت عنوان " تهمين وتسويق التمور بالمغرب: Valorisation et commercialisation des dattes au Maroc " من طرف الباحثان حسناء الحراق وعبد العزيز شطو.

- الدراسة الثانية: دراسة سوق التمور بالمغرب: وهي دراسة ميدانية حول سوق التمور بالمغرب، خاصة المدن الكبرى (الدار البيضاء، الرباط، وجدة، مراكش، أكادير، طنجة، تطوان، فاس، مكناس). وهذه الدراسة استكشافية للسوق المغربية للوقوف على مشاكل التسويق، أجريت الدراسة سنة 2001.

- الدراسة الثالثة: الأنشطة والإجراءات لتحسين تهمين وتسويق التمور بالمغرب: أنجزت هذه الدراسة سنة 2001 بتعاون مع التعاون الألماني (gtz) سنة 2001، وتضمنت مختلف الأنشطة والإجراءات قصد بلوغ استراتيجية وطنية واضحة، وخطة عمل شاملة، وتتضمن الحلول المعقولة، والفعالة لتحسين عملية تسويق التمور، وبعد صدور هذه الدراسة تم تنظيم أول معرض دولي للتمور بزاكورة أيام 5 و6 و7 أكتوبر 2001، من طرف وزارة الفلاحة وتعاونية وادي درعه والتعاون المغربي الألماني، وشكل مناسبة للتواصل بين الفاعلين الاقتصاديين المهتمين بميدان التمور للتعرف على الجديد في هذا المجال.

كما أجريت بعض البحوث في أقسام متعددة تابعة للمعهد الوطني للبحث الزراعي أهمها:

➤ دراسة تصبير بعض التمور بواسطة الإشعاع بالمركز الجهوي للبحث الزراعي بالرباط وطنجة (قسم التكنولوجيا الزراعية والغذائية).

➤ دراسة القدرات التكنولوجية لأهم أصناف التمور المغربية: التصنيف الفيزيائي والفيزيوكيميائي

➤ مشروع المساهمة في تحسين تسويق التمور بالمغرب

يضاف إلى هذه الدراسات والأبحاث بعض التجارب المخبرية، الخاصة بعدة أمراض سواء مرض البيوض (جامعة القاضي عياض / كلية العلوم مراكش)، أو سوسة التمر، والزراعة النسيجية (جامعة المولى إسماعيل/كلية العلوم والتقنيات بالراشيدية)، غير أن جل هذه الدراسات كانت مؤسسة للبرامج التنموية التي تبنتها الدولة من أجل تنمية قطاع التمر، سواء من خلال المشروع الوطني لإعداد وانقاد الواحات، أو في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، أو في إطار أعداد المخطط الأخضر، وأيضا في إطار التعاون مع دول أخرى (التعاون البلجيكي، التعاون الألماني، وكالة تحدي الألفية..)، وهنا تبرز الحاجة

<sup>1</sup>- نفسه، ص 56.

<sup>2</sup>- نفسه

إلى دراسات جديدة تتضمن ما توصلت إليه هذه البرامج، وأيضا التفاعل مع ما تعرفه الواحة من تغيرات سواء على مستوى البنية التحتية، وعلى مستوى النسيج الاجتماعي، وأيضا تحول الأنظمة السقوية وتوزيع الأرض، ناهيك عن دخول فلاحه استثمارية بتقنيات جديدة، فرضت نفسها في وسط هش وحساس.

ب. الوكالة الوطنية لتنمية مناطق الواحات وشجر الأركان (ANDOZOA)

تأسست الوكالة الوطنية لتنمية مناطق الواحات وشجر الأركان (ANDOZOA) سنة 2009، بموجب قانون رقم 10-06، وهي هيئة تشغيلية موجهة لخدمة التنمية المتنوعة المستدامة لفضاءات الواحات والأركان<sup>1</sup> يوجد مقر هذه الوكالة في مدينة الراشيدية، ولها مقر ملحق في مدينة الرباط. من مهام الوكالة<sup>2</sup> فيما يتعلق بمناطق الواحات :

- العمل على حماية تنمية الواحات خصوصا من خلال وضع مشاريع سوسيواقتصادية.
- السهر على حماية النخيل المثمر من اجل تطوير كمية وجودة الإنتاج.
- تشجيع الاستثمار الفلاحي وهيكلته سلسلة الإنتاج، وتسويق وتثمين منتوجات النخيل المثمر خصوصا في إطار شراكة مع المتدخلين.
- تشجيع ترشيد تدبير المياه وتثمينها والحد من التصحر وانجراف التربة.
- تشجيع البحث العلمي الذي يرمي إلى حماية الأنظمة البيئية للواحات، وتنمية النخيل المثمر وتثمين منتوجاته،
- توسيع عمليات زرع النخيل المثمر وتنمية باقي الفروع النباتية وكذا المواشي المناسبة للأنظمة البيئية الخاصة بالواحات.

### ج. وزارة الفلاحة والصيد البحري

تتدخل وزارة الفلاحة من خلال المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات، بخمس وحدات محلية، تحت إشراف المقاطعة الفلاحية بزاكورة. تلعب هذه الوحدات أدوارا مهمة منها ربط علاقة مباشرة بالفلاحين، والسهر على تطبيق برامج التنمية، جمع المعطيات الميدانية، مد الباحثين بالمعطيات والمعلومات المتعلقة بها، كما يمكنها عقد شركات مع المتدخلين المحليين.

جدول رقم 6: وحدات المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات بزاكورة

المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات		
المقاطعة الفلاحية لزاكورة		
رمز المركز	مقر المركز	الجماعات التابعة للمركز
630	اكدر	تانسيقت - بوزروال - أفرا - اولاد يحي - افلا ندرا - اكدر - مزكيطة - تمزموت
604	بني زولي	لبليدة - فزواطة - تمكروت - الروحا - بني زولي - تفتشنا
605	تاكونيت	تاكونيت - كتاوة - لمحاميد
615	تينزولين	تينزولين - بوزروال
606	تازارين	تازارين

<sup>1</sup>- دليل الوكالة الوطنية لتنمية مناطق الواحات وشجر الأركان (ANDOZOA) 2009 ص1.

<sup>2</sup>- نفسه.

## المصدر: المقاطعة الفلاحية بزأكورة في 02 مارس 2014

## 2. البرامج التي تبنتها الدولة لتنمية قطاع النخيل بدرعة

اهتمت الدولة بتنمية قطاع النخيل بواحات درعة من خلال عدة برامج تنموية متنوعة أهمها:

- 1971 إنشاء سد المنصور الذهبي، بطاقة استيعابية تبلغ 480 مليون متر مكعب، بورزازات لسقي واحات حوض درعة.
- 1978 إنشاء شركة تمورزاكورة، بطاقة تخزينية قدرها 2500 طن، وبطاقة إنتاجية سنوية قدرها 6000 طن، شارك في رأسمالها كل من مكتب التنمية الصناعية (ODI) والمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات، إضافة إلى الفلاحين. غير أن تجربة هذه الشركة لم تستمر، لعدة أسباب، وتوقف عملها في موسم 1993/1992.
- 1986 تبنى مخطط وطني لتنمية قطاع النخيل.
- انجاز وتنفيذ برنامج وطني لمحاربة التصحر وزحف الرمال بالواحات، لكن النتائج التي توصل إليها تبقى جزئية مقارنة مع ضخامة هذا المشكل.
- 1991 إنجاز وتنفيذ برنامج وطني للبحوث حول النخيل.
- إحداث بنيات تحتية متمثلة في السواقي والسدود التحويلية على مستوى مجرى وادي درعة.
- إحداث مراكز للاستثمار الفلاحي، من أجل تدعيم تدخل المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي والمديريات العامة للفلاحة.
- تأطير المزارعين قصد إعادة هيكلة وتعمير واحات النخيل، وتوزيع الفسائل الأنبوبية المستخرجة من زراعة الأنسجة.
- 2001 إنشاء تعاونيات تمور منطقة درعة، التعاونية الفلاحية النخيل وتعاونية أكزز، لمعالجة 100 طن من التمور سنويا.
- 2002-2004 تبني البرنامج الوطني لإنقاذ وإعداد الواحات.
- مشروع التعاون التقني البلجيكي C T B: في إطار هذا المشروع أيضا تم إنشاء ثلاثة وحدات للتبريد في المنطقة؛ الأولى في تينزولين تبلغ طاقتها الاستيعابية 30 طنا، والثانية في زاكورة طاقتها الاستيعابية 70 طن وهذه الأخيرة تم تسليمها لتعاونية النخيل بزأكورة، أما الثالثة فأنشئت بتكنويت بطاقة استيعابية تناهز 40 طن.
- مشروع زراعة الأشجار المثمرة TC-5B (2010-2013): يندرج هذا المشروع في إطار المخطط الأخضر بتعاون أمريكي-مغربي، وتبلغ مدته ثلاث سنوات، انطلق في شتنبر 2010 إلى غاية شتنبر 2013 من أجل دعم سلسلة النخيل، ويتمثل الهدف الرئيسي للمشروع في تحسين الإنتاجية والجودة، والرفع من قيمة الأنواع الرديئة في الواحات والأهداف الخاصة في استثمار النخيل وتحسيس الفلاحين بأهمية الجودة من خلال اشتغالهم و تكونهم داخل الجمعيات والتعاونيات الفلاحية.

## 3- التوصيات

أ- قطع وإزالة الجريد المصاب وحرقة، وتجنب استعمال السعف المصاب لحماية الفسائل المغروسة من البرد والحرارة لتجنب العدوى، ثم الاعتناء بالنخلة من خلال سقي وتسميد وتقليم وتنقية الأعشاش، وكذلك استعمال المبيدات<sup>1</sup>، في انتظار تطوير آليات المكافحة البيولوجية أو الحيوية ضد هذه الآفة

ب- محاربة آفة سوسة التمر عبر:

- تنقية أعشاش النخيل حيث تتكاثر هذه الفراشة بواسطة الثمار المصابة والمتساقطة،
- تغطية العراجين بأكياس توفر الحماية للتمر من هذه الحشرة وكذلك من الطيور،
- التخلص من الثمار المتساقطة قبل الجني وعدم مزجها بالثمار لتفادي العدوى،

<sup>1</sup>- نفسه، ص 25.

- تفادي وضع الفراشة لبيضها على التمر خلال فترة التجفيف بتوفير الغطاء اللازم من البلاستيك أو الثوب،
- نظافة المخازن قبل عملية التخزين،
- عدم خلط التمور الجديدة بالقديمة
- ج- مكافحة مرض البيوض من خلال :

- توسيع استفادة الفلاحين من الفسائل المستحدثة.
- تجنب غرس ونقل وإعادة غرس النخيل وتبادل أشجاره، وفسائله، سعفه... المشكوك فيه والاتي من الواحات الموبوءة، وذلك للحد من تفشي المرض.
- عزل المناطق الموبوءة، بواسطة سياج وخنادق، عمقها متران وأكثر وعرضها متر واحد، من اجل تجنب الاتصال بين الجذور السليمة والمصابة.
- إزالة النخيل وحرقه بالنار في عين المكان وكل النبات المصاب، والموبوء أو الذي تم إدخاله عن طريق حادث إلى البساتين الخالية من المرض.
- تجنب غرس نخيل "الكناري" في القرى أو الحدائق القريبة من واحات نخيل التمر والآتي بها من مناطق وأماكن موبوءة

#### خاتمة

نستخلص أن النخيل يمثل قطاعا أساسيا داخل المنظومة الواحية لدرعة، سواء في بعده البيئي الايكولوجي، حيث يشكل عنصرا متميزا في الحفاظ على استمرارية الواحة والحفاظ على باقي الزراعات الأخرى، عبر نظام ثلاثي الطبقات (نخيل، أشجار زهرية، نباتات أرضية)، إضافة إلى بعده الاقتصادي المتمثل في كونه مورد مادي للسكان، وبعده الاجتماعي المتمظهر في الحفاظ على نمط الإنتاج التضامني السائد داخل الواحة.

#### قائمة المراجع :

1. القرآن الكريم .
2. أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17 إلى مطلع القرن 20: دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، مؤسسة آفاق الدار البيضاء، 1994.
3. أكريز (عبد العزيز)، دور درعة التجاري قديما، ضمن ندوة حوض درعة ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير 1996.
4. أحمد عيسى، النبات عند العرب، منشورات كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة 2013.
5. الاشبيلي أبو الخير (ق 6هـ/12م)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدم له وحققه وأعاد ترتيبه محمد العربي الخطابي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، 1990. ص 508.
6. ابن وحشية (أبو بكر احمد علي ابن قيس الكسداني)، كتاب الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، 1995 .
7. مظفر احمد الموصلبي، نباتات طبية ذكرتها الكتب السماوية، دار ابن الأثير للطباعة والنشر في جامعة الموصل العراق، 2007.

8. مرمول كريخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زنيبر واحمد التوفيق واحمد بن جلون، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعاريف الجديدة، 1984 .
9. رضي الدين الغزي، مصباح الفلاح في الطب والزراعة، تحقيق أديب عمر أبحري، دار البشائر الإسلامية، 1997.
10. حسناء الحراق وعبد العزيز شطو، دراسة تسويق التمور وتصنيعها واستغلال مخلفات النخيل والتمور ومنتجاتها العرضية بالمملكة المغربية، منشورات المعهد الوطني للبحث الزراعي، الطبعة الأولى، نونبر 2005..
11. جورج سبيلمان، أيت عطا الصحراء و"تهدئة" درعة العليا، ترجمة محمد احدي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ابن زهر اكادير، الطبعة الثانية، 2011.
12. أطلس نخيل التمر بالمغرب، منشورات المعهد الوطني للبحث الزراعي، 2011.
13. أحمد البوزيدي، تدهور البيئة بواحات درعة من خلال الكتابات المحلية، ضمن ندوة البيئة بالمغرب معطيات تاريخية وأفاق تنموية : منطقة درعة نموذجاً، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 9، 2005 .
14. عزيز بن الطالب، تدهور النظام البيئي بالجنوب المغربي: أي آفاق للتهيئة والتنمية ؟ الأطلس الصغير الشرقي نموذجاً، ضمن ندوة البيئة بالمغرب معطيات تاريخية وأفاق تنموية : منطقة درعة نموذجاً، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 9، 2005.
15. عبد المالك زراري، ورقة تقنية حول زراعة نخيل، منشورات المعهد الوطني للبحث الزراعي، 2010.
16. دليل الوكالة الوطنية لتنمية مناطق الواحات وشجر الأركان (ANDOZOA) 2009
17. Anjarne .M , La multiplication in vitro du palmier dattier :Un outil de développement des palmeraies marocaines dévastées par la maladie du Bayoud, Actes du Symposium International sur : Le développement durable des systèmes Oasiens, Edition INRA et Ministère de l'Agriculture du Développement Rural, 2005,
18. Moulay Hassan SEDRA, Le Palmier dattier base de la mise en valeur des oasis au Maroc , techniques phoénicoles et création d'oasis , L'Institut National de la recherche Agronomique, Maroc, 2003
19. Moulay Hassan SEDRA, La maladie du Bayoud du palmier dattier en Afrique du Nord : Diagnostic et caractérisation , Actes du Symposium International sur : LE DEVELOPPEMENT DURABLE DES SYSTEMES OASIENS ,Edition INRA et Ministère de l'Agriculture du Développement Rural, 2005

## تحسين مستوى المهارات الاجتماعية لدى ذوي صعوبات التعلم

### Improve the Social Skills of People with Learning Disabilities

طهراوي ياسين (أستاذ مؤقت/طالب دكتوراه) - أ.د فقيه العيد/جامعة، تلمسان، الجزائر

Tahraoui Yassine/ Pr.Fekih Laid / Abou bekr Belkaid University, Tlemcen, Algeria

#### ملخص :

يعاني ذوي صعوبات التعلم (LD) بالإضافة إلى مشاكل في القراءة والكتابة والحساب، فهم يعانون كذلك من قصور واضح على مستوى المهارات الاجتماعية لديهم، ما جعل بعض المختصين ينادون باتخاذ المهارات الاجتماعية كمحك أو كمؤشر من مؤشرات تحديد وتشخيص ذوي صعوبات التعلم، خصوصا وأن تدني مستوى المهارات الاجتماعية عند هذه الفئة من فئات التربية الخاصة، لها تداعيات على عدة جوانب، وتنعكس سلبا على تحصيلهم الدراسي والأكاديمي وتفاعلاتهم الاجتماعية، وهو الأمر نفسه الذي أدى بالباحثين في حوض دراسات ميدانية جادة تهدف تنمية وتطوير وتحسين مستوى المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم، عن طريق استخدام استراتيجيات وفتيات وأساليب مناسبة لبناء برامج علاجية تعليمية وتدريبية وإرشادية في سبيل تحقيق ذلك.

الكلمات المفتاحية: صعوبات التعلم، المهارات الاجتماعية، البرامج العلاجية.

#### Abstract :

People with learning disabilities (LD) suffer in addition to problems in reading, writing and numeracy. They also suffer from deficiencies in their social skills level, which led some specialists to take social skills as a test or an indicator of identifying and diagnosing people with learning disabilities, especially as the low level of social skills This category of special education has repercussions on several aspects, and is reflected, negatively on their academic and academic achievement and their social interactions, which has led researchers to undertake serious field studies aimed at developing, improving and improving the level of social skills of people with disabilities. Learning, through the use of appropriate strategies, techniques and methods to build remedial educational, training and guidance programs to achieve this.

**Keywords :** Learning Disabilities, Social Skills, Therapeutic Programs.

## مقدمة:

أطلق اسم الإعاقة الخفية على فئة من بين فئات التربية الخاصة، وهم ذوي صعوبات التعلم (Learning Disabilities)، نظراً لأن هؤلاء الأفراد يعانون من عدة مشاكل بالرغم من أنهم يبدو لنا طبيعيين، فهم يتمتعون بمستوى ذكاء متوسط أو مرتفع، لكننا نلمس تباعد بين هذا الأخير ومستوى تحصيلهم الدراسي المنتظر منهم، والأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل هم يعانون كذلك من تدني وقصور وعجز في الكفاءة الاجتماعية، باعتبار أن هذه الأخيرة تتضمن مجموعة من المهارات الاجتماعية، فنجد أن التلاميذ أو الأطفال ذوي الصعوبة التعليمية لا يفهمون الإشارات ذات الدلالة الاجتماعية فهما صحيحا سويا، ولا يفسرون كذلك التصرفات التي تصدر من طرف أقرانهم أو من الآخرين تفسيرا اجتماعيا ملائما، وهذا القصور لا يؤثر على العلاقات الاجتماعية لدى التلميذ فقط بل يتعداه إلى جانب التحصيل الدراسي والأكاديمي<sup>1</sup>، ناهيك عن التكيف الاجتماعي داخل المدرسة أو خارجها.

لقد اهتم بموضوع المهارات الاجتماعية العديد من ميادين علم النفس والتخصصات المختلفة، مثل علم النفس الإيجابي، صعوبات التعلم، التربية الخاصة، علم النفس التعلم، وعلم النفس التربوي والاجتماعي، وغيرها من الميادين ذات العلاقة، نظرا للأهمية التي تلعبها المهارات الاجتماعية في الحياة اليومية للفرد وللتلميذ عموما وذوي صعوبات التعلم خصوصا.

فعندما نتحدث عن أحد أنواع صعوبات التعلم، ونقصد هنا النمائية منها، نجد أن ذوي اضطراب الانتباه يعانون بشكل واضح من قصور وتدني في مستوى المهارات الاجتماعية لديهم، ما جعل الكثير من المختصين يعتقدون بتلازمية صعوبات التعلم مع تدني المهارات الاجتماعية، وهو الأمر الذي يفسر ما أشار إليه ميرسر (Mercer, 1997) بضرورة اعتبار قصور وتدني المهارات الاجتماعية مدخلا وكمحك من بين المحكات المعروفة في التعرف وتشخيص ذوي صعوبات التعلم<sup>2</sup>، شأنها شأن محك التباعد والاستبعاد وغيرها، وانطلاقا من ذلك برزت العديد من الجهود والدراسات الميدانية المتنوعة الأجنبية منها والعربية، لتنمية وتحسين مستوى المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم وصقلها والمحافظة عليها على المدى البعيد، بعد عملية تحديدها تحديدا دقيقا، وتبني أطر ونظريات كخلفيات نظرية تبنى عليها البرامج التعليمية العلاجية والتدريبية من أجل اكتساب الطفل القدرة على الاستجابة الاجتماعية المناسبة لفظيا أو غير لفظي في المواقف الاجتماعية خصوصا، وبالاستعانة على استراتيجيات وفنيات وأساليب ووسائل كذلك، مناسبة لكل حالة من الحالات، بغرض الوصول إلى نتائج مرضية بعد تطبيق البرنامج والقياس القبلي و البعدي والتبقي، تنعكس إيجابا على ذوي صعوبات التعلم وعلى جميع الأصعدة. وسنحاول من خلال مقالنا هذا تحديد المفاهيم، للتعرف على ماهية المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم، وما هي الطرق والأساليب المعتمدة والركائز الأساسية المستخدمة في سبيل تنمية وتحسين مستوى المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم.

## 1- تعريف صعوبات التعلم:

اختلفت وتنوعت تعريفات صعوبات التعلم (LD)، باختلاف توجهات المختصين وتنوع النظريات والمقاربات المفسرة لها، فتباينت بين تعريفات تربوية وطبية وفسولوجية وفيدرالية وغيرها، ومنها من تضمنت في طياتها المهارات الاجتماعية أو

<sup>1</sup> بحري صابر، خرמוש منى: "صعوبات التعلم بين المفهوم والأسباب"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، ع 17-18، مارس 2016، ص 18.

<sup>2</sup> المقداد، أسامة بطاينة: "مستوى المهارات الاجتماعية لدى الأطفال العاديين والأطفال ذوي صعوبات التعلم في الأردن"، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، م 7، ع 3، 2011، ص 254.

الاضطرابات الاجتماعية والانفعالية بشكل صريح أو ضمناً، ومنها من لم تتضمن ذلك. وجدير بالذكر أنه في الدليل التشخيصي النسخة الخامسة (DSM5) استعمل مصطلح "اضطرابات التعلم النوعية أو المحددة" (SLD)، للتعبير عن ذوي صعوبات التعلم<sup>1</sup>.

ويرى الزيات (2007)<sup>2</sup> أن قد تزايدت الدراسات في الآونة الأخيرة التي تعني بصعوبات السلوك الاجتماعي والانفعالي، حيث أنه (75) بالمائة من المقالات والدراسات المنشورة عن المهارات الاجتماعية، نشرت بين سنة (1983-1988)، وهي كذلك في تزايد مستمر، نتيجة لوجود إجماع على تضمين المهارات الاجتماعية في تعريفات صعوبات التعلم. وفي عام (1987)<sup>3</sup> قدمت اللجنة الائتلافية الاتحادية لصعوبات التعلم مقترحا إلى الكونغرس، في محاولة هي الفريدة ربما من نوعها لتعديل وتنقيح تعريف صعوبات التعلم، باعتبار أن التعريف المقترح الجديد فيه اختلاف عن ما جاء في التعريف الذي تطرقت له اللجنة الوطنية المشتركة، في نقطة مهمة وحساسة وفاصلة كذلك وهي قصور المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم، لكن دائرة التربية لم توافق على هذا التعديل والتعريف الجديد، بحجة أن إضافة المهارات الاجتماعية سيؤدي إلى ضرورة حتمية في تغيير القانون النافذ آنذاك.

كما أننا نلاحظ في تعريف اللجنة الوطنية المشتركة لصعوبات التعلم (1988)<sup>4</sup>، أن صعوبات التعلم ربما تظهر مع قصور المهارات الاجتماعية، حيث عرفت اللجنة صعوبات التعلم على أنها مجموعة غير متجانسة من الاضطرابات تتمظهر في صعوبة في استخدام القدرات الخاصة بالقراءة والكتابة وغيرها، أما عن الأسباب فتفترض أنها ناتجة عن خلل وظيفي في الجهاز العصبي المركزي (CNS) (الج.ع.م)، وقد ترافق مع حالات أخرى لها علاقة بالبيئة أو التخلف العقلي أو الاضطرابات الاجتماعية الانفعالية، مع ضرورة الإشارة إلى أنها أي صعوبات التعلم ليست نتيجة لهذه الحالات المذكورة، مع التأكيد أنها اضطراب دائم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Cortiella, Candace and Horowitz, Sheldon H. **The State of Learning Disabilities: Facts, Trends and Emerging Issues**. New York: National Center for Learning Disabilities, 2014. P:2

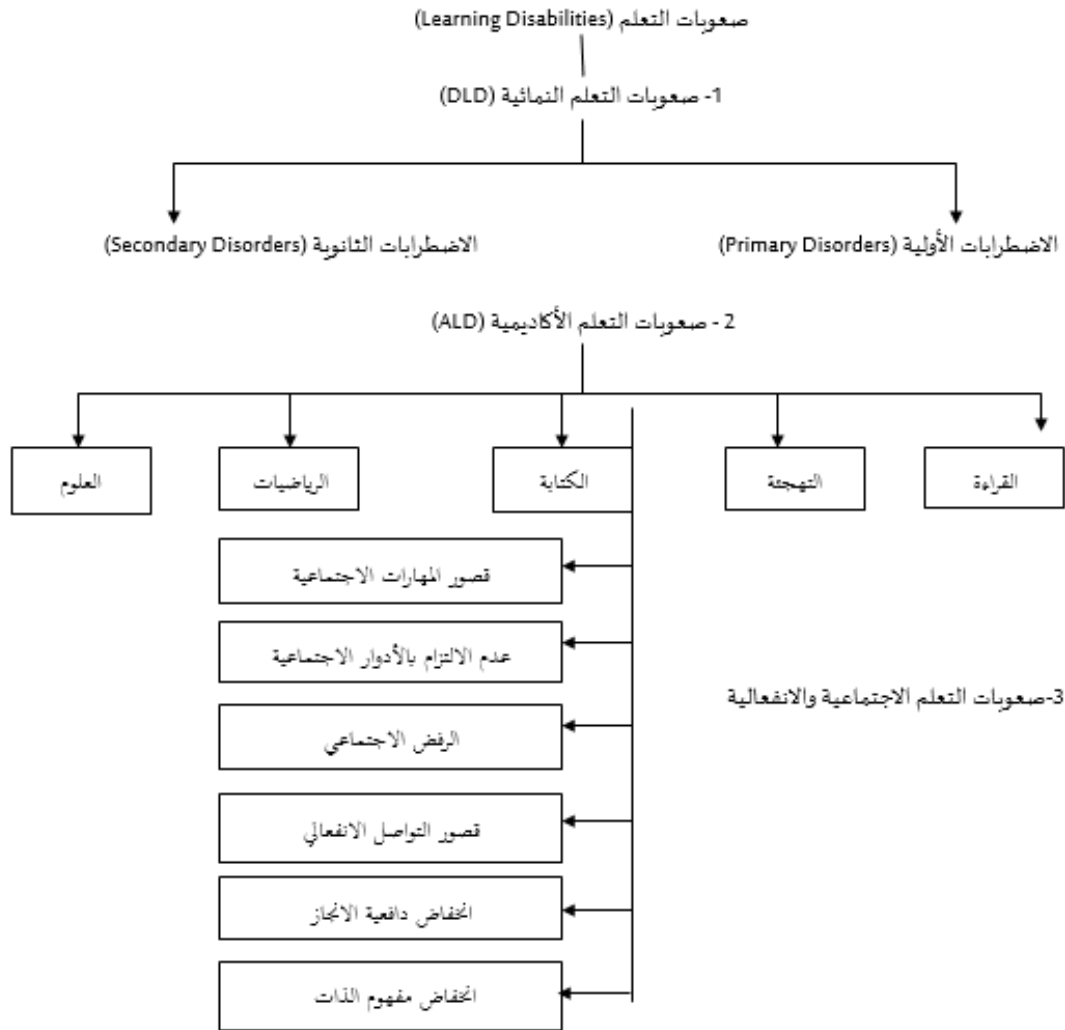
<sup>2</sup> فتحي الزيات: "قضايا معاصرة في صعوبات التعلم"، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 2008، ص26.

<sup>3</sup> يحي أحمد القبالي: "مدخل إلى صعوبات التعلم"، ط2، دار الطريق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص29.

<sup>4</sup> خولة أحمد يحي: "البرامج التربوية للأفراد ذوي الحاجات الخاصة"، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2006، ص238.

<sup>5</sup> Hazar Mafra (2015), **Development of learning and social skills in children with learning disabilities: an educational intervention program**, Procedia - Social and Behavioral Sciences 209 (2015) p : 221.

## 2- تصنيف صعوبات التعلم:

الشكل رقم (01): التصنيف الثلاثي لصعوبات التعلم<sup>1</sup>. (سليمان عبد الواحد، 2010)

حيث نلاحظ من خلال الشكل رقم (01) أن (سليمان عبد الواحد، 2010) صنف صعوبات التعلم إلى ثلاثة أصناف شملت النمائية والأكاديمية وكذلك الاجتماعية الانفعالية، بحيث أن هذا التصنيف الأخير يحمل نوعاً من الجودة في التصنيفات الشائعة، والتي اقتصر فقط على صنفين اثنين النمائية والأكاديمية فقط، كما قام صاحب التصنيف بتضمين قصور المهارات الاجتماعية في التصنيف الثالث تحت مسمى الصعوبات الاجتماعية والانفعالية. وهو تصنيف حسب الباحث شامل وأوسع ومنطقي لأن الدراسات الحديثة أسهبت في تناولها لقصور المهارات الاجتماعية عند الأفراد ذوي صعوبات التعلم.

<sup>1</sup> سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم: "المرجع في صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2010، ص 51.

## 2- تعريف المهارات الاجتماعية:

لكي نفهم معنى المهارات الاجتماعية (Social Skills)، علينا أولاً تحديد ما المقصود بكلمة "مهارة"، حتى يتبين لنا الأمر جلياً، يشير هاربرت (Herbert, 1986) أن كلمة مهارة (Skill) تعني تنفيذ سلسلة من السلوكيات وهذا من أجل أو بهدف انجاز مهمة ما<sup>1</sup>.

حيث نجد العديد من التعاريف التي تناولت وتطرق في مضمونها إلى المهارات الاجتماعية، وهذا إن دل عن شيء فإنما يدل على اختلاف وجهات نظر العلماء والمختصين والباحثين في واتجاه هذا الموضوع. إذ يرى كومبز وسلابي (Comps, Slapy) أنها القدرة على التعامل مع الآخرين، وذلك في نسق اجتماعي، بحيث يكون مقبولاً اجتماعياً وذو معنى وقيمة اجتماعية، وفائدة تعود لكلا للطرفين<sup>2</sup>.

وهناك من تطرق إلى مفهوم المهارات الاجتماعية كسمة، بينما عرفها البعض كنموذج سلوكي، في حين نجد كذلك تعريفات من المنظور المعرفي، ومن منظور تكاملي، ويعتبر هذا الأخير أشمل وأوفى فهو ينظر للمهارات الاجتماعية على أساس أنها تفاعل بين كل من الجانبين السلوكي لفظياً كان أو غير لفظي من جهة والجانب الوجداني والانفعالي من جهة أخرى وطبعاً هذا في نسق وداخل التفاعل الاجتماعي<sup>3</sup>.

فذلك الشخص أو التلميذ ذو صعوبات التعلم الذي يتصرف بغرابة، أي يبدي سلوكيات غريبة في نسق اجتماعي، يجعلنا نحن نشعر بعدم الارتياح نحوه ونحو استجاباته، ويقودنا للارتباك نحوه، وربما إلى درجة الغضب منه، غير أنه لا نستطيع أن نجزم أنه هذه السلوكيات هي نتيجة لمشاكل نفسية أو مشاكل عاطفية محضة، متجاهلين بذلك احتمالية معاناتهم من قصور في المهارات الاجتماعية<sup>4</sup>.

## 3- قياس المهارات الاجتماعية:

استخدم المختصين والباحثين العديد من المقاييس والاختبارات، في بيئات عربية وأجنبية لقياس مستوى المهارات الاجتماعية بصفة عامة، ولقياس تدني وقصور المهارات الاجتماعية لذوي صعوبات التعلم بصفة خاصة، ولعل الأساليب السوسيوميترية هي أكثر استعمالاً لقياس المهارات الاجتماعية، خصوصاً ما اصطلح عليه ترشيحات وتقديرات الأقران، وكذا الملاحظة الطبيعية وأحكام المعلمين، أو حتى الاستعانة بتقديرات الوالدين، وكذا المزاجية بين تقديرين والمقارنة بينهما من أجل الوصول إلى نتائج موضوعية وأكثر دقة، وهذا من خلال استعمال تقديرات التلاميذ الأقران إضافة إلى المعلمين أو الأساتذة والمربين في آن واحد، وجنباً لجنب، وهذا لأن المعلم في القسم أو زملاء التلميذ في المدرسة أو الوالدين في المنزل هم أكثر ملاحظة لسلوكيات الحالة أكثر من الباحث بعد ذاته<sup>5</sup>. إضافة إلى أنه هناك من اتجه إلى قياس مستوى التفاعلات الاجتماعية ليستدل به على المهارات الاجتماعية، ومن بين المقاييس الأكثر رواجاً واستعمالاً نذكر ما يلي علة سبيل المثال لا الحصر:

<sup>1</sup> المقداد، أسامة بطاينة: المرجع السابق، ص 255.

<sup>2</sup> سليمان عبد الواحد يوسف: "ذوو صعوبات التعلم الاجتماعية والانفعالية خصائصهم، اكتشافهم، رعايتهم، مشكلاتهم"، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011، ص 133.

<sup>3</sup> سليمان عبد الواحد يوسف: المرجع السابق، ص 136.

<sup>4</sup> Henry B. Reiff, **Social Skills and Adults with Learning Disabilities**, Linkages, Vol. 2, No. 2 National Adult Literacy and Learning Disabilities Center. <http://www.ldonline.org/article/6010/>

<sup>5</sup> المقداد، أسامة بطاينة: المرجع السابق، ص 256.

- مقياس تقدير المهارات الاجتماعية اللازمة من إعداد هارون صالح (2005)، ويتكون هذا المقياس من (50) فقرة، موزعة على ثلاثة (03) أبعاد، وهي أولاً إتباع لوائح المدرسة وقوانينها، ثانياً التفاعل مع الآخرين، ثالثاً إظهار عادات عمل مناسبة.
- مقياس المهارات الاجتماعية المصورة، وهي موجهة خصيصاً للأطفال الطفولة المبكرة، بالتربية التحضيرية أو الروضة، أو المعاقين سمعياً. وهذا عن طريق تصميم وتصوير مواقف تمثل البنود والبدائل.
- نظام تقدير المهارات الاجتماعية المطور من طرف جريشام وإليوت (Gresham and Elliott, 1987)، ويقاس ثلاثة مجالات تشمل المشكلات السلوكية، المهارات الاجتماعية، الكفاءة الاجتماعية.
- مقياس التقدير التشخيصي لصعوبات السلوك الاجتماعي والانفعالي، والذي أعده الدكتور فتحي الزيات، والذي يقاس في فقراته ثمانية (8) أبعاد منها المهارات الاجتماعية إضافة إلى السلوك الانسحابي والعدوانية وغيرها.
- مقياس التفاعلات الاجتماعية للأطفال خارج المنزل، للأطفال العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة، والذي أعده الدكتور عادل عبد الله محمد (2003)، يقاس ثلاثة أبعاد وهي الإقبال الاجتماعي، الاهتمام الاجتماعي، والتواصل الاجتماعي.
- مقياس المهارات الاجتماعية للأطفال، من إعداد العربي زيد (2003)، تم إعداده للأطفال المتخلفين عقلياً القابلين للتعليم، إلا وأنه تم التأكد أنه يصلح حتى مع الأطفال العاديين<sup>1</sup>، بحيث يتألف هذا المقياس من سبعة (07) أبعاد.
- ولا يزال إلى يومنا هذا توجد اجتهادات عربية هنا وهناك، في بناء مقاييس تعني بقياس المهارات الاجتماعية سواء لدى الأطفال أو المراهقين أو الراشدين، انطلاقاً من الأدب التربوي ومختلف الدراسات السابقة التي لها علاقة، وهو ما يعكس الأهمية البالغة التي تحتلها المهارات الاجتماعية في البحوث والدراسات العربية النفسية والاجتماعية عموماً، وفي مختلف المراحل العمرية.

#### 4- المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم:

يعتبر تدني مستوى المهارات الاجتماعية عند الأفراد ذوي صعوبات التعلم سمة مميزة عندهم<sup>2</sup>، اتفقت دراسات عديدة مثل دراسة (Kelly, 1993)، حسيب (2001)، العدل (2001)، (Carter, 2004)، وعطار (2007) أن أي قصور في المهارات الاجتماعية يؤدي لا محالة إلى تدني مستوى تقدير الذات<sup>3</sup>. ما يعني أن تدني مستوى المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم له انعكاسات سلبية تمس جوانب عدة، ولا يكاد يختلف اثنان أن قصور المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم هو في الحقيقة نتيجة عدم فهمهم الدلائل الاجتماعية عند تفاعلهم مع الآخرين سواء كانوا معلمين أو مربين أو الأقران أو أولياء أو غيرهم، فلا يفسرون بشكل صحيح تعابير الوجه، والإيماءات وغيرها من الحركات الاجتماعية، ما يجعلهم يقعون في فخ الانسحاب الاجتماعي، الذي بدوره ينعكس سلباً على تحصيلهم الدراسي والأكاديمي<sup>4</sup>، وتوافقهم الشخص والاجتماعي.

<sup>1</sup> عادل عبد الله محمد: "التعليم العلاجي للأطفال ذوي صعوبات التعلم"، دار الرشاد للنشر والتوزيع، 2008، ص 266.

<sup>2</sup> Kenneth a. Kavale and Mark p. Mostert (2004), *Social Skills Interventions for Individuals with Learning Disabilities*, Learning Disability Quarterly, Volume 27, Winter 2004. P 31.

<sup>3</sup> رامي محمود اليوسف: "المهارات الاجتماعية وعلاقتها بالكفاءة الذاتية المدركة والتحصيل الدراسي العام لدى عينة من طلبة المرحلة المتوسطة"، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، م 21، ع 1، يناير 2013، ص 329.

<sup>4</sup> الهاشمي، منصور بن زاهي: "فاعلية برنامج مقترح في الألعاب التربوية لتنمية بعض المهارات الاجتماعية لدى أطفال التربية التحضيرية بمدينة ورقلة"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 24، جوان 2016، ص 163.

عموما يظهر على هذه الفئة الإخفاق في تكوين علاقات اجتماعية أو علاقات صداقة مع الأقران، والتفاعل معهم بشكل ايجابي صحيح، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية الاجتماعية، ولا يستطيع التعبير بشكل سوي عن مشاعره سواء الايجابية أو السلبية، وضعف واضح في المبادرة الاجتماعية. وتظهر هذه الخصائص أو السمات بشكل جلي في النشاطات المختلفة في المدرسة، داخل القسم أو خارجه، في وقت الاستراحة أو في حصة التربية البدنية والرياضية، أي في تلك المواقف التي تتطلب مهارات اجتماعية.

ومن جهة أخرى إذ توجد العديد من الدراسات<sup>1</sup> التي تطرقت إلى المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم، خصوصا ما تعلق بتشخيصها وتحديدتها، إضافة إلى طرق التدخل والتعليم العلاجي، فمثلا في دراسة قام بها (موبسان، 1998) أشارت إلى أن نسبة (75) بالمائة من الأطفال ذوي صعوبات التعلم يعانون قصور في التواصل الاجتماعي، ومتبوع بانخفاض في كل من مستوى التحصيل الدراسي لديهم، وتقديرهم لذواتهم. كما ثبت أن قصور المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم له علاقة كذلك بالسلوك العدواني لديهم، وهو ما أكدته دراسة دونكان وآخرون، (1999).

وتتمظهر قصور المهارات الاجتماعية عند هذه الفئة، في عجزهم الواضح في بناء علاقات شخصية مع الآخرين والعمل على المحافظة عليها وديمومتها، وهو ما أثبتته دراسة (Al Tarawneh, 2017)<sup>2</sup> أن ذوي صعوبات التعلم لديهم عدد قليل من الأصدقاء ومنهم كذلك من ليس لديهم. إضافة إلى ذلك يظهر هؤلاء الأفراد مشاكل على مستوى الإدراك الاجتماعي، فنجد أنهم يدركون شتى المواقف إدراكا سلبيا، والشعور بالرفض الاجتماعي أو أنهم منبوذين من طرف أقرانهم، فتظهر عليهم عموما سلوك انسحابي و الانكالية على الطرف الآخر وعدم المبادرة<sup>3</sup>.

#### 5 – أبعاد المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم:

حسب (محمد النوبي، 2011)، فإن أبعاد المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم تشمل ما يلي<sup>4</sup>:

- المبادرة بالفاعل: ويقصد بها قدرة الطفل أو التلميذ على المبادرة في التفاعل الاجتماعي مع الأقران والزملاء أو مع الآخرين بصفة عامة، سواء كان حديثا أو غيره، وسواء كانت هذه المبادرة لفظيا أو غير لفظي، وباختلاف البيئات أو الأوساط الاجتماعية، كالمدرسة أو المنزل أو أثناء اللعب أو نشاط ما.

- المشاركة الاجتماعية: يقصد بها قدرة الطفل أو التلميذ على بناء علاقات اجتماعية وصداقة مع الأقران والزملاء أو مع الطرف الآخر بشكل عام، وإبداء اهتمام بالآخر، ومشاركتهم مختلف الأنشطة الاجتماعية اليومية سواء داخل المدرسة أو خارجها.

- التعبير عن المشاعر الايجابية والسلبية: ويقصد بها قدرة الطفل على التعبير عن مشاعره سواء كانت مشاعر سلبية أو ايجابية بطريقة سليمة، كالتعبير عن رضاه اتجاه موقف ما، بحيث يكون التعبير هنا لفظيا أو غير لفظي.

هذا وبالإضافة إلى أبعاد أخرى، نذكر كل من الصداقة والتعاون والمساعدة ومهارة الاستقبال.

<sup>1</sup> محمد النوبي محمد علي: "صعوبات التعلم بين المهارات والاضطرابات"، ط 1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011، ص 157.

<sup>2</sup> Al Tarawneh, R.K. (2017), *Friendship Skills of Students with Learning Disabilities in Jordan from the Perspectives of Their Teachers and the Effect of Some Variables on It*. Open Journal of Social Sciences, 5, p 136.

<sup>3</sup> الصمادي والشمالي: "المفاهيم الحديثة في صعوبات التعلم"، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2017، ص 54.

<sup>4</sup> محمد النوبي محمد علي: المرجع السابق، ص 155 – 156.

## 6- أسباب قصور المهارات الاجتماعية لدى ذوي صعوبات التعلم:

بعد أن أصبح تدني مستوى المهارات الاجتماعية مؤشراً من مؤشرات صعوبات التعلم، صار لزاماً البحث في الأسباب الكامنة وراء هذا القصور، من أجل برامج علاجية هادفة ومحددة لتنمية وتطوير المهارات الاجتماعية لدى هذه الفئة، وتشير بن (خليفة فاطيمة، 2016)<sup>1</sup> أنه توجد أسباب أولية وأسباب ثانوية وراء تدني مستوى المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم، فأما ما خص الأولوية منها أنها تحدث نتيجة للخلل الوظيفي في الجهاز العصبي المركزي، وأما الثانوية منها فهي تحصيل حاصل من صعوبات التعلم الأكاديمية، وتداعياتها.

ولغة الأرقام كذلك تتحدث عن ذلك وهو ما أشارت إليه دراسة (Kenneth, 1996)<sup>2</sup> أنه طيلة (15) سنة التي مضت، كان هناك اهتمام متزايد بالمهارات الاجتماعية وعلاقتها بصعوبات التعلم، ومن خلال حوالي (150) دراسة، تبين أنه حوالي (75) بالمائة من التلاميذ ذوي صعوبات التعلم يظهرون في المتوسط عجز على مستوى المهارات الاجتماعية، عند مقارنتهم مع أقرانهم العاديين، و يتمظهر هذا العجز سواء مع الذات أو مع المعلمين والمربين أو مع الأقران، ما يطرح العديد من الأسئلة عن ماهية العلاقة بين المهارات الاجتماعية وصعوبات التعلم، وأسباب تدنيها عند هذه الفئة بالذات.

## 7- تحسين مستوى المهارات الاجتماعية لذوي صعوبات التعلم :

إن التلاميذ ذوي صعوبات التعلم يحتاجون إلى عملية تحسين وتنمية مهاراتهم الاجتماعية، وهذه الحاجة يؤكدتها المختصون في هذا المجال، من خلال مناداتهم بضرورة إدراج صعوبات المهارات الاجتماعية كأحد مجالات صعوبات التعلم عند التطرق إلى تعريف وتحديد هذه الفئة تحديداً دقيقاً علمياً<sup>3</sup>. وهذا يعني بالضرورة قياس مستوى المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم بمقاييس واختبارات مقننة متخصصة، وفي شتى المراحل العمرية انطلاقاً من الروضة أو التربية التحضيرية، من أجل تحديد القصور ونوعه وشدته، وبالتالي يكون التدخل والتكفل ناجحاً، لإكسابهم سلوكيات توافقية، وهذا عن طريق التعليم العلاجي، باعتبار أن هذا الأخير يتم استخدامه في تصحيح وتصويب وعلاج أوجه القصور والضعف في أي واحدة من المهارات المختلفة التي يعاني منها التلميذ ذو صعوبات التعلم، وباستخدام الاستراتيجيات والفنيات المناسبة والملائمة لكل حالة<sup>4</sup>.

ويتم ذلك من خلال بناء برامج تدريبية، تعليمية إرشادية وعلاجية مخصصة لتحسين وتطوير مستوى المهارات الاجتماعية لذوي صعوبات التعلم، ثم قياس أثر هذا البرنامج في تنمية المهارات الاجتماعية عند هذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة، فتعددت الجهود في بناء البرامج المقترحة التي تصب في هذا الموضوع، وتبنت خلفيات نظرية مختلفة تستند عليها مثل نظرية النمو الانفعالي والاجتماعي ونظرية التعلم الاجتماعي ونظرية النمو المعرفي وغيرها من الأطر والنظريات، كما لم تستثن مرحلة الروضة أو التربية التحضيرية نظراً لأهمية هذه المرحلة من عدة جوانب، خصوصاً في الكشف المبكر عن صعوبات التعلم، وإكساب مهارات اجتماعية للطفل في هذه السن المبكرة لا شك أنه يعطي نتائج إيجابية جيدة على المدى البعيد.

<sup>1</sup> بن خليفة فاطيمة: "صعوبات التعلم والمهارات الاجتماعية"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، ع17-18، مارس 2016، ص 46.

<sup>2</sup> Kenneth A. Kavale and Steven R. Forness, **Social skill deficits and learning disabilities: A Meta-Analysis**, Journal of Learning Disabilities, Volume 29, Number 3, May 1996, p226

<sup>3</sup> سليمان عبد الواحد يوسف: المرجع السابق، ص 131.

<sup>4</sup> عادل عبد الله محمد: المرجع السابق، ص 21.

ولنجاح ذلك على القائم ببناء أو حتى تبني برنامج ما تحديد وبدقة الهدف العام والأهداف الفرعية، والجلسات والأنشطة المتنوعة الكافية وتوزيعها بشكل مناسب، واختيار الوسائل والأدوات المساعدة، وانتقاء الأساليب والاستراتيجيات بعناية فائقة، والتركيز على جوانب الضعف في السلوك الاجتماعي الذي يعاني الطفل قصورا فيه.

ولا شك أن استراتيجيات وأساليب التعليم العلاجي تعدل سلوك التلميذ أو الطفل وتعمل على إكسابه مهارة أو مجموعة مهارات أو حتى جانب ما من مهارة واحدة، ثم العمل على تنمية هذه المهارة والمحافظة عليها، في نفس الوقت تكسبه سلوكيات مرغوبة ومقبولة اجتماعيا وتنميتها وتحسينها، وكف السلوكيات غير المرغوبة وغير المقبولة اجتماعيا<sup>1</sup>. عن طريق استخدام الألعاب التربوية خصوصا عندما يتعلق الأمر بتلاميذ التربية التحضيرية أو المرحلة الابتدائية، مع الابتعاد عن الألعاب التجارية، وغير الهادفة.

وهو ما تؤكد الدراسات على أرضية الواقع، التي تناولت هذا الموضوع وكان فحواها تنمية المهارات الاجتماعية وتحسينها وتطويرها لدى ذوي صعوبات التعلم، كدراسة صبغي كفوري<sup>2</sup>، حول فعالية برنامج في تحسين السلوك الاجتماعي عند تلاميذ المرحلة الابتدائية ممن يعانون صعوبات التعلم، حيث أظهرت النتائج فعالية ايجابية للبرنامج المستخدم في الدراسة. كما أنه ثبت فعالية الاستعانة بالمرشد المدرسي في تنمية المهارات الاجتماعية لذوي صعوبات التعلم، عن طريق تضمينه كأحد الأنشطة في البرامج العلاجية.

إنه ومنذ أن تبين أن الأطفال ذوي صعوبات التعلم يعانون قصور في المهارات الاجتماعية، انكب الباحثون على دراسة فعالية البرامج التدريبية وفعاليتها في تنمية وتحسين مستوى المهارات الاجتماعية، مثل دراسة (Lagrec, Mosibov, 1981)<sup>3</sup> التي تناولت مجالين اثنين مهارات التواصل والمحادثة، وكذا المبادرة في المواقف الاجتماعية، ومساهمة كلاهما في قبول الأقران، تبين أن ذوي صعوبات التعلم يعانون مشكلة في كلاهما، فاستعمل معهم النمذجة، والتدريب، والتأكيد على كل من التحية والمشاركة الاجتماعية، ومهارات المحادثة.

#### 8- استراتيجيات وأساليب تنمية وتطوير المهارات الاجتماعية لذوي صعوبات التعلم:

يشير (سليمان عبد الواحد، 2010) إلى أنه من خلال نظرية التعلم الاجتماعي (Social Learning Theory) مثلا يمكننا استنباط أساليب مهمة من أجل تنمية المهارات الاجتماعية لذوي صعوبات التعلم، وهذا من خلال<sup>4</sup>:

- عن طريق النمذجة وأنواعها: سواء النمذجة المباشرة، النمذجة المصورة، النمذجة بالمشاركة. ويقصد بالنمذجة (Modeling) هو أننا نتبع أحد النماذج للطفل أو التلميذ لمشاهدته بشكل مباشر أو غير مباشر، وهو يقوم بسلوك ما لفظي أو غير لفظي، وهذا بهدف معين مسطر مسبقا، وإكساب سلوك ما أو تعديله أو كفه.

فاستخدام السيكوندرا ما أثبت فعالية ايجابية في تحسين مستوى المهارات الاجتماعية لذوي صعوبات التعلم، لما فيها من إبداع في استخدام النمذجة وغيرها من الأساليب في آن واحد، ويشير الخطيب (2003)، إلى أن الأمر لا يتوقف عند اكتساب ذوي صعوبات التعلم للمهارات الاجتماعية التي تتمظهر على شكل استجابة فحسب، بل يجب التفريق بين كل من اكتساب

<sup>1</sup> عادل عبد الله محمد: المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup> محمد النوي محمد علي: المرجع السابق، ص 157.

<sup>3</sup> Sharon A.Cermak, *Social skills in Children with Learning Disabilities*, Occupational therapy in mental health, Vol. 13(4) – January 1997, p15

<sup>4</sup> سليمان عبد الواحد يوسف: المرجع السابق، ص 141.

الاستجابة من طرف الطفل من جهة، وبين تأديتها فعليا من جهة أخرى، حيث أن أداء الاستجابة مشروط بالنتائج المتوقعة بعدها، لهذا لا يجب إهمال دافعية الطفل الذي نريده أن يكتسب عن طريق النمذجة مهارة أو استجابة ما<sup>1</sup>.

- عن طريق لعب الأدوار (Role Playing): حيث يقوم المشرف على البرنامج بتدريب الطفل على كيفية تمثيل جانب ما من مهارة اجتماعية، أو مجموعة من المهارات الاجتماعية، خصوصا تلك التي يعاني الطفل قصورا فيها، أو التي لم يكتسبها بعد، ويتم متابعتها حتى يصبح متمكنا منها، كأن يكون الطفل خجول لدرجة تعيق نشاطاته اليومية في المدرسة أو خارجها، نلجأ هنا إلى تلقيه لعب دور الجريء، وهكذا بالنسبة لبقية المهارات الاجتماعية الأخرى.

- عن طريق التغذية الراجعة (Feedback): وهذا بوجود مشاهدين من الزملاء والأقران أو غيرهم، إضافة إلى المرين والقائم على البرنامج أو المدرب، فيكون بمثابة تعزيز للسلوك الاجتماعي الإيجابي لفظيا كان أو غير لفظي.

- عن طريق تحليل المهمات (Task Analysis): ويقصد بهذا الأسلوب أن يتم تقسيم أو تجزئة المهمة إلى مهمات أخرى وأجزاء وخطوات صغيرة، تشكل في مجملها وعند جمعها في ترتيب معين المهمة الرئيسية التي تبدو في الوهلة الأولى قبل تجزئتها شبه مستحيلة، ويتم ذلك عن طريق تحديد وصياغة الأهداف التربوية، إذ أن هذا الأسلوب يسهل عملية الاكتساب بشكل أفضل. هذا وبالإضافة إلى استراتيجيات أخرى مثل انتقال أثر التدريب، التلقين والإخفاء، التشكيل، جداول النشاط المصورة، وغيرها.

#### 9- أهمية تنمية المهارات الاجتماعية لدى ذوي صعوبات التعلم:

تنمية المهارات الاجتماعية وتحسينها وتطويرها لدى ذوي صعوبات التعلم يعود بنتائج ايجابية وفعالية تمس الكثير من الجوانب، أهمها رفع مستوى التحصيل المدرسي والأكاديمي لديهم، وتنمية دافعية الانجاز، وتحسين التفاعلات الاجتماعية مع الآخرين، أضف إلى ذلك أنه يعتبر كذلك وقاية من مشكلات اجتماعية عديدة مثل جنوح الأحداث<sup>2</sup>، عند الأفراد ذوي صعوبات التعلم.

إن تنمية وتحسين المهارات الاجتماعية عند فئة ذوي صعوبات التعلم يساعد على ضبط سلوكياتهم عندما يتفاعلون اجتماعيا مع أقرانهم ومع الآخرين، وبالتالي تحقيق التكيف الاجتماعي داخل المدرسة وخارجها، كما يلعب تنمية المهارات الاجتماعية لديهم دورا مهما في تنمية مهارة حل المشكلات بالتوازي، وخفض معدل الاتكالية لديهم، الذي بدوره يرفع ويعزز الثقة بأنفسهم، ما يؤثر إيجابيا في جودة الحياة لديهم بصفة عامة. كما تسهم عملية تحسين مستوى المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم في خفض حدوث كل من الخجل، والقلق الاجتماعي عندهم<sup>3</sup>.

خاتمة:

يعتبر قصور المهارات الاجتماعية عند ذوي صعوبات التعلم مشكلة حقيقية وعائق كبير يحول بينهم وبين نشاطاتهم اليومية المختلفة، ولعل الدراسات المكثفة حول هذا الموضوع، والاهتمام به من طرف الباحثين في الآونة الأخيرة لخير دليل على حجم معانات هذه الفئة، والتي هي في الحقيقة معاناة ذات اتجاهين، فإما أن الفرد ذوي صعوبات التعلم الذي له قصور في هذه المهارات يتزوي بنفسه وينعزل عن الوسط الاجتماعي، أو يصبح عدائيا، فنلمس العدوانية والاندفاعية في سلوكياته، وربما يصل إلى الجنوح كذلك. يواجه الأفراد ذوي صعوبات التعلم الذين لديهم قصور في المهارات الاجتماعية مشاكل جمة منها ما

<sup>1</sup> سليمان عبد الواحد يوسف: المرجع السابق، ص 142.

<sup>2</sup> المقداد، أسامة بطاينة: المرجع السابق، ص 254.

<sup>3</sup> سليمان عبد الواحد يوسف: المرجع السابق، ص 139.

يتعلق بالإدراك الاجتماعي أو بالتفاعلات الاجتماعية، أو المشكلات الاجتماعية الانفعالية بشكل عام. وبما أن البرنامج العلاجي أو التعليم العلاجي بصفة خاصة، الذي يثبت فعاليته ونجاحه، هو ذلك الذي ينطلق من معرفة الأسباب الكامنة وراء الصعوبة أو الاضطراب، وليس الاكتفاء بالمظاهر التي هي تحصيل حاصل فقط، فإن تنمية المهارات الاجتماعية لدى ذوي صعوبات التعلم عن طريق البرامج التدريبية أو البرامج العلاجية المبنية على خلفية نظرية، وذات أنشطة متنوعة وأهداف مرسومة بشكل علمي، واستراتيجيات وفنيات وأساليب ووسائل مناسبة، قد أثبتت فعاليتها في ذلك، حيث أنها تحدد إلى درجة كبيرة من قصور المهارات الاجتماعية، ومن خلال ذلك يمكننا كذلك وبشكل موازي أن نعدّل الكثير من السلوكيات الاجتماعية السلبية وغير السوية التي كانت نتيجة لذلك القصور.

### قائمة المراجع:

#### أولا المراجع باللغة العربية:

- 1- عبد الحميد سعيد حسن: "دراسة مقارنة بالمهارات الاجتماعية بين الأطفال ذوي صعوبات التعلم والعاديين في سلطنة عمان"، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، م 1، ع 1، يناير 2009.
- 2- قيس المقداد أسامة بطاينة عبد الناصر الجراح: "مستوى المهارات الاجتماعية لدى الأطفال العاديين والأطفال ذوي صعوبات التعلم في الأردن"، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، م 7، ع 3، 2011.
- 3- ماهر مفلح الزيادات، نهلا أمجد حداد: "أثر برنامج تدريبي في تنمية المهارات الاجتماعية ومفهوم الذات الأكاديمي والثقة بالنفس لدى عينة من الطالبات ذوات صعوبات التعلم في الأردن"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، م 13، ع 4، ديسمبر 2012.
- 4- سليمان عبد الواحد يوسف: "ذوو صعوبات التعلم الاجتماعية والانفعالية، خصائصهم، اكتشافهم، رعايتهم، مشكلاتهم"، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.
- 5- عادل عبد الله محمد: "التعليم العلاجي للأطفال ذوي صعوبات التعلم"، ط 1، دار الرشاد للنشر والتوزيع، 2008.
- 6- بحري صابر، خرموش منى: "صعوبات التعلم بين المفهوم والأسباب"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 17-18، مارس 2016.
- 7- الهاشمي لقوفي، منصور بن زاهي: "فعالية برنامج مقترح في الألعاب التربوية لتنمية بعض المهارات الاجتماعية لدى أطفال التربية التحضيرية بمدينة ورقلة"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 24، جوان 2016.
- 8- محمد النوبي محمد علي: "صعوبات التعلم بين المهارات والاضطرابات"، ط 1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.
- 9- سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم: "المرجع في صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2010.
- 10- علي محمد الصمادي، صباح إبراهيم الشمالي: "المفاهيم الحديثة في صعوبات التعلم"، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2017.
- 11- يحيى أحمد القبالي: "مدخل إلى صعوبات التعلم"، ط 2، دار الطريق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.

- 12- فتحي مصطفى الزيات: "قضايا معاصرة في صعوبات التعلم"، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 2007.
- 13- خولة أحمد يحيى: "البرامج التربوية للأفراد ذوي الحاجات الخاصة"، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006.

ثانياً المراجع باللغة الأجنبية:

- 14- Sharon A.cermak, **Social Skills in Children with Learning Disabilities**, occupational therapy in mental health, Vol. 13(4) –january 1997. By the haworth press, Inc.
- 15- Kenneth A. Kavale and Steven R. Forness, **Social Skill Deficits and Learning Disabilities : A Meta-Analysis**, Journal of Learning Disabilities, Volume 29, Number 3, May 1996.
- 16- Henry B. Reiff, **Social Skills and Adults with Learning Disabilities**, Linkages Vol. 2, No. 2 National Adult Literacy and Learning Disabilities Center. <http://www.ldonline.org/article/6010>.
- 17- Kenneth a. Kavale and Mark p. Mostert (2004), **Social Skills interventions for Individuals with Learning Disabilities**, Learning Disability Quarterly, Volume 27, Winter 2004.
- 18- Hazar Mafra, **Development of learning and Social Skills in Children with Learning Disabilities: An Educational Intervention Program**, Procedia - Social and Behavioral Sciences 209 ( 2015 ) 221 – 228.
- 19- Cortiella, Candace and Horowitz, Sheldon H. **The State of Learning Disabilities: Facts, Trends and Emerging Issues**. New York: National Center for Learning Disabilities, 2014.
- 20- Al Tarawneh, R.K. **Friendship Skills of Students with Learning Disabilities in Jordan** from the Perspectives of Their Teachers and the Effect of Some Variables on It. Open Journal of Social Sciences, 5,2017, pp 136-150.

## آليات إشتغال فلسفة الخواء: "قراءة في كتابة إميل ميشال سيوران"

### The Mechanisms of Working the Philosophy of Emptiness: "Reading in the Writing of Emile Michel Cioran"

د. سعدلي سليم / جامعة برج بوعريش الجزائر

Sadli Selim, University of Bordj Bou Arreridj, Algeria

#### Abstract:

Cioran lived on stage talking about modernism, postmodernism, is the legitimate child of the collapse of traditional structures of Western thought, the disintegration of great tidbits era, it is probably the only semi heir of «philosopher hammer» Frederic Nietzsche, away from his time, and about time. He sought to destroy the meaning to otherwise meaningless experience, it was announced that against philosophers and philosophical systems against citations, as that against intellectuals from the quote and citation.

And thanks to the form of writing alshzerih, CT, which is devoid of wisdom's shorthand belongs to those writing in praise of selfishness does not sacrifice, and readily desorb d suicides continue Rube in life and put fun demolition and disassembly for fun construction and installation, to look like a hymn of solitude and not To celebrate the public, it's a deliberate flippancy of mind and rational alothoki and verbose praise of madness and delirium. So they often look, write scathing sarcastic, mocking all the big lies produced by the human mind.

Facing alshzerih in writing "letters Cioran" big question on self accompanied by ghost of nihilism, the nugget mechanisms that represent us constraints exist and we will try to adapt the creative text alshzeri in light of a series of mechanisms, which is determined systematically through our focus on some works.

**Keywords:** Hypothetical writing- The Philosophy of Emptiness- Reality constraints- Self-fading in the specter of nihilism- Fun demolition and disassembly.

## ملخص :

عاش سيوران في مرحلة تتحدث عن الحداثة، وما بعد الحداثة، وكما يصرح الدكتور شادي كسحو " فهو الابن الشرعي لانهيار البنى التقليدية للفكر الغربي، وتفكك عصر الحكايات الكبرى وربما هو الوارث شبه الوحيد لـ «فيلسوف المطرقة» فريدريك نيتشه"، اختار الابتعاد عن زمانه، وعن الزمن. سعى إلى تحطيم المعنى من أجل خوض تجربة اللامعنى، أعلن أنه ضد الفلاسفة وضد المنظومات الفلسفية والمقولات، كما أنه ضد المفكرين الذين ينطلقون من الاقتباس والاستشهاد. وفضل شكل الكتابة الشذرية، المقطعية التي لا تخلو من الحكمة المختزلة، ويرى شادي كسحو بأن كتابته تنتمي إلى تلك الكتابة التي تمتدح الأنانية لا التضحية وتمجد الانتحار على الاستمرار الساذج في الحياة، وتضع متعة الهدم والتفكيك مقابل متعة البناء والتركيب، لتبدو كأنها نشيد للعزلة وليس للاحتفال بالجمهور إنها تهكم متعمد من العقل الوثوقي والعقلاني وامتداح مطول للجنون والبهذيان. لذلك فهي كثيراً ما تبدو، كتابة لأذعة متهكممة، تسخر من كل الأكاذيب الكبرى التي أنتجها العقل البشري".

تواجه الكتابة الشذرية في "خطابات سيوران" السؤال الأصعب المتعلق بالذات التي يرافقها شبح العدمية، وآليات الشذرة التي تمثل لنا إكراهات الوجود، وسنحاول أن نكيف النص الإبداعي الشذري في ضوء مجموعة من الآليات، التي يتم تحديدها منهجياً من خلال تركيزنا على بعض مؤلفاته.

الكلمات المفاتيح: الكتابة الشذرية، فلسفة الخواء، إكراهات الواقع، تلاشي الذات في شبح العدمية، متعة الهدم والتفكيك...

## تمهيد:

كتابة الشذرات التي امتاز بها الفيلسوف الفرنسي إميل سيوران\* عبارة عن تأملات ماورائية صارمة حول الحياة، وتعبير شاعري عميق عن تجارب ذاتية وموضوعية وفنية، كما أنها بمثابة جمل أو ملفوظات أو مقاطع، وهي كذلك متواليات مقطعية منفصلة عن بعضها البعض، بيد أنها قوية وجذابة، تحمل صوراً دلالية عميقة قائمة على الانزياح والمفارقة والسخرية والإيحاء

\* - ولد إميل ميشال سيوران يوم ٨ نيسان -أبريل ١٩١١ في "رازيناري" وهي قرية في مقاطعة ترانسلفانيا الرومانية من أب قسيس أرثوذكسي، وعرف منذ طفولته بحبه للعزلة والتزهد في الجبال المحيطة بقريته، وأمضى الأعوام ما بين ١٩٢٨ و ١٩٣٢ في جامعة بوخارست؛ حيث حصل على دبلوم حول الفيلسوف برغسون، واكتشف الفيلسوف الألماني سيمل. ويتحدث سيوران عن حالات من الأرق واليأس لازمته خلال هذه المرحلة فأوحت إليه بكتابه الأول الذي ألفه سنة ١٩٣٢ ونشره سنة ١٩٣٤ تحت عنوان "على ذرى اليأس". ثم أعقبته عناوين مثل "كتاب الخُذع" و "دموع وقديسون" ومر بمرحلة صعبة في حياته لم تميزها سوى رحلة إلى باريس لمدة شهر قرر إثرها الإقامة في فرنسا التحق بالسرِبون لدراسة اللغة الإنكليزية فاكشف الشعراء الإنكليز ثم قرر تعميق لغته الأم الرومانية لكنه سرعان ما استغرب هذا الاختيار، حتى قرر سنة ١٩٤٦ أن يقطع مع لغته ومع الماضي، من أجل الإقامة النهائية في فرنسا لذلك بدأ يطور لغته الفرنسية. ونشر كتابه الأول بهذه اللغة بعد ثلاثة أعوام، أي سنة ١٩٤٩، ضمن منشورات "غاليمار" التي سوف تتولى أعماله لاحقاً، فكان أول كتاب ينشره بالفرنسية بعنوان "موجز التفكيك" وحصل به على جائزة اللغة الفرنسية المخصصة للكُتّاب الأجانب، كان من بين أعضاء لجنة التحكيم: أندريه جيد، جول رومان سويرفيال، بوليهان، الخ... ثم اتخذ سيوران قراراً برفض كل أنواع الجوائز. وتأكّدت قيمته ككاتب باللغة الفرنسية وتوالت مؤلفاته: قياس المرارة، بحث في الفكر الرجعي "التاريخ واليوتوبيا"، "السقوط في الزمن" وخلال هذه المرحلة أي مع بداية الستينات، أشرف على سلسلة دراسات ضمن منشورات "بلون" "لكنها لم تنجح على الرغم من أهمية عناوينها. فخاب ظنه وألغى السلسلة بعد صدور الكتاب السابع، فكانت تلك تجربة النشر الوحيدة التي خاضها. وتابع إصدار مؤلفاته: "الخلق السيء" ١٩٦٩ " مساوي أن يكون المرء قد ولد" ١٩٧٣، "التمزق" ١٩٧٩، "تمارين الإعجاب" ١٩٨٦، وفي العام نفسه صدر له مختصر كتاب كان قد ألفه باللغة الرومانية بعنوان "دموع وقديسون" ثم أصدر "الاعترافات واللعنات" سنة ١٩٨٧ وكتاب: على ذرى اليأس سنة ١٩٩٠ مترجماً عن الرومانية. ينظر: إميل سيوران، لو كان آدم سعيداً، تر: محمد علي اليوسفي، ط4، شارع الشريف ناصر بن جميل، الدوحة، 2014، ص 9-10.

والعصف الذهني، ويتميز تتابع هذه الشذرات في حركة ما بعد الحداثة بإيقاعية سريعة قوامها: الحركة والدينامية المستمرة. ومن هنا، فالشذرات هي كتابات ممزقة ومتفرقة تبدو أنها ضد النسقية التي تميزت بها البنى الفكرية التقليدية، وضد النظام النصي الصارم، "محكومة بتدفقات مقطعية لا تروم إلا الكلمة المواتية اللازمة، والبلاغة المقتصدة المصادمة"<sup>1</sup>. وتستعمل غالباً الشذرات بمثابة سلاح هجائي ضد الزمن الراهن، روحها هي روح التمرد والاختلاف، والتفكيك وتعمل على الهدم والتقويض. إنها كما قال نيتشه: "فن الخلود" وتظهر الشذرة في المجتمعات المضطربة التي تعجز كل الأنساق عن فهمها، وتخاف الاقتراب منها، ويملك الشاذر طبيعة مقاتلة لمقاومتها، فهو لا يخاف الصراع، بل يعمل واعياً على إشعال فتيله، وهو المعارض الأبدي بامتياز، أو كما قال عنه شليغل: "يوجد دائماً في وضع هجائي"<sup>2</sup>.

ويرى شبيرون بأنها ترجمة لحالات انفعالية، أو إن شئت فهي لا تولد أبداً من تلقاء ذاتها. إنها في غالب الأحيان خاتمة تحليل أو فكرة مكتوبة توفر على القارئ عناء التفكير فلا تعبر إلا عن خلاصة ما يبثه الفكر، لذا لن تجد أي فيلسوف جدي كأرسطو أو هيجل يكتب شذرات، أما نيتشه فكان يفعل ذلك بسبب مرضه<sup>3</sup>.

وهناك مجموعة من المفكرين والفلاسفة الذين وظفوا الشذرات كبلانشو وباسكال وجراسيان، ونيتشه في كتابه: "هكذا تكلم زرادشت"<sup>4</sup>، ومنتاني في مقالاته وفاليري، ورولان بارت، والبلغاري إلياس كانيتي كما في كتابه: "شذرات"، وكافكا وغيرهم. ويقول شبيرون في حق الكتابة الشذرية: "في ما يخصني، حبي للتعبير المرح الخفيف الظل ولللاقتضائية والاختصار، هو الذي يدفعني إلى تبني الخطوة التي تحدث عنها، وهذا الصنف عموماً يعبر عن الإنسان في لاستمراريته وهشاشته.

ومن ثم، يؤكد شبيرون ذلك بقوله: "التناقض ملازم للحياة نفسها، وبالتالي، لا أعيره أي انتباه في كتاباتي، أما التكرار، فإنه تأكيد وتعبير عن حالة ثابتة أو وسواس. إني من هؤلاء الناس الذين يتلقون الحياة كوسواس"<sup>5</sup>. ويعني هذا أن شبيرون يكتب أفكاره التأملية والفلسفية في شكل مقاطع وتفاريق وشذرات تتحرر من كل مقومات الفلسفة النسقية القائمة على صرامة الحجج الفلسفي وضوابط التحليل المنطقي الاستدلالي.

وكان لهذا النموذج الخطابي الموسوم بالشذرات مكانة في كتابات إميل سيوران التي تشكل ثورة فكرية تعانق ما بعد الحداثة في أبعادها. إنه بديل خطابي يريد من خلاله نقل النص إلى الإختلاف في الدلالة والشكل، أما التصور الذي يُقيمه للعالم فعمل على خلق مجال مضمّر يقع بين النص والذوات المضمنة مرجعياً والذات القارئة.

لكننا في تحليلاتنا اللاحقة سنهتم بالآليات التي تفرضها خصوصية النص الشذري، ولا ندعي فيه تمام التحليل، فسيظلّ مجالاً لافتراضات شتى وعرضة لتحليلات لا حصر لها.

<sup>1</sup> - بنسالم حميش: معهم حيث هم، بيت الحكمة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص133.

<sup>2</sup> - ينظر: جميل حمداوي، النقد الشذري أو الكتابة الشذرية بين النظرية والتطبيق - المغرب- موقع الحوار المتمدن موقع رقمي، العدد:3040، بتاريخ:2011/06/21، ص 1-2

<sup>3</sup> - ينظر: فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، تر: محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2 2011، ص 41-42. ينظر كذلك: جميل حمداوي، النقد الشذري أو الكتابة الشذرية بين النظرية والتطبيق، ص 2-3.

<sup>4</sup> - جميل حمداوي، م، س، ص 144.

<sup>5</sup> - Ph. LacoueLabarthe et J.-L. Nancy : L'absolu littéraire, Paris, seuil.Poétique, 1978.p, 33.

## 1- آلية الموسيقى وخلود الجسد:

ونحن نقرأ الكتابة الشذرية في كتاب: "المياه كلها بلون الغرق" نشعر أن إميل سيوران فيلسوف الحياة والموت المرتد يميل إلى ترسيخ سؤال مفاده: هل فشلت الفلسفة بالصمود في وجه الموت؟ تلتفت إميل سيوران عبر تأملاته الطويلة حول الولادة، والوجود، والفناء، متسائلاً ما إذا كان بإمكان الموسيقى إنقاذنا من اليأس الذي ينتابنا عندما نواجه ساعاتنا الأخيرة، فقد عُرف عنه تعظيمه للموسيقى، حتى على حساب الفلسفة التي درسها ودرّسها، فيقول مثلاً:

"ولماذا نعاشر (أفلاطون) إذا كان أي ساكسوفون\* قادراً هو أيضاً على أن يكشف لنا عن عالم آخر"<sup>1</sup>. فالموسيقى إذن قادرة على الكشف عن عوالم أخرى، غير تلك التي نقدر على الكشف عنها في حياتنا. فالمحاكاة الصوتية للوجود هي ذلك اللغز المنشور اللانهائي المرئي والمستعصي على المسك، حين يحدث لنا أن نمتحن فتنته، يصبح حلمنا الوحيد أن نُحْتَب في آهة<sup>2</sup>.

تعتبر الموسيقى في نظر سيوران "ملجأ الأرواح التي جرحتها السعادة"<sup>3</sup> فهي بمثابة قنوات تواصلية ووسائل تعبيرية تحاور الذات، بحيث إذا كنا قد تعودنا في تحليلاتنا أن نهتم بالفلسفة والفكر للترويج عن كلل الذات، فإننا لم نكتسب بعد قناة تواصلية فاعلة منفتحة على شيخ الموت تندرج ضمن الموسيقى التي يختارها سيوران كبديل عن الفلسفة.

إنّ أي نغمة موسيقية سواء أكانت نغمة أم مكتوبة في هذا العالم المخيف تهدف إلى تحقيق التواصل والتفاعل، فوظيفة الموسيقى الأساسية هي التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من الذات إلى الآخر، فالموسيقى بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم<sup>4</sup>. وهناك موسيقى غير لفظية يستطيع أن يتواصل بها الإنسان ويتفاعل مع العالم بأسره بل وتكون نغمات عالمية تسمو على "النغمات اللفظية" التي تختلف حسب الأقوام، كنغمة باخ كقول سيوران: "إذا كان ثمة من هو مدين بكل شيء لباخ\*، فهو الله"<sup>5</sup> والتي تظهر ملامحها في نصوص الكتابة الشذرية.

ونظراً لكون أوجه ومجالات الموسيقى غير اللفظية كثيرة ومعقدة يكفي أن نذكر منها على سبيل المثال: الساكسوفون، فإشارات الخارجية ذات دور حاسم في التواصل، فهو أساس الانطباع الوحيد الذي يضفي على هشاشة الجسد ما يطرد مخالب الموت،

\* - الساكسوفون: يسمى اختصاراً ساكس، وهي آلة نفخ أسطوانية تصويرية تنتهي لعائلة آلات النفخ الخشبية، تصنع عادة من النحاس الأصفر ويتم العزف بها عن طريق قصبه هوائية واحدة، اخترعها البلجيكي أدولف ساكس عام 1840 يحتوي جسم الآلة على عشرين ثقباً يتم التحكم بها عن طريق مفاتيح ويتم التحكم بالمفاتيح على شكل مجموعات بواسطة الأصابع الثلاث الأولى من كل يد وهناك أيضاً ثقبين آخرين يستخدمان لرفع الأصوات الناتجة عن الآلة أوكتافاً إلى الأعلى أو إلى الأسفل من الطبقة العادية وهناك عدة أنواع من الساكسوفون حسب الطبقة الصوتية التي ينتجها مثل ساكسوفون سوبرانو وساكسوفون ألتو وساكسوفون تينور وغيرها ولجميع الأنواع مجال صوتي يبلغ الأوكتافين ونصف الأوكتاف تم استخدام الساكسوفون في الأوركسترا لأول مرة عام 1844 وكتب العديد من المؤلفين الموسيقيين أعمالاً موسيقية للساكسوفون. ينظر:

الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

<sup>1</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، تر: آدم فتحي، منشورات دار الجمل، 2003، ص 149-150.

<sup>2</sup> - ينظر: قيمة الموسيقى عند سيوران: <http://www.saqya.com>

<sup>3</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 150.

<sup>4</sup> - ينظر: ضياء غني العبودي، متتالية الجسد السردية، دراسة في مجموعة "تراتيل الماء قصة"، س ص ع، "لعبة الأقدام اختياراً"، ص 1، الموقع:

<http://ahmedtoson.blogspot.com>

\* - يوهان سباستيان باخ: بالألمانية Johann Sebastian Bach: ع أرغن ومؤلف موسيقي ألماني ولد في 1685 ورحل في 1750 ميلادية يعتبر أحد أكبر عابرة الموسيقى الكلاسيكية في التاريخ الغربي.

<sup>5</sup> - إميل سيوران، م، س، ص 149.

لكون الجاذبية الجسدية وعناصر الإثارة من أهم المثيرات المكونة لمظهر الإنسان من إشارات وحركات وما يندرج ضمنها من إيماءات، ولافات وحركات السمع التي تعانق الكينونة<sup>1</sup>.

ولعلّ من بين أهم مؤشرات التعبير الشذري في خطابات سيوران والتي تحتل مكانة هامة، نجد "الجانب الموسيقي" الذي يصير نسقاً للتفكير في أداة معرفية واكتشاف العالم والنفاد إلى كنه الآخرين، إنّه مرآة عاكسة وملجأ للأرواح الجريحة التي يحدق بها الموت ولكن الموت\* بهذه الطريقة هو استسلام أسهل من أن يقبل به من كان مثل سيوران، لذلك فهو يكتب كي يموت على طريقته هو، بإستطيقاه هو، عابثاً بالفلسفة النسقية خصوصاً ساخراً من الفكر في صرامته الهرجسية، أخذاً من الشعر والموسيقى جوهرهما المشترك: الومضة والاشراق...<sup>2</sup>.

فإنّ عدنا إلى كتاباته حول الموسيقى، سنجد أنّه احتفى بهذه الأخيرة كما لو أنّها الحياة نفسها بالنسبة إليه، هنا بعض شذراته حولها:

(لما كنت قد ولدت بروح عادية، فقد طلبت روحاً أخرى من الموسيقى. كان ذلك بداية مأس لم أكن أجرؤ على تمنّيها..". " لولا عبث الفلاسفة لقامت الموسيقى مقام الفلسفة ولكانت من ثم فرودس البدايات غير المعبر عنها..". "بتهوفن أفسد الموسيقى: أدخل عليها اللحظات المزاجية سمح بتسلل الغضب...". "لما كنت بلا دفاع ضد الموسيقى فقد توجب عليّ أن أستسلم إلى استبدادها، وأن أكون حسب مشيئتها، إلهاً أو ثوباً رثاً".

"مرت بي لحظات كنت خلالها أستعبد وجود أبدية في وسعها أن تفصل بيني وبين الموت ومن ثم كنت أفقد كل خوف من الموت، حدث الأمر نفسه مع كل موسيقى. مع الموسيقى كلها. "كم أود لو مت بواسطة الموسيقى عقاباً لي على شكي أحياناً في جبروت قدرات الحياة الشريرة". "اللانهائي" الراهن"، الذي تعتبره الفلسفة غير معقول، هو حقيقة الموسيقى وماهيّتها<sup>3</sup>.

ليست الموسيقى إذن في هذه المقاطع الشذرية، كقوله: لما كنت قد ولدت بروح عادية فقد طلبت روحاً أخرى من الموسيقى... لولا عبث الفلاسفة لقامت الموسيقى مقام الفلسفة ولكانت من ثم فرودس البدايات غير المعبر عنها، سوى وسيلة من وسائل تواصل الجسد مع الوجود بعيداً عن مثالب الانتحار، أو كما وصفها سيوران أحد ألسنة الذات تخاطب ما هو صميم وحميم في الإنسان يعبر بها عن أغراضه ومقاصده، إذ تنمو سيرورة الجسد التي لا تخلو من التمرد، متوسلة بالموسيقى كأداة للتواصل غير اللفظي، فهي تصل إلى منطقة غائرة العمق، إلى الحد الذي لا يستطيع حتى الجنون نفسه التسلسل إليها. من أجل تفعيل خاصية تحويل ليال الأرق إلى وسيلة للمعرفة تنتجها الموسيقى<sup>4</sup>، كحركة آلة السّاكسُفون وقدرتها على كشف العالم الآخر، بالنسبة له تساهم في تجسيد البعد الجمالي، فإيقاعها منظومة من النغمات يقف فيها الجسد وقفة صامته بعيداً عن

<sup>1</sup> - ينظر: ادريس القصورى، شعيرة الجسد، واللغة غير اللفظية، "وقائع ندوة"، رهانات الكتابة عند محمد برادة، مختبر السرديات، كلية الآداب واللغات، بنمسك، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص 30-31.

\* - تنويه: ما أن بلغت المراهقة حتى كانت فكرة الموت تخرجني عن طوري، فلا أجد مهراً منها إلا في المسارعة إلى الماخور مستغنياً هناك بالموسيقى. إلا أن التقدم في السن يعلّمنا أن نتأقلم مع مخاوفنا، فنتخلّى عن أي محاولة للتهرب منها، ونتبرجس في الهاوية. وإذا كنت ذات يوم قد حسدت رهبان مصر، الذين كانوا يحفرون قبورهم بأنفسهم ليندرفوا فيها الدموع، فإني الآن لو حفرت قبري بيدي، لما ألقيت فيه إلا بأعقاب السجائر. ينظر: فكرة-

الموت-عند-إميل-سيوران <http://www.saqya.com>

<sup>2</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 6.

<sup>3</sup> - ينظر: م، ن، ص 149-150-152.

<sup>4</sup> - ينظر: إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 12.

الانسلاخ الروحي، "لأن الأرق الذي يعتري الجسد وعي مدوّخ قادر على تحويل الفردوس إلى غرفة تعذيب"<sup>1</sup>، وبالتالي فالموسيقى حركات تعبر عن معنى وظيفية التواصل والتفاعل مع العالم.

ونحن لو تتبعنا الإشارات الشذرية كما في قوله: "مرت بي لحظات كنت خلالها أستعبدُ وجود أبدية في وسعها أن تفصل بيني وبين الموت ومن ثم كنت أفقد كل خوف من الموت حدث الأمر نفسه مع كل موسيقى. مع الموسيقى كلها، "كم أود لو مت بواسطة الموسيقى عقابا لي على شكي أحيانا في جبروت قدرات الحياة الشريرة"، "اللانهائي" الراهن"، الذي تعتبره الفلسفة غير معقول، هو حقيقة الموسيقى وماهيّتها"، لرأينا بأن الحدث السّردي لهذه الشذرات ينمو سرداً جسدياً مفعماً بأبدية في وسعها أن تفصل بينه وبين الموت، إذ عدم اعتماد الشاذر على تجربة الكتابة\* في مواجهة فكرة الموت "أي الانفصال اللفظي" جعله بالضرورة يعتمد على "الاتصال الموسيقي" كآلية لنمو حركة الذات أمام جبروت الحياة الشريرة والإفانعدام الموسيقي في هذه المرحلة التي عاشها سيوران يعني موت الجسد الذي أنهكه الأرق، فالروح تنتعش بنغمات تحيلنا إلى رحاب الأبدية المفقودة، فأصبح لدينا اتصال غير لفظي بلغة النغمة التي تصدرها آلة السّاكسُفون، تنمو بتعاوض الجسد مع خلود الروح بعيدا عن تجربة الكتابة التي اعتبرها تجربة عديمة الجدوة.

بناءً على ما سلف فالشاذر هو العمق الحركي لمشهد الشذرات التي تصور روعة الموسيقى وخلودها في عبارات تلخص غرابة هذا العالم الذي لم يستطع سيوران احتواءه؛ حيث تتحول هذه الشذرات إلى أداة تواصلية تصور عظمة الموسيقى عند أمثال هؤلاء طافحة بألوان من الحساسية السّاخرة التي لا تكف عن توجيه اللوم والانتقاد تجاه هذا السقوط الذي يعصف بكينوته الذات التي رسمت لنا مشهد الكتابة كانتحار مؤجل بغض النظر عن الموسيقى التي عدها في هذه المرحلة الصعبة التي شهدت حياته الشعلة التي يحملها موسيقار العدم ليحن إلى ما قبل النشأة.

- 2- لغة الخواء ومساءلة الإنسان:

- أ- رفض الشهرة:

يتصادم الإرث الشذري الذي ترسمه لنا "الكتابة عند سيوران" بشدة مع "رؤية سارتر لعالم الكتابة وعلاقته بالعالم الخارجي" "الجمهور"، وإذا كان سارتر قد رفض نوبل لأسباب سياسية وصنع ابراهيم رفض جائزة الدولة التقديرية في مصر. فإنّ سيوران أصيب بإحباط نفسي كبير في 1988 حين أعلن أنه سينال جائزة بول موران فأعلن هو بدوره عن رفضه لهذه الجائزة، لأنّ أي جائزة تحط من منزلة الكاتب وتعمل على تدجينه وتطويقه بالمعجبين والمعجبات وهذه أفضل طريقة لتدمير المشروع

<sup>1</sup> - م، ن، ص ن.

\* - تجربة الاقلاع عن الكتابة التي عدها كانتحار مؤجل، معروفة عند اميل سيوران، كقوله: "في جميع الأوقات خاصة الآن حيث لم أعد أكتب، توقفت عن الكتابة، بدا لي انه من غير المجدي الاستمرار، فلم الكتابة في ظروف كهذه؟ في كل الأحوال، لم الكتابة أصلا؟ لماذا نراكم الكتب؟ لماذا نسعي جاهدين الى أن نصير كتابا؟ لقد صار الناس، منذ زمن، يكتبون كثيرا وهذه هي المعضلة، هذه الانتاجية عديمة الجدوى وبلا معنى، في باريس خاصة، لماذا هذا الالاحاح؟ أنا شخصيا فكرت دائما، في ترك الكتابة جانبا، او الاقلال منها الى أبعد حد، لكنني، في كل مرة أنساق وراء اللعبة، الآن تأكدت من أنني فقدت القدرة على مواصلة هذه المهزلة، من ذي قبل لم تكن الكتابة مهزلة. كان فعل الكتابة استجابة لضرورة ما، كانت الكتابة، عندي، طريقة في التخلص من نفسي، يجب القول ان أفضل طريقة لاختصار الأشياء كلها، هي الكتابة، ما ان نكتب شيئا حتى يكون قد فقد سحره، صار بلا معنى، لقد قتلنا الشيء كما قتلنا ذاتنا، كانت للكتابة وظيفة ما، عكس الآن، لاحظت أن الذين لا يكتبون لديهم منافع أكثر من الذين يكتبون، لانهم يحتفظون لأنفسهم بكل شيء. ان تكتب، معناه ان تفرغ نفسك من أجمل ما فيها، الذي يكتب، إذن هو شخص يفرغ نفسه، وهو في نهاية المطاف، يصير عدما، هكذا فالكتاب عديمو الاهمية، اعتقد هذا حقا، لقد افرغوا حتى من كينونتهم صاروا أشباحا انهم أناس بارزون جدا، لكن من غير كينونة. ينظر: سيوران في مقال بعنوان: ما أفدرك-حرفة-أيها الكتابة: <http://www.nizwa.com/>.

المعرفي للكاتب اي كاتب. هذا كان رأي سيوران دائماً؛ أي زهد لدى سيوران؟ وأي حرص على الكتابة؟ كم يخاف سيوران على سيوران من سيوران؟ أي درس في المعرفة يمنحنا هذا المجنون الناصع الصاهل في ظلمات برية القرن الحادي والعشرين؟. فهو القائل: لا يهتم بي إلا من كان به بعض من مس\*.

هكذا تجلت شهادات سيوران خاصة على المستوى النفسي للإنسان المرتبط بعالم حسي وهي زائل، وعلى ما يبدو يرى أن بنية الاعتراف الذي يبديه الناقد أو القارئ آلية مواتة لا شعوريا على حد تعبيره: "كل تعليق على كتاب هوسيء في اللاشعور، لا ينبغي الكتابة عن أحد، أبدا، لقد اقتنعت بجدوى هذه الفكرة إلى درجة أنني كلما ملت إلى فعل ذلك، كانت فكري الأولى أن أهاجم الشخص الذي سأكتب عنه، حتى وإن كنت معجبا به"<sup>1</sup>.

وعليه تكون آلية إلغاء الثناء الكتابي الذي نصادفه بعد أي إصدار إبداعي معانقة للجمالي من الناحيتين النفسية والروحية، وهذا ما أشار إليه مترجم الكتاب في قوله: "وللخروج من هذا المأزق؛ أي عدم التعريف بالكاتب وتقديم أفكاره، التجأ الناشر إلى أسلوب آخر: أن يجعل المؤلف يتحدث عن نفسه من خلال ملحق يضم مقتطفات من الحوارات التي أجريت معه على مر حياته"<sup>2</sup>، وأن الحقيقة المبتغاة لمعرفة القيم الإنسانية للمفكر ليست في إستفزاز المكتوب والتنقيب في أغواره البنائية وزلاته كما يحلو للقارئ، وليس صحيحا أن نعتبر الكتابة كتلة من المعاني الزائدة، فهي تظل تحت قضايا المسكوت عنه، أو ما لا يسمح البوح أو التفكير به<sup>3</sup>.

يحاول سيوران من خلال كتابته الشذرية أن ينتقد رأي الجمهور الذي يعتبر الفكر والفلسفة منبع الفضيلة، وترتب على ذلك تعزيز مكانة المفكر بجوائز قيمة يحتفي بها الجمهور على حساب الجسد الذي يعاني من أزمة وجودية لا ترده الجوائز إلى محور كينونته؛ حيث أصبحت الروح العميقة التي يبقى القارئ بعيداً عن استنطاق كُنهها موطن التسامي والفكر ورمز اللامتناهي على حساب العقل المقابل (الأخر) الذي أصبح نفاية للمكبوتات ومنبت الدوافع والغرائز النفسية التي لا تخلو من العداء الذي يضمه الإنسان لأخيه الإنسان.

وهو بهذا المعنى تكون "الكتابة عن أحد" عكس ما يظهر لنا، فحسب سيوران في شهادته: "كانت فكري الأولى أن أهاجم الشخص الذي سأكتب عنه، حتى وإن كنت معجبا به" لا تخلو من دنس ومأوى للألم والمرض والرغبة في كسر كيان الكاتب. لقد تعمقت القطيعة بين عالم سوداوي يمثله الإنسان الفاقد لتوازنه البيولوجي، وعالم فضيلة تمثله الروح الفلسفية الخائفة وسط هذا الزحام الوجودي، حتى استبطن سيوران داخله كفعل مشين مهاجم ولو كان معجبا بغيره. يجب أن يحذر غوايته ونفسه التي لا طالما اختارت الابتعاد عن كل ما يستهوي الآخر، لأن الروح العميقة هي وحدها الجديرة بالاهتمام نظراً لكونها راعية الأسرار القدسية واللذة الحقيقية، أما المتلقي فهو مجرد مثوى لنزوات الحياة عابرة، منحلة، بينما الروح لا تبلى ولا تتبدد فهي الأصل الذي لا يتعطل<sup>4</sup>. إن هذه الثنائية تضع هوة ضخمة بين الأنا الكاتبة والذات المتلقية، وتجعل للأنا الثانية وجوداً مستقلاً، ولكنه محقر وتابع، بينما تمرح الذات المفكرة في شكل مطلق، فهي تحت وصاية "النظام الكوني الإلهي"<sup>5</sup>.

\* - ينظر: أميل سيوران/ التخصص في العواء - حياكة الجليد مقداد مسعود، المحور: الادب والفن، الحوار المتمدن-العدد: 4208 - 2013 - 9 - 7 -

11:35

1 - إميل سيوران، لو كان آدم سعيدا، تر: محمد علي اليوسفي، ص 5.

2 - م، ن، ص 6.

3 - ينظر: منير الحافظ، الجنسانية، أسطورة البدء المقدس، مبحث: ثقافة الجسد، ط1، دار الفرقد، سوريا، 2008، ص 31.

4 - ينظر: حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، جريدة العرب الدولية، لندن 26 - 7 - 2007، ص 02.

5 - منير الحافظ، م، س، ص 32.

إن الفكر بالنسبة لفلاسفة العقل يستقل كلياً عن أحكام الآخر، إنه يتأسس على الحقد الدفين لأخيه المفكر، أما أحكام المتلقي فهي مهيأة للحقارة إنها حقيقة طارئة غير جديرة بفلسفة سيوران العدمية والذي يملأ خواء الكون برمز الخواء. فالإنسان عنده هو كيان تتجاوز فيه الروح المتلقي، فهي لا تستمد معناها إلا من ذاتها أو محاورتها على حد تعبيره، والجسد الثاني أو بالأحرى المتلقي آلة يمكن اختزالها في بنيتها العضوية التي لا تخلو من آثام النفس.

ب- نبذ الذات عن طريق فعل الولادة:

يقول سيوران على لسان أمه: "لو كنت أعلم ما كان سيصير عليه حالك لكنت قد أجهضت وارتحت"، ويقول في شذرات أخرى: "ليتهم يدركون السعادة التي يدينون لي بها أولئك الأبناء الذين لم أرغب بمجيئهم إلى هذا العالم"، "لا شيء يثبت أننا أكثر من لا شيء"، "وعيت منذ زمن ان مكاني ليس هنا، وانه ليس بإمكانني ان اتلاءم ابدًا مع دنيا الارض"، "لماذا كل هذا لأني ولدت"<sup>1</sup>. لا يوجد هناك ما يصف شعوري تجاه هذا المقاطع الشذرية سوى هذه المقولة لنزار قباني:

فإذا وقفتُ أمامَ حسنكِ صامتاً ... فالصمتُ في حرم الجمال جمالٌ.

قد يتساءل القارئ: أين المفر ياسيوران من مثالب الحياة، كل عباراتك تأثرنا إلى حد التوحد مع كل حرف وكلمة، كل الذين قرأوا لسيوران قد تجتاحهم عاصفة التشاؤم ولكن كلماته المتشائمة تلك أمدتهم بكثيرٍ من الحياة، رغم أن نظرة الفيلسوف "سيوران" سوداوية للحياة إلا أنه قد يغمر القارئ بسعادة تجعله يتفائل أكثر، مثال: عندما تشاهد فلماً تدفعك أحداثه للحزن والكآبة ولكن إخراجة رائع حتماً ستستمتع بالمشاهدة!.. وهذا حال القراء مع فلسفة "سيوران"<sup>2</sup>.

لقد كانت كل هذه الصرخة الوجودية نقطة انطلاق خطابات سيوران الشذرية التي يعثر عليها القارئ في ثنايا كتاب "مثالب الولادة"، يعرض مساوئ الولادة التي يراها على لسان أمه ندامة وشقاء، إذ بدأ في تفكيك هذه الثنائية (الولادة: كرها/ طوعاً) وتعربتها بسخريته السوداء الكاشفة عن معاناة الإنسان في حيز هذا الوجود، فأكد على حد تعبيره: "ليتهم يدركون السعادة التي يدينون لي بها أولئك الأبناء الذين لم أرغب بمجيئهم إلى هذا العالم" أن تلك الفئة من الأولاد التي لم يساهم سيوران في انجابه سعيدة ولو على المستوى الميتافيزيقي كما لا يمكن الفصل بين الواقعي والغيب في الفكر الإنساني من ناحية، إنه يسعى لخدمة الميكانيكية العضوية\* ولذلك فإن ما يجب القطع به أنه لا تفاضل بين الروح التي ترى المستقبل بعين الإستشراق والروح التي تنظر إلى الواقع بعين الأنية، فهما زوجان لا ينفصلان وحاضران على الدوام في الفكر والممارسة والخطاب والوجدان<sup>3</sup>، يرادف ما ذهب إليه "لويس فانسان في قوله: "إنه بسبب عجزه عن فعل شيء، لم يعد موجوداً بالنسبة لنفسه، وكذلك الأمر بالنسبة للآخرين، لأنه يواجههم بعجزه، لا شيء يمكن فعله إذا لم يعد شيء يمكن فعله"<sup>4</sup>.

لذلك يرى سيوران أنه كلما تحركت عقدة الأم فإن وعي النفس يسلم نفسه لفحوى مقولته: "لا شيء يثبت أننا أكثر من لا شيء"، وذلك لكي يلي الآخر (الأم) تعطش الانتقام اللاوعي بمعنى يحرض اللاشعور رعشة الأمهات إزاء الولادة، إنه التمزق الوجودي الذي يبحث عن تأسيس التوازن بين فعل الولادة والإنسان.

<sup>1</sup> - إميل سيوران، مثالب الولادة، تر: آدم فتحي، ط1، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2015، ص 7، وما بعدها.

<sup>2</sup> - ينظر: ينظر: حميد زناز، المعنى والغضب: مدخل إلى فلسفة سيوران: [www.goodreads.com](http://www.goodreads.com)

\* - الميكانيكية العضوية: نطلق عليها اسم: معمارية الخطاب الروحي والجسدي، بكافة حركاته وسيميائياته ودلالاته المتخيلة ينظر: منير الحافظ، الجنسانية، أسطورة البدء المقدس، مبحث: المرأة والمحرم في شرعنة النخب الفوقية، ص 66.

<sup>3</sup> - ينظر: حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص 2.

<sup>4</sup> - لويس، فانسان توماس، الموت، تر: مروان بطش، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان 2012 ص 70.

وبعد تأكيد سيوران على ذلك اللاشعور الذي يعتري الجسد والعقل، يضع الجسد في خانة المثالب، ويجعل من العقل المطرقة الوحيدة التي يمكن من خلالها الصمود أمام هذيان الجسد الذي يزج بالبراءة يوماً بعد يوم في سجن العالم السوداوي، كما توضحه هذه الشذرة "وعيت منذ زمن أن مكاني ليس هنا، وأنه ليس بإمكانني أن أتلاءم أبداً مع دنيا الأرض" "لماذا كل هذا لأنني ولدت!". فالإنسان بجسده المثلث وجوديا كما هو ملاحظ في "الكتابة الشذرية" هو ما يستحق الاهتمام والرصد؛ حيث يجب أن يعبر بكل حرية وبكل تلقائية ومن دون موانع أو قيود؛ لكي يتجلى المسكوت عنه وتظهر الحقائق دون زيف، وهذا ما تحتاج إليه نفسية سيوران القلقة والتي زادت قساوة الأم من حدّة نزيها، "إنّ التجربة الأشد مباشرة للإنسان تبين لنا أنه يكون على ما يرام في عالم طبيعي، جسم بين الأجسام مصاغ بالطريقة التي صيغت فيها الوقائع التي تحيط به، فإنّ السمة الأولى للجسم الإنساني هي أن يحتل مساحة في هذا الوجود، وهو ما يترجم بعبارات المكانية، فالإنسان يقابله المكان الذي يلد فيه وتظهر رغباته واحاسيسه، ولكنه يظل في منطقة حدودية بين الكون والملكية"<sup>1</sup>، لذلك يرى سيوران فائدة تغييب فعل الولادة، بل يجب أن يصبح الإعتقاد بالعدمية الهادمة هو الأساس وهذا من شروط ما بعد الحداثة التي تدعو إلى تحرير الإنسانية من خلال تطبيق العقل في الممارسة الاجتماعية. "فما بعد الحداثة تعني تكاثر وتزايد العلم والتقنيات خلال التصنيع وإدارة كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية بالألة والاستغناء عن الإنسان"<sup>2</sup>.

وفقا لوجهة نظر سيوران فالتخبط في شرك الولادة هو الخوف من المستقبل القادم الحاضر في بؤرة اللاوعي، كي لا يغيب التفكير في القادم والشائك والمنطوي لمقولات غربية لا تخلو من العدمية ومن آثار فلسفة نيتشه.

فالأخلق الذي يعتري الإنسان عنوان عريض لتلك الآلية المتبعة في الكتابة الشذرية، وهي آلية لكشف قيم ثقافية زائفة اضطهدت جوهر الإنسان وكبّلته وعطلت طاقته ومارست عليه الحجر؛ لذلك يرى "فوكو" أنه من اللازم إعادة الاعتبار للذات عبر الكشف عن المسكوت عنه، فالجسد له فكره والفكر له جسده، ومن لا جسد له، لا فكر له لأنّ الجسد حضور ووعي بالكينونة، لأنه والروح صنوان لا ينفصمان؛ إذ لا توجد ذات متعالية فوق الجسد، فهو المأوى والمثوى. ليس هذا فقط، بل إنّ فوكو "يؤكد أن تحقير الجسد وإنكاره وتغييبه بمثابة حرب مدمرة للروح أيضاً لذلك فإن حق الجسد في الوجود علامة أولى لوجود الروح وسعادتها أيضاً"<sup>3</sup> ومن ثم أصبح الجسد والاحتفاء به عنده كناية عن الوجود الروحي وبالتالي فالاحتفاء بالجسد مجرد حق تمّ إرجاعه لنصابه بعد أن تم تغييبه طويلاً.

### ج- نهاية التاريخ:

عمل سيوران على نبذ التاريخ في كتابه "تاريخ ويوتوبيا"، كقوله: "للتاريخ مجرى يسير فيه ويتبعه، لكن لامعنى له، فلنأخذ الامبرطورية الرومانية على سبيل المثال: لماذا فتحت العالم تاركة المجال للجرمانيين البرابرة لاجتياحها وهدمها؟ ليس لهذا أي معنى. لماذا شقيت أوروبا لمدة قرون طويلة من أجل تأسيس حضارة كان واضحا أنها مهددة بالزوال من الداخل، لأنّ الأوروبيين متصدعون داخليا، كل الحضارات برمتها ناضجة للاختفاء". الملاحظ أن سيوران لا يرى في الغرب إلا عفونة ذات رائحة زكية، جثة تفوح من بعيد وفي ثناياها لعنات لا تنتهي "ففي أوروبا تنتهي السعادة عند حدود فيينا. ليس وراء تلك المدينة سوى اللعنة بعد اللعنة منذ القدم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ميشيلا ما رزانو، فلسفة الجسد، تر: نبيل أبو صعب، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 2011، ص 62-63.

<sup>2</sup> - مبارك عامر بقنه، رؤية حول: العدمية وما بعد الحداثة/Doat/mubarak، <http://www.saaaid.net>

<sup>3</sup> - حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص 3.

<sup>4</sup> - سيوران، تاريخ ويوتوبيا، تر: آدم فتحي، ط1، منشورات الجمل، بيروت، 2010، ص 11.

وفق تقنيب معرفي محكم يحاور سيوران التاريخ الغربي؛ حيثُ فكك حضارة الغرب كالإمبراطورية الرومانية التي ساهمت في إخضاع الإنسان إلى أزمة وجودية عبر سيطرتها تاركة المجال للجرمانيين البرابرة لاجتياحها وهدمها؛ حسب سيوران ليس لهذا الفعل أي معنى وفي الوقت نفسه يسלט الضوء على أوروبا فهي بالنسبة إليه البلد الذي تنتهي فيه السعادة وتقوم فيه اللعنات. على حد تعبيره هي حضارة ناضجة للاختفاء، لا تملك زمام النفس لتضع رقابة على ذواتها المتصدعة داخليا، لا يتوانى سيوران في شدراثة السّاخرة التي سطرها في كتاب التاريخ واليوتوبيا عن قضية أساسية، وهي أن التاريخ كان عرضة لقوى متعددة ساهمت في إخضاعه وترويضه، فراح يزيل الستار عن الكوامن المستترة التي تخفيها الحضارة الغربية الزائفة.

إنّ سيوران يتصور التاريخ ككيان زائل، وممثل للحياة الزائفة التي يصنعها الطغاة على حد تعبيره: "أرى أن الطغاة وإن كنت أمقتهم، هم الذين يصنعون نسيج التاريخ، ولولاهم ما كان لأحد أن يتصور كيف تنشأ، إنهم بفاظتهم الفائقة وبهيميتهم المهمة، ليمثلون الإنسان وقد دفع إلى حدوده القصوى، إلى أقصى تجليات حقاياته ومزياه"<sup>1</sup>. إنّه يؤكد على الأساس الثقافي لأفعال الطغاة الهيمنية، ويراهن على قدرتهم المهمة في ترويض وتطويع الإنسان ودفعه إلى أقصى تجليات الحقايرة المقننة حول عنقه. يعتمد سيوران على المهارات والأدوات الثقافية المتاحة أمام حفرياته التي لا تنأى عن التنقيب في ثوب التاريخ الغربي المهترئ، لأنّ فظاعة نسيج التاريخ الغربي يحتاج إلى من يفض بكارته من أجل إنتاج تلك الآليات المسؤولة عن تفرغ المكبوت المتجذر في أعماق التاريخ الغربي المتصدع، من أجل بناء ذوات خالية من الأغلال التاريخية المتصدية، وأكثر من ذلك فإنّ إعتراقات الفيلسوف تصوب هدفها لتكتمل الصورة السيورانية فكرياً وأسلوبياً، بجانبها النسقي بعد أن اكتشفنا جانبها الشذري التفكيكي للتاريخ الغربي.

لقد كان سيوران منشغلاً على مدار كتاباته الشذرية السّاخرة والمفككة لتخوم العالم بالكشف عما يكبل الإنسان، ويقيد لأنّ ذلك في رأيه تكبيل للعقل، فكك أغلال الذات من آليات التوجيه والنفي والترويض هو إطلاق سراح العقول من سراديب الحجر والزيف والإثارة والحاجيات المزيفة<sup>2</sup>. ففي أعماله الأدبية المنجزة، كان يسعى إلى توظيف خطاب الخواء كمظهر من مظاهر أنشطة الكتابة التي تشكل رهاناً سياسياً، فهو من جهة يرتبط بأشكال تحرير الإنسان: ترويضه، تقويته على التنفيس الرهيب الذي جعل بعض النقاد يصنفون هذا النوع من الكتابة في دائرة العبث والعدمية.

وفي سياق تحليل الكتابة الشذرية وفق المنهج الجينالوجي\* يتبين لنا سيوران كشخص يتفحص العلاقات بين السلطة والذات في العالم؛ أي أن مهمة الجينالوجي ليست البحث عن معنى عميق للسلطة قائم في ما وراء سطح الحوادث والعلاقات، وليست

<sup>1</sup> - م، ن، ص 45.

<sup>2</sup> - حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص 2.

\* - يعرف «نيتشه» الجينالوجيا في كتابه: «جينالوجيا الأخلاق» Genealogy of morals «بأنها تتبع وتعقب مراحل نشأة وتطور القيم الميتافيزيقية، بالإحالة دائماً إلى الشروط الوجودية والمصلحية المنتجة لها، والفكرة الناضجة لهذا المنهج الجينالوجي هي أن جميع الظواهر عبارة عن تأويلات، ولا توجد هناك على الإطلاق أية ظاهرة في حد ذاتها. لقد بدأ التحول نحو الجينالوجيا يظهر عند فوكو منذ كتابته: نظام الخطاب، ونيتشه والجينالوجيا والتاريخ اللذين صدرا في عام 1971، وأصبح أكثر بروزاً ووضوحاً في كتابه المراقبة والعقاب عام 1975، والجزء الأول من كتابه تاريخ الجنس عام 1976، حيث قام «فوكو» بقلب نظام الأولوية لصالح «الجينالوجيا» التي أصبحت الآن تحتل المرتبة الأولى في سلم اهتماماته، وإن كان يؤكد أن الجينالوجيا تتكامل مع الأركيولوجيا وتتم عملها.

فغاية الجينالوجيا هي بالأحرى هدم وتقويض فكرة الأصل والمركز والحقيقة، تسعى الجينالوجيا إلى توضيح الانقطاعات حيثما يكون آخرون قد لاحظوا أن ثمة تطور مستمر، إنها تصف ماضي الإنسانية لكي تكشف زيف أناشيد التقدم الرسمية. على الجينالوجي إذاً أن ينسف أفكار الذات والحقيقة والمعنى والأصل، بعد هذا الهدم للبدايات الراسخة، عليه أن يكشف عن لعبة صراع الإرادات: فحيثما صوب نظرة عليه أن يبحث عن

كشفاً لما لم يتمكن من الإعلان عن ذاته منها، وليست تحريراً لما كتبه السلطة أو قمعته وليست إعلان حقيقة ما لا يجد حقيقته في ذاته، وليست وصلاً لما انقطع من عرى وحدة الذات واستمرارية التاريخ بل هي وصف للحدث كما يتبدى، ومتابعة لما هو كائن، هي انحياز لصوت المعركة ضد ثبوتية السلم المزعومة، إنها كتابة توصيفية لتقنيات الكشف عن الإنسان واستغلاله، بهذا الاعتبار نستطيع أن نبين أن ما يجمع بين أعمال سيوران حول الذات وخطاباته العدمية، إنها العلاقة بالذات، بتاريخها، بل أيضاً بمسارها اللامعادل، نتيجة للرقابة التي تمارسها الفئة الطاغية، العابثة بمصير الإنسان، من دون أن تمارس تلك الرقابة على ذاتها<sup>1</sup>.

انطلاقاً مما سبق يمكن اعتبار "الكتابة الشذرية السيورانية" وثيقة\* تحفر فيه أخاديد لا تمعى وترسم على جدرانها بوشم عصي زواله، فتكون الجينالوجيا بذلك هي إعادة رسم الشناعات والفضاعات التي تخترق التاريخ بعيون الراهن وأسئلة الحاضر، إن وصف الأرشيف يظهر خصوصية السلطة التي مورست والتي تمارس، لا كما يجب أن تمارس.

#### د- العزلة ونبذ الآخر:

يعمق سيوران في كتابه "المياه كلها بلون الغرق" المثخن بشذرات تعكس لنا فكرة التعامل مع الوجود بنظرة لا تخلو من الكآبة السوداء، ففي حديثه عن أشكال ومظاهر الناس يستخدم ضعينة الإنسان وجهله ككاشف ثمين لتحليل آليات الآخرين، وتعتبر هذه الشذرات الفلسفية إحدى أهم الوسائط التي استخدمت لممارسة الحفر المعرفي في ذات الآخر، وتمير رسالة إنسانية يعلن فيها عن المظاهر الزائفة.

ونستشف من هذا التوجه الفلسفي الذي أحدثه سيوران في سنن التعبير الشذري، أنه ينحو لتشييد بلاغة شذرية جديدة تحتفي بلغة ملتوية بمعانها المتعددة التي تختزل تجارب الكون الإنساني في شذرات مقتضبة. فلغته التي تنفي الآخر لغة إقصائية تعمد إلى التخلي عن الإنسان، على حد تعبيره: صلتني بالناس أفقدتني نظارة عصاباتي كلها"، وعندما يصف سيرك العزلة يقول: ساعتها تفهمون فضائله التنفيسية وظيفته العلاجية، تفوق منهجه على منهج التحليل النفسي وعلى الرياضات الشرقية أو الكنائسية كلها، ستفهمون خاصة أنا مدينون في معظمنا التجديف ولوقوفه إلى جانبنا في كل لحظة"<sup>2</sup>. ترتبط شذرات سيوران العميقة بالكلمات والعبارات والجمل المقتضبة، كلها تلخص سلوكيات وأفعال البشر التي أنهكت ذاته، فالنسبة إليه العزلة هي المرهم الوحيد الذي يريح الروح من أرقها الدائم، فهي تفوق منهج التحليل النفسي الذي يسعى إلى إعادة التوازن إلى الذات البشرية. إنها لغة شذرية حركية حقيقتها ليست في ذاتها ولكن في ما تحيل عليه من خبرات ومؤهلات ومحفزات، مما يلغي النظر إليها على أنها مجرد كآبات وإخفاقات خالية من المعنى، ذلك أنها ذات قوة إيحائية عالية من شأنها أن تثير دلالات وردود أفعال مختلفة تخلق أنماطاً وفيرة من التفكير.

مظاهر الخضوع والهيمنة والصراع، وكلما تطرق إلى سماعه حديث عن المعنى والقيم والفضيلة، فعليه أن ينكب على تعرية أساليب السلطة والقوة. ينظر: عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، 1992، ص 159-158-35.

<sup>1</sup> - عبد العزيز العبادي ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة، ص 55.

\* - مصطلح الوثيقة يأتي في إطار اهتمام «فوكو» بالوثيقة أو الأرشيف ضمن منهجه الجينالوجي، يرى «فوكو» أن الوثيقة Document كما يراها ليست في النص الذي بأسرنا في بحثنا عن أكبر قدر ممكن من الموضوعية لمقاربة موضوعات البحث، وليست الوثيقة هي التزامنا تجاه الماضي، نقدس مطلقته لتصبح مستقبلية المستقبل، والأنموذج الموجه لأنبية الحاضر، بل الوثيقة هي الجسد ذاته كما هو مأخوذ في علاقات السلطة. ينظر: م، ن، ص 56.

<sup>2</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 101.

يتجسد كذلك سخطه من البشر في قوله: "كّفوا عن سؤالي، عن برنامجي: أن أتنفس أليس برنامجاً"<sup>1</sup>. في هذا المقطع سخّرية مستعارة بطريقة تمكّمية ودون تصريح، يحضر فيها ما نفهمه يومياً من تصرفات الناس، من أسئلة متكررة على برامجنا في الحياة، بدون أن يسألوا عن صحتنا. يضاف إلى ذلك وجوب طريقة مثالية لإبعاد هؤلاء عن الذات الإنسانية المختنقة وسط زحامات ومكائد الإنسان التي يشير إليها سيوران في قوله: "أفضل طريقة للابتعاد عن الآخرين تتمثل في أن ندعوهم إلى الاحتفال بهزائمنا، بعد ذلك، نحن على يقين من أننا سنكرههم إلى آخر رمق في حياتنا"<sup>2</sup>. يشكل هذا المقطع الشذري الذي لا يخلو من فلسفة عميقة تحتوي على الإندهاش لدى المتلقي، موضوع التحرر من الوهم المعروف في حفلاتنا التي نقيمها لنفرح فيها مع أختنا الإنسان، غير أنّ سيوران يراها تجربة إنسانية قاسية لا تخلو من العبث، إنّ معرفة الناس على حقيقتهم حسب رأيه تستلزم منا أن ندعوهم إلى الاحتفال بهزائمنا لنكرههم إلى آخر رمق في حياتنا. يرى شوبنهاور أن معرفة أمور الحياة وباعث الألم وبؤس الحياة هما اللذان يعطيان أقوى دفع للفكر الفلسفي والتفسير المفاجيء للعالم، ما يجعله يصل إلى الرؤية الأليمة بوجود الشر في هذا البشر<sup>3</sup>.

خاتمة:

نجد سيوران يلخص قلقه الوجودي بهذه الكتابة الشذرية المتشظية\* التي تقودنا إلى تبطين تهكمي كتقنية يرتكز عليها لفضح الشرور التي تعاني منها البشرية، ويجدر هنا بالذات التذكير بكل ما احتفظ به سيوران من الإرث الكلاسيكي، ابتداءً من أفلاطون الذي لا يفتأ يقتبس ويستعير منه مفهوم الإنسان، يمكن اعتبارها تحليلات وتفكيكات جمالية إستعلائية تزعزع الوهم والهالة القدسية التي يتمتع بها الإنسان وهو في ثوب الأخلاق الظاهرة، وأما الباطنة فهي تثير الدهشة في زماننا هذا.

الصورة التشاؤمية التي ينقلها لنا سيوران من صديقه الإنسان تبقى صورة تمثيلية تذكرنا بقصة قابيل مع هابيل، تجعل القارئ يستحضر صورة "دلالة الإنسان العميقة، وهذا تجاوز للنمط الكلاسيكي الذي سارت عليه النصوص الفلسفية في الفكر الغربي، ومناسبة للتواصل مع متلقيه، بما يظهره من قدرة على الاستخفاف مستثمراً فيها المراوغة والتلاعب بالألفاظ الممزوجة بالكأبة العدمية.

دون السقوط في الفهم البائس، يمكن القول أن تألفنا مع كاتب ما يعود دائماً إلى كونه يعبر عن شيء دفين في كياننا، يستخرجه، بل يستله من أعماقنا اللاوعية ويضعنا أمام تناقضنا الوجودي. بكلمات أخرى لا نسعد سوى بقراءة من يعبر عما يختلج في دواخلنا. الكاتب الحقيقي هو ذلك الذي يكشفنا لأنفسنا، هو الذي يُطلعنا على أخبارنا، ربما لم يفعل سيوران سوى تعزيز فكرة متأصلة في كياننا وإدخال نوع من الغبطة الفلسفية الأدبية على روحنا القلقة.

الهواش:

\* - ولد إميل ميشال سيوران يوم ٨ نيسان -أبريل ١٩١١ في "رازيناري" وهي قرية في مقاطعة ترانسلفانيا الرومانية من أب قسيس أرثوذكسي، وعرف منذ طفولته بحبه للعزلة والتنزه في الجبال المحيطة بقريته، وأمضى الأعوام ما بين ١٩٢٨ و ١٩٣٢

<sup>1</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 106.

<sup>2</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 106.

<sup>3</sup> - ينظر: كليمان روسيه، شوبنهاور، فيلسوف العبث، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 2015.

\* - يعمد الإنسان إلى صنع التشظي في كتابته الشذرية المبنية على شعيرية الانفصال لكونه ذلك الفيلسوف الكوني الذي يتكلم باسم الآخرين، وخارج الركون إلى التواصل والتأرجح وسط انفعالاتنا الصماء ليست الحياة إلا رجة في مدى لا عناوين فيه، وليس الكون إلا هندسة مصابة بالصرع. ينظر: بنسالم حميش: معهم حيث هم، ص 135.

في جامعة بوخارست؛ حيث حصل على دبلوم حول الفيلسوف برغسون، واكتشف الفيلسوف الألماني سيميل. ويتحدث سيوران عن حالات من الأرق واليأس لازمته خلال هذه المرحلة فأوحت إليه بكتابه الأول الذي ألفه سنة ١٩٣٢ ونشره سنة ١٩٣٤ تحت عنوان "على ذرى اليأس". ثم أعقبته عناوين مثل "كتاب الخُدع" و"دموع وقديسون" ومرحلة صعبة في حياته لم تميزها سوى رحلة إلى باريس لمدة شهر قرر إثرها الإقامة في فرنسا التحق بالسربون لدراسة اللغة الإنكليزية فاكشف الشعراء الإنكليز ثم قرر تعميق لغته الأم الرومانية لكنه سرعان ما استغرب هذا الاختيار، حتى قرر سنة ١٩٤٦ أن يقطع مع لغته ومع الماضي، من أجل الإقامة النهائية في فرنسا لذلك بدأ يطور لغته الفرنسية. ونشر كتابه الأول بهذه اللغة بعد ثلاثة أعوام، أي سنة ١٩٤٩، ضمن منشورات "غاليمار" التي سوف تتولى أعماله لاحقاً، فكان أول كتاب ينشره بالفرنسية بعنوان "موجز التفكيك" وحصل به على جائزة اللغة الفرنسية المخصصة للكُتّاب الأجانب، كان من بين أعضاء لجنة التحكيم: أندريه جيد، جول رومان سوبريفيال، بولهان، الخ... ثم اتخذ سيوران قراراً برفض كل أنواع الجوائز. وتأكدت قيمته ككاتب باللغة الفرنسية وتوالت مؤلفاته: قياس المرارة، بحث في الفكر الرجعي "التاريخ واليوتوبيا"، "السقوط في الزمن" وخلال هذه المرحلة أي مع بداية الستينات، أشرف على سلسلة دراسات ضمن منشورات "بلون" لكنها لم تنجح على الرغم من أهمية عناوينها. فخاب ظنه وألغى السلسلة بعد صدور الكتاب السابع، فكانت تلك تجربة النشر الوحيدة التي خاضها. وتابع إصدار مؤلفاته: "الخلق السيء" ١٩٦٩ "مساوي أن يكون المرء قد ولد" ١٩٧٣، "التمزق" ١٩٧٩، "تمارين الإعجاب" ١٩٨٦، وفي العام نفسه صدر له مختصر كتاب كان قد ألفه باللغة الرومانية بعنوان "دموع وقديسون" ثم أصدر "الاعترافات واللغات" سنة ١٩٨٧ وكتاب: على ذرى اليأس سنة ١٩٩٠ مترجماً عن الرومانية. ينظر: إميل سيوران، لو كان آدم سعيداً، تر: محمد علي اليوسفي، ط4، شارع الشريف ناصر بن جميل، الدوحة، 2014، ص 9-10.

1 - بنسالم حميش: معهم حيث هم، بيت الحكمة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص133.

2 - ينظر: جميل حمداوي، النقد الشذري أو الكتابة الشذرية بين النظرية والتطبيق - المغرب- موقع الحوار المتمدن موقع رقمي، العدد:3040، بتاريخ:2011/06/21، ص 1-2

3 - ينظر: فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، تر: محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2 2011، ص 41-42. ينظر كذلك: جميل حمداوي، النقد الشذري أو الكتابة الشذرية بين النظرية والتطبيق، ص 2-3.

4 - جميل حمداوي، م، س، ص 144.

5 - Ph. LacoueLabarthe et J.-L. Nancy : L'absolu littéraire, Paris, seuil.Poétique, 1978.p, 33.

\* - السَّاكْسُون: يسمى اختصاراً ساكس، وهي آلة نفخ أسطوانية تصويرية تنتمي لعائلة آلات النفخ الخشبية، تصنع عادة من النحاس الأصفر ويتم العزف بها عن طريق قصبه هوائية واحدة، اخترعها البلجيكي أدولف ساكس عام 1840 يحتوي جسم الآلة على عشرين ثقباً يتم التحكم بها عن طريق مفاتيح ويتم التحكم بالمفاتيح على شكل مجموعات بواسطة الأصابع الثلاث الأولى من كل يد وهناك أيضاً ثقبين آخرين يستخدمان لرفع الأصوات الناتجة عن الآلة أوكتافاً إلى الأعلى أو إلى الأسفل من الطبقة العادية وهناك عدة أنواع من الساكسفون حسب الطبقة الصوتية التي ينتجها مثل ساكسفون سوبرانو وساكسفون ألتو وساكسفون تينور وغيرها ولجميع الأنواع مجال صوتي يبلغ الأوكتافين ونصف الأوكتاف تم استخدام الساكسفون في الأوركسترا لأول مرة عام 1844 وكتب العديد من المؤلفين الموسيقيين أعمالاً موسيقية للساكسفون. ينظر: الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

6 - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، تر: آدم فتحي، منشورات دار الجمل، 2003، ص 149-150.

7 - ينظر: قيمة الموسيقى عند سيوران: <http://www.saqya.com>

8 - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 150.

9 - ينظر: ضياء غني العبودي، متتالية الجسد السردية، دراسة في مجموعة "تراتيل الماء قصة"، ص ص ع، "لعبة الأقدام اختياراً"، ص 1، الموقع: <http://ahmedtoston.blogspot.com>

\* - يوهان سباستيان باخ: بالألمانية **Johann Sebastian Bach**: ع أرغن ومؤلف موسيقي ألماني ولد في 1685 ورحل في 1750 ميلادية يعتبر أحد أكبر عباقرة الموسيقى الكلاسيكية في التاريخ الغربي.

10 - إميل سيوران، م، س، ص 149.

11 - ينظر: ادريس القصورى، شعرية الجسد، واللغة غير اللفظية، "وقائع ندوة"، رهانات الكتابة عند محمد برادة، مختبر السرديات، كلية الآداب واللغات، بنمسك، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص 30-31.

\* - تنويه: ما أن بلغت المراهقة حتى كانت فكرة الموت تخرجني عن طوري، فلا أجد مهرباً منها إلا في المسارعة إلى الماخور مستغيثاً هناك بالموسيقى. إلا أن التقدم في السن يعلمنا أن نتأقلم مع مخاوفنا، فنتخلى عن أي محاولة للتهرب منها، ونتبرجس في الهاوية. وإذا كنت ذات يوم قد حسدت رهبان مصر، الذين كانوا يحفرون قبورهم بأنفسهم ليدرفوا فيها الدموع، فإني الآن لو حفرت قبري بيدي، لما ألقيت فيه إلا بأعقاب السجائر. ينظر: فكرة-الموت-عند-إميل-سيوران <http://www.saqya.com>

12 - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 6.

13 - ينظر: م، ن، ص 149-150-152.

14 - ينظر: إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 12.

15 - م، ن، ص ن.

\* - تجربة الاقلاع عن الكتابة التي عدها كانتحار مؤجل، معروفة عند إميل سيوران، كقوله: "في جميع الأوقات خاصة الآن حيث لم أعد أكتب، توقفت عن الكتابة، بدا لي انه من غير المجدي الاستمرار، فلم الكتابة في ظروف كهذه؟ في كل الأحوال، لم الكتابة أصلاً؟ لماذا نراكم الكتب؟ لماذا نسعي جاهدين الى أن نصير كتاباً؟ لقد صار الناس، منذ زمن، يكتبون كثيراً وهذه هي المعضلة، هذه الانتاجية عديمة الجدوى وبلا معنى، في باريس خاصة، لماذا هذا اللاحاح؟ أنا شخصياً فكرت دائماً، في ترك الكتابة جانبا، او الاقلال منها الى أبعد حد، لكنني، في كل مرة أنساق وراء اللعبة، الآن تأكدت من أنني فقدت القدرة على مواصلة هذه المهزلة، من ذي قبل لم تكن الكتابة مهزلة. كان فعل الكتابة استجابة لضرورة ما، كانت الكتابة، عندي، طريقة في التخلص من نفسي، يجب القول ان أفضل طريقة لاختصار الأشياء كلها، هي الكتابة، ما ان نكتب شيئاً حتى يكون قد فقد سحره، صار بلا معنى، لقد قتلنا الشيء كما قتلنا ذواتنا، كانت للكتابة وظيفة ما، عكس الآن، لاحظت أن الذين لا يكتبون لديهم منابع أكثر من الذين يكتبون، لانهم يحتفظون لأنفسهم بكل شيء. ان تكتب، معناه ان تفرغ نفسك من أجمل ما فيها، الذي يكتب، إذن هو شخص يفرغ نفسه، وهو في نهاية المطاف، يصير عدماً، هكذا فالكتاب عديم الأهمية، اعتقد هذا حقاً، لقد افرغوا حتى من كينونتهم صاروا أشباحاً انهم أناس بارزون جداً، لكن من غير كينونة. ينظر: سيوران في مقال بعنوان: ما أقدرك-حرفة-أيها الكتابة: <http://www.nizwa.com/>

\* - ينظر: أميل سيوران/ التخصص في العواء - حياكة الجليد مقداد مسعود، المحور: الادب والفن، الحوار المتمدن-العدد: 4208 - 9 - 7 - 11:35 - 2013

16 - إميل سيوران، لو كان آدم سعيداً، تر: محمد علي اليوسفي، ص 5.

17 - م، ن، ص 6.

18 - ينظر: منير الحافظ، الجنسانية، أسطورة البدء المقدس، مبحث: ثقافة الجسد، ط1، دار الفرقد، سوريا، 2008، ص 31.

19 - ينظر: حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، جريدة العرب الدولية، لندن 26 - 7 - 2007، ص 02.

20 - منير الحافظ، م، س، ص 32.

21 - إميل سيوران، مثالب الولادة، تر: آدم فتحي، ط1، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2015، ص 7، وما بعدها.

22 - ينظر: ينظر: حميد زناز، المعنى والغضب: مدخل إلى فلسفة سيوران: [www.goodreads.com](http://www.goodreads.com)

\* - الميكانيكية العضوية: نطلق عليها اسم: معمارية الخطاب الروحي والجسدي، بكافة حركاته وسيميائياته ودلالاته المتخيلة ينظر: منير الحافظ، الجنسانية، أسطورة البدء المقدس، مبحث: المرأة والمحرم في شرعنة النخب الفوقية، ص 66.

23 - ينظر: حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص 2.

24 - لويس، فانسان توماس، الموت، تر: مروان بطش، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان 2012 ص 70.

25 - ميشيلا ما رزانو، فلسفة الجسد، تر: نبيل أبو صعب، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 2011، ص 62-63.

26 - مبارك عامر بقنه، رؤية حول: العدمية وما بعد الحداثة/ <http://www.saaaid.net/Doat/mubarak/>

27 - حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص 3.

28 - سيوران، تاريخ ويوتوبيا، تر: آدم فتحي، ط1، منشورات الجمل، بيروت، 2010، ص 11.

29 - م، ن، ص 45.

30 - حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص 2.

\* - يعرف «نيتشه» الجينالوجيا في كتابه: «جينالوجيا الأخلاق» Genealogy of morals «بأنها تتبع وتعقب مراحل نشأة وتطور القيم الميتافيزيقية، بالإحالة دائماً إلى الشروط الوجودية والمصلحية المنتجة لها، والفكرة الناظمة لهذا المنهج الجينالوجي هي أن جميع الظواهر عبارة عن تأويلات، ولا توجد هناك على الإطلاق أية ظاهرة في حد ذاتها. لقد بدأ التحول نحو الجينالوجيا يظهر عند فوكو منذ كتابه: نظام الخطاب، ونيتشه والجينالوجيا والتاريخ اللذين صدرا في عام 1971، وأصبح أكثر بروزاً ووضوحاً في كتابه المراقبة والعقاب عام 1975، والجزء الأول من كتابه تاريخ الجنس عام 1976، حيث قام «فوكو» بقلب نظام الأولوية لصالح «الجينالوجيا» التي أصبحت الآن تحتل المرتبة الأولى في سلم اهتماماته، وإن كان يؤكد أن الجينالوجيا تتكامل مع الأركيولوجيا وتتم عملها.

فغاية الجينالوجيا هي بالأحرى هدم وتقويض فكرة الأصل والمركز والحقيقة، تسعى الجينالوجيا إلى توضيح الانقطاعات حيثما يكون آخرون قد لاحظوا أن ثمة تطور مستمر، إنها تصف ماضي الإنسانية لكي تكشف زيف أناشيد التقدم الرسمية. على الجينالوجي إذاً أن ينسف أفكار الذات والحقيقة والمعنى والأصل، بعد هذا الهدم للبداهات الراسخة، عليه أن يكشف عن لعبة صراع الإرادات: فحيثما صوب نظرة عليه أن يبحث عن مظاهر الخضوع والهيمنة والصراع، وكلما تطرق إلى سمعه حديث عن المعنى والقيم والفضيلة، فعليه أن ينكب على تعرية أساليب السلطة والقوة. ينظر: عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، 1992، ص 35-158-159.

<sup>31</sup> - عبد العزيز العبادي ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة، ص 55.

\* - مصطلح الوثيقة يأتي في إطار اهتمام «فوكو» بالوثيقة أو الأرشيف ضمن منهجه الجينالوجي، يرى «فوكو» أن الوثيقة Document كما يراها ليست في النص الذي يأسرنا في بحثنا عن أكبر قدر ممكن من الموضوعية لمقاربة موضوعات البحث، وليست الوثيقة هي التزامنا تجاه الماضي، نقدر مطلقته لتصبح مستقبلية المستقبل، والأنموذج الموجه لأنية الحاضر، بل الوثيقة هي الجسد ذاته كما هو مأخوذ في علاقات السلطة. ينظر: م، ن، ص 56.

<sup>32</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 101.

<sup>33</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 106.

<sup>34</sup> - إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 106.

<sup>35</sup> - ينظر: كليمان روسيه، شوبنهاور، فيلسوف العبث، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 2015.

\* - يعمد الإنسان إلى صنع التشظي في كتابته الشذرية المبنية على شعيرة الانفصال لكونه ذلك الفيلسوف الكوني الذي يتكلم باسم الآخرين، وخارج الركون إلى اللاتواصل والتأرجح وسط انفعالاتنا الصماء ليست الحياة إلا رجة في مدى لا عناوين فيه، وليس الكون إلا هندسة مصابة بالصرع. ينظر: بنسالم حميش: معهم حيث هم، ص 135.

## دور الأساليب الحديثة في تدريس الأصوات ومعالجة أخطائها في تطوير المدرسة القرآنية بمدينة نغاونديري وضواحيها

The role of modern methods of teaching sounds and their mistakes in the development of  
the koranic school in the city of Ngaoundéré and its environs

د. محمد سعودي/جامعة نغاونديري، الكاميرون

Dr. Mohamadou Sououdi- University of Ngaoundéré- Cameroon

ملخص:

تتناول الدراسة ظاهرة الأخطاء الصوتية والتجويدية التي ترتكبها في المدرسة القرآنية في مدينة نغاونديري وضواحيها من خلال الملاحظات التي سجلت ثم تقديم أساليب معالجتها بغية تحسين أدائهم حتى تتحقق الآمال المنشودة في المدارس القرآنية؛ وذلك من خلال تحليل مظاهر الأخطاء، وإبراز أسبابها، ثم تناول آثارها على المستوى التحصيلي للدارسين، وتطرق إلى عدد من المقترحات العلاجية التي قد تساعد المدرسين في تحسن أدائهم وإنتاجهم، وترفع كفاءتهم التعليمية، وتقلص الصعوبات التي يواجهونها في عملية التعلم والتعليم، وتسير الدراسة وفق المنهج الوصفي التحليلي ثم التقابلي. الكلمات المفتاحية: تحليل، الأخطاء، مدرس القرآن، الناطقين بالفلاتية، نغاونديري، الصوت، التجويد.

Résumé :

La présente étude a utilisé deux méthodes descriptives analytiques et contractive aborde le phénomène des erreurs phonétiques et récitation coranique commises par les enseignants du Coran dans la ville de Ngaoundéré et ses environs. Celles-ci ont été enregistrées durant une enquête menées au sein de quelques dizaines écoles. Les conclusions de l'enquête a permis de suggérer des méthodes de remédiation visant à améliorer le rendement de ces établissements éducatifs et apprentissage d'une part et, renforcent les compétences pédagogiques des enseignants, accroître les performances et réduire les difficultés auxquelles ils font face dans leurs processus d'apprentissage et d'enseignement. Qui, seront à la hauteur des aspirations et des attentes des parents d'autre part.

Mots clés : Analyse, erreurs, enseignant coranique, peuls, Ngaoundéré, sons, récitatif.

## مقدمة:

للدراستات والتجارب الحديثة في تدريس الأصوات دور وأثر بالغ في تحسين أداء المدرسين، فهي توفر لهم الجهد والوقت والكلفة المالية، وتقلل من الأخطاء لأن تلك التجارب مبنية على الخبرات والميدانية، وبناء على ذلك ارتأى الباحث إمكانية الاستفادة من تلك الدراستات الحديثة الصوتية في تطوير التدريس في المدرسة القرآنية، حيث إن هناك علاقة وطيدة بين الدراستات الصوتية الحديثة وما قام به علماءنا الأجلاء القدماء في مجال وضع قواعد وأسس تلاوة القرآن، وهو الذي كانوا يسمونه بتجويد القرآن، وترتيبه، فقد استفاد منها علماء الصوتيات في العصر الحديث، فطوروا، وأبدعوا ونظموا، واختروا الآلات، ولم لا نستفيد من تجاربهم تلك نحن؟

## إجراءات البحث:

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في أن معلمي المدارس القرآنية يواجهون صعوبات ومشكلات تعيق أداءهم في المستويين الصوتي والتجويدي وتقلل مخرجات جهدهم؛ فهل من الممكن الاستفادة من تحليل أخطائهم لتدليل تلكم الصعوبات وتقديم حلول لمعاناتهم؟ وهل باستطاعة هذا التحليل في تحسين الأداء النطقي والتجويدي؟

أهمية الدراسة: تتجلى أهمية الموضوع في كونه يعالج مشكلة قائمة بذاتها، وتكمن في عدم إتقان معلمي القرآن نطق الأصوات العربية، وأحكام التجويد، فالباحث يعالج ظاهرة يعاني منها معلمي القرآن، ويسعى إلى إظهار الصعوبات والمشكلات ووضع قواعد علاجية من شأنها أن تساعد في عدم الانزلاق إلى تلكم الأخطاء، وبالتالي يساهم في تحسين مردودية تعليمهم، وإن هذه الدراسة إن لم تكن جديدة، فإنها تسد ثغرة في عملية تعليم القرآن وتعلمه، وإضافة للمكتبة العربية في هذه البقعة من العالم.

أسئلة الدراسة: تسعى الدراسة إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

أولاً: هل يلم معلمي القرآن بأحكام التجويد ويتقنون الأصوات العربية؟

ثانياً: ما أسباب الأخطاء النطقية والتجويدية التي يرتكبونها؟

ثالثاً: ما آثار تلكم الأخطاء بشقيهما على مخرجات المدارس القرآنية؟

حدود الدراسة: يتحدد مجال الدراسة في أنها تتناول الأخطاء الصوتية والتجويدية التي يرتكبها معلمي المدارس القرآنية في مدينة نغاونديري وضواحيها من الذين يتحدثون اللغة الفلانية باعتبارها اللغة الأولى لهم.

إجراءات الدراسة: تكاد الدراسة تكون ميدانية في المقام الأول، واتخذت الملاحظة أساساً لإجرائها في المدارس القرآنية التي أسست وفقاً لبرنامج التحسين التربوي للمدارس القرآنية في عام 2010 في القرى المحيطة بمدينة نغاونديري، ثم انتشرت فيما بعد في أحياء المدينة، وزاد عددها على 30 مدرسة. واختير 15 مدرسة لتكون عينات الدراسة، ويبدو أن العدد كافٍ في نظر الباحث-ليقدم نتائج معتبرة.

كيفية اختيار العينة: تم إعداد استبيان لمعرفة بعض الجوانب عن المعلمين من حيث اللغة الأم، والإعداد المهني، والأعمار، والمدة التي قضوها في تعليم القرآن، والخبرات في المجال التربوي، وتسجيل أدائهم في الفصل قبل توجيه الأسئلة إليهم، حتى يتم تحليل المادة المسجلة لاحقاً بعد تفريغها إلى مادة مكتوبة كما هو، ثم حللت الأخطاء من واقع العينة الميدانية. واختيرت العينة عشوائية لغتها الأولى الفلانية، ذلك أن البحث يرمي إلى هذه الفئة من أجل التوصل إلى النتائج يمكن الاطمئنان إليها، ومن ثم تقديم المقترحات العلاجية الناجعة.

الإطار النظري لتحليل الأخطاء: يمر تحليل الأخطاء بثلاث مراحل، هي: التعرف والوصف والتفسير، ويرى معظم المعلمين أن بمقدورهم التعرف على الخطأ مع أن المرء قد يعبر تعبيراً مقبولاً ظاهرياً إلا أنه يجيد عن مقصوده مما يؤدي إلى التفسير الخاطئ بينما يتوقف التعرف على الخطأ على التفسير الصحيح، ولا يمكن البدء في الوصف إلا بعد التعرف على الخطأ.

أولاً: التعرف على الخطأ: بما أن التعبير قد يكون جيداً ظاهرياً من حيث الصياغة، وخاطناً بحيث لا يقبل تفسيره إذا وضعناه في سياقه الذي ورد أو يكون صحيحاً بمحض الصدفة دون أن يكون المعبر ملماً بالقواعد المنظمة له، لذا يقوم التعرف على الخطأ على قيام المحلل بتفسير صحيح للمعاني التي يقصدها المعلم<sup>1</sup>؛ فهناك أخطاء ظاهرة وأخرى باطنة، وفي هذه النقطة بالذات تمكن الصعوبة، لأن معرفة مقاصد المعبر تكون سهلة عند تواجده؛ فيستفسر منه، وإلا فلا مناص من استنتاج قصده من البنية الظاهرة استناداً على قرائن السياق؛ فينخفض بالتالي مستوى الثقة بالنتيجة التي يتوصل إليها.

ثانياً: وصف الخطأ: عملية وصف الخطأ تعتمد على مقارنة المادة الخاطئة بالمادة الصحيحة بالاستعانة بالدراسة الوصفية للغة المنشودة، فهذا الوصف يقتصر على الجانب الصوتي، علماً بأن الخطأ الواحد ليس بكاف لتقرير اطراده؛ لأنه قد يكون هفوة أو غلطة عابرة، من هنا يتجلى أهمية اطراد الخطأ لدى الشخص الواحد أو شيوعه لدى المجموعة.

ثالثاً: تفسير الخطأ: يندرج تفسير الخطأ ضمن مجالات علم اللغة النفسي الذي يبحث أسباب الخطأ وكيفية حدوثه، وهو فرضي في المقام الأول، وأظهرت الملحوظات العديدة أن عدداً لا بأس به من الأخطاء تحمل شبيهاً قريباً لصفات اللغة الأم مما أدى إلى تبني نظرية النقل التي تصف حالات التشابه بين أنظمة اللغة الأولى بأنظمة اللغة الثانية بالتسهيل، وعند اختلاف الأنظمة بالتداخل. وفيما يتعلق بهذه الدراسة.

وتجدر الإشارة إلى أن تعلم الأصوات يلقى أحياناً أنماطاً عادات صوتية راسخة يصعب استئصالها في حين لا يلقى تعلم الأحكام هذا الوضع. وعند تفسير الخطأ يسعى المحلل إلى إرجائه إلى باعته، والبواعث عديدة كأخطاء النقل، أو المبالغة في التعميم، أو القياس، أو أنه ناجم عن طرق التدريس أو الوسائل المعينة أو غير ذلك، وهماك مداخل تحليل الأخطاء: لتحليل الأخطاء مداخل عديدة، وسيقتصر الباحث على مدخلين تقابلي وغير تقابلي، ثم المدخل التوفيقي وهي:

المدخل التقابلي: يقوم المدخل التقابلي على اعتبار أن الدراسات التقابلية تساعد على التنبؤ بالصعوبات التي تواجه المتعلم أثناء عملية التعلم، فالعناصر التي تشابه لغة الدارس الأصلية تكون سهلة مقارنة بتلك التي تختلف عما في لغته<sup>2</sup>، ويقوم المدخل على ثلاث فرضيات، يعتقد أصحابها أنها تعين على التنبؤ بالصعوبات التي تواجه المتعلم، والتقليل من أثر التداخل اللغوي، وهي:

1/ تتبع الصعوبات الأساسية التي تواجه الدارس من عملية التداخل اللغوي.

2/ إمكانية التنبؤ بالصعوبات من علم اللغة التقابلي.

3/ تقديم المادة العلمية اعتماداً على علم اللغة التقابلي يقلل التداخل اللغوي.

المدخل غير التقابلي: يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه من الخطأ الاعتماد على نتائج التحليل التقابلي؛ لأن هذا الأخير مبني على افتراض التداخل وهو افتراض خاطئ وغير متكافئ؛ ذلك أن الخطأ اللغوي ناتج عن عوامل أخرى غير التداخل، لأن الأخطاء

<sup>1</sup> صبيني، محمود إسماعيل، الأمين، إسحاق محمد: التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، جامعة الملك سعود، الرياض، 1982، ص 143-144

توحيد عثمان: محاضرات في تحليل الأخطاء، مذكرات غير منشورة، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية عام 1987، ص 27

التي يرتكها دارس اللغة الثانية لا تختلف كثيرا عن التي يرتكها الطفل عندما يكتسب لغته الأم، فجدور بعض الأخطاء ترجع تارة إلى بنية اللغة الثانية نفسها، وتارة أخرى إلى الاستراتيجية المتبعة في تعليم وتعلم اللغة الثانية<sup>1</sup>.

المدخل التوفيقي: من الصعب الجزم بأن الاختلاف بين لغتين بسبب عقبة للدارس في حين يسهل التشابه بينهما عملية التعلم والتعليم، وينبغي ألا يعتمد تدريس اللغات الأجنبية إلا على الدراسات التقابلية فقط، لذا من المستحسن أن يتم التوفيق بين المدخل التقابلي والمدخل غير التقابلي، فيؤخذ مزايا كل مدخل، وي طرح معاييه جانبا، وذلك أخذا بما توصلت اليه الخبرات في مجال تدريس اللغة الثانية أو الأجنبية من وجود جوانب تستعصي على المتعلمين جمعاء بغض النظر عن تنوع خلفياتهم اللغوية.

هناك أخطاء شائعة بين الدارسين من ناطقين بلغات متباينة، مع التسليم بارتكاب أخطاء صوتية ناجمة عن تداخل اللغة الأم بسبب الحاجز البيولوجي الذي يحول بين المتعلم واكتسابه الكامل للأنظمة الصوتية للغة المنشودة كالنبر والتنغيم. وهذا الأمر يتجلى عند استعمال الفونيمات التي لا توجد في اللغة الأم، فالفونيمات العربية بين الأسنان كالثاء والذال والظاء لا توجد في اللغة الفولانية، لذا من الطبيعي أن يجد من تكلم الفلانية أولا صعوبة في تعلم تلكم الأصوات، وبالمقابل يجد من تكلم العربية أولا تعسرا في تعلم الباء المهموسة التي تعد فونيمًا في الفلانية مع أن هذا الصوت موجود في النظام الصوتي العربي باعتباره ألوفونا كالباء المجهورة في كلمة "ابتكار"؛ فإن العربي ينطقها بـاء مهموسة في هذه البيئة الصوتية. ففي مثل هذه الأوضاع تكمن أهمية تحليل الأخطاء، وذلك يتم عبر مرحلتين:

**مرحلة جمع الأخطاء:** اعتنى الباحث فقط بالأخطاء الشفوية التي تم تسجيلها بواسطة هاتف نقال، ثم إنزال المادة المسجلة في جهاز الحاسوب ليسهل استغلالها، مع الاحتفاظ بثلاث نسخ إلكترونية لكل مادة؛ تفاديا للضياع والتلف، وأعطى لكل مدرسة رقما، وقسمت الأخطاء إلى أخطاء الأصوات، وأخطاء أحكام التجويد فقط، وتم التغاضي عن الأخطاء النحوية والصرفية؛ لأنها ليست داخلية في حدود البحث. ثم سجلت جميع الأخطاء في قائمتين حسب طبيعة الخطأ دون ترتيبها، لأن العمل منصب أولا على تدوين أخطاء كل مدرسة على حدة، فاستخرجت الأخطاء الصوتية ثم صححت بكتابة الصوت الصحيح أمام كل خطأ، ثم صنفت الأخطاء حسب ترتيب الأصوات العربية مشفوعة بعدد تكرار الخطأ.

أما تصنيف أخطاء أحكام التجويد، فقد صنفت أولا الأحكام في قائمة، ثم عدت الأخطاء أمام كل حكم، فبالنسبة لأحكام النون الساكنة والميم، اكتفيت بكتابة الحكم دون التفرع، فكتبت الإظهار والإقلاب والإدغام بغنة والإدغام بغير غنة، أما الترقيق والتفخيم فقد قسم إلى ترقيق اللام وترقيق الراء وتفخيمهما، وكذلك فيما يتعلق بالقلقلة فقد كتبت كل أصوات القلقللة الخمسة، وعدت الأخطاء أمام كل صوت، وكذلك وضعت لامي القمرية والشمسية، أما الممدود، فاكتفيت ببند المد والقصر، والوقف، وأما الأحكام الأخرى كالروم والإشمام والنبر والتنغيم، فلم تتناولها الدراسة، وهي أحكام ثانوية في علم التجويد.

**مرحلة تصنيف الأخطاء:** بعد تصنيف الأخطاء في قوائمها اتضح للباحث أن معلمي القرآن يرتكبون أخطاء نطقية وتجويدية وبنوية، وفيما يلي توصيفا إجمالا:

1/ الأخطاء النطقية، وهي تحصل في المخرج والصفة، فيكون في المخرج بإبدال صوت بصوت آخر، كإبدال الثاء سينا لانعدام مخرج الأسنان في الفلانية، أما في الصفة بإفشاء صفة على صفة أخرى مع الإبقاء على المخرج لخلو اللغة الأم منها، كنطق الصاد سينا، حيث لا توجد في النظام الصوتي للفلانية صفة التفخيم، وقد يحدث بسبب المخرج والصفة، كما هو

<sup>1</sup>Gerhard Nickel: Papers in contrastive linguistics, University Press, Cambridge, 1971, p. 23

الحال بالنسبة لصوتي الذال والزاي حيث لا تستخدم مخرج الأسنان عند خلوها من الاحتكاكي المجهور، أو عدم استعمال المخرج والصفيتين، مثل صوت الظاء الذي يخرج من بين الأسنان ويتصف بالاحتكاك، والتفخيم.

2/ الأخطاء في أحكام التجويد: وهي تتعلق بطريقة أداء تلاوة القرآن، وهي أخطاء قليلة مقارنة بالأخطاء النطقية، لعل السبب في ذلك عائد إلى كونهم تلقوا تدريبات على أيدي علماء التجويد الذين يهتمون غالباً بتصحيح المدود والإظهار والإدغام والإقلاب وغيرها من أحكام التجويد، ويتغاضون عن الأخطاء الصوتية.

3/ الأخطاء الأخرى، وهي الأخطاء التي ارتكبت على مستوى بنية الكلمة من تسكين المتحرك أو تحريك الساكن، أو إبدال صوت بصوت آخر كنطق كلمة شمس شمش، أو تخفيف ما حقه التشديد أو مد ما حقه القصر أو العكس، وأتت هذه الأخطاء في المرتبة الثانية بعد الأخطاء النطقية.

4/ يجدر التنويه هنا إلى وجود أخطاء تحويرية أو تحريفية، وهو التغيير الذي يحدث دون زيادة شيء، وإنما يتغير مكان الصوت، مثل: يقول يقل أو يقوم على إطالة صوت مثل عدل وعادل، أو التشديد كصدق وصدّق، أو تقصير الصوت مثل حاذر حذر.

**كيفية إجراء الدراسة:** سعت الدراسة إلى الكشف عن الأخطاء النطقية والتجويدية من خلال تسجيل ممارسات المدرسين داخل الفصل حيث تم تسجيل ما يحدث في درس القرآن من خلال تلاوات المدرسين فقط، وكانت العينة المفحوصة مكونة من خمسة عشر مدرساً، وتمكن الباحث من خلال التسجيلات والملاحظات المسجلة من رصد الصعوبات النطقية للأصوات العربية للمدرسين في تعلم وتعليم القرآن فضلاً عن الأخطاء التجويدية، وقاد تحليل الأخطاء الذي قمنا به إلى التعرف التقريبي لأسباب الأخطاء وتفسيرها ثم تقديم بعض المقترحات لعلاجها. وأظهرت الدراسة إلى إمكانية تقسيم الأصوات إلى ثلاث فئات: أصوات لا تشكل صعوبة، وأصوات تشكل صعوبة، وأصوات تشكل صعوبة للبعض ولا تشكل صعوبة للآخرين، وهي:

1/ الأصوات التي لا تشكل صعوبة، وهي بطبيعة الحال تلك الأصوات المشتركة بين العربية والفلولانية، وهي خمسة عشر صوتاً وفقاً للمخرج (ب، و، م، ف، ت، د، س، ن، ل، ر، ج، ي، ك، هـ، ء)، وقد نطقها المفحوصين نطقاً صحيحاً عندما ينطقها منفردة أو عند مجاورة أحده الآخر، أما عند مجاورتها للأصوات التي لا توجد في الفلانية فقد يحدث تحويراً كمجاورة الجيم للذال أو الزاي أو الظاء، وكذلك قد يتحول السين شينا أو صاداً أو ثاءً وبالعكس، كما يتحول الحاء أو الخاء هاء، والقاف كافاً.

2/ الأصوات التي تشكل صعوبة، وهي الأصوات العربية التي لا مثل لها في المنظومة الصوتية للغة الفلولانية، وهي ثلاثة عشر صوتاً وهي حسب المخرج (ث، ذ، ظ، ط، ض، ص، ز، ش، خ، غ، ع، ح)، فيحدث تحريفاً في المخرج أو في الصفة، أو الاثنين معاً، وقد يصل الأمر إلى تحريف صوت إلى صوت آخر لا علاقة بينهما لا من قريب ولا من بعيد، كتحريف الضاد إلى الباء بل قد يصل الأمر إلى تحريفه إلى صوت لا وجود له في العربية كتحريف التاء المفخمة (ط) إلى الدال الشفطية (ث)، حيث لا توجد الأصوات الشفطية في العربية. والانعدام في الاستعمال قد يكون في المخرج أو في الصفة.

المخارج: لا تستخدم الفلاتية المخارج الأسنان، والطبقية، واللهاوية، والحلقية، ومن حيث الصفات: تخلو الفلانية من الصفات التالية: التفخيم، والاحتكاكي المجهور، والحنجري الانفجاري. يجدر التنويه أنه لا توجد في الفلانية سوى ثلاثة احتكاكيات هي الفاء والسين والهاء.

**بعض الأخطاء الصوتية والتجويدية:** يتوقف الباحث على أنماط الأخطاء الصوتية التي تم رصدها، وهي تنقسم إلى أخطاء نجمت عن عدم استعمال المخرج، وأخرى ناتجة عن انعدام الصفة في اللغة الأولى. فالأخطاء التي كانت بسبب المخارج، تستخدم العربية عشرة مخارج أساسية بينما تستعمل الفلانية سبعة مخارج، والمخارج العربية التي لا توجد في الفلانية هي

ثلاثة وهي المخرج الأسناني واللهوي والحلقي؛ وعليه فإن هناك أخطاء تتعلق بالمخرج كتحويل الأصوات الأسنانية إلى أصوات لثوية، والصوت اللهوي إلى صوت طبقي، والصوت الحلقي إلى صوت حنجري. كتحويل الثاء سينا، والشين سينا، وتحويل القاف كافا، والحاء والخاء هاء، والعين همزة.

وتتمثل الأخطاء التي منشؤها انعدام صفة الأصوات العربية في النظام الصوتي الفلاني، في تحويل الأصوات العربية إلى أصوات عربية أو إلى أصوات فلانية كما يطرأ في تحويل الصاد والثاء والشين سينا، ونطق الذال والطاء والزاي جيما، والضاد باء، ونطق الحاء والخاء هاء، والعين همزة. أما الصفات التي تكتسب صفات الأصوات الفلانية الخاصة فتتمثل في نطق الطاء دالا شفتيا، والغين كافا مجهورة (ك)، والقاف كافا شفتية، وأما الأخطاء التي تتعلق بالتجويد فيمكن تلخيصها، وتتلخص في: ترقيق ما حكمه التفخيم، وهذا بالنسبة للراء ولام لفظ الجلالة، ثم التخليط بين أحكام النون الساكنة والتنوين، وعدم قلقلة أصوات القلقلة، والتخبط في المدود كتمديد المد الطبيعي، وتارة في تحويل المدود الأخرى (المنفصل المتصل واللازم) إلى مد طبيعي، وتارة أخرى عدم التمديد بالمرّة.

**تحليل الأخطاء وتفسيرها:** يمكن تحليل الأخطاء المسجلة التي يرتكها مدرسو القرآن وتفسيرها من خلال: المقابلة بين اللغة الأولى واللغة المنشودة، ووصف الأخطاء وتفسيرها بمقاييس اللغة التي حدث فيها الخطأ، وذلك على النحو التالي:

تبديل الصوت بصوت آخر بسبب المخرج والصفة: يحدث هذا الخطأ عند التلاوة، حيث يقوم المعلم القرآني بتبديل صوت بصوت آخر؛ لانعدام ذلك الصوت في لغاتهم الأولى، ولم يتدرب عليها تدريباً كافياً يمكنهم من الوصول إلى المهارة الآتية، كما يحدث للأصوات: الذال والطاء والزاي التي تحول إلى أغلب الأحوال إلى الجيم، والثاء والصاد والشين التي تنطق كلها سينا. كما أن الخطأ ينجم من الاختلاف في الصفات على الرغم من مشاطرتها في المخرج أو تقاربها، وهذا الخطأ وقع في ثلاثة عشرة صوتاً من الأصوات التي لا تستخدمها اللغة الفلانية، وتخطياً للصعوبة يلجؤون إلى تحويلها إلى الأصوات التي حسبوا أنها تشابه أصوات لغتهم الأولى، أو إخراجها في المخارج القريبة في لغتهم، وبما يلي تفصيلاً للتحويلات التي رصدت في العينة المفحوصة، وهذه بدورها تنقسم إلى:

**أولاً: تحويل الهمزة عينا أو العين همزة،** وتكمن المشكلة في كون العين صوت حلقي احتكاكي مجهور؛ وذلك لشئتين هما: أن الفلانية لا تستعمل مخرج الحلق، ولا يوجد من بين أصواتها الاحتكاكية المجهورة، لذا حول العين إلى مخرج حنجري، وتجدر الإشارة هنا أن صوت الهمزة يختلف عن صوت العين في ثلاثة أمور حيث أن الهمزة صوت حنجري انفجاري مهموس في حين صوت العين صوت حلقي احتكاكي مجهور. أما تحويل الهمزة عينا فإنه ناتج عن فرط التصحيح، وهو نتيجة للوصول إلى مرحلة الآلية والمهارة، لذا فإن الخطأ ليس مطرداً، وهو يأتي بين الفينة والأخرى.

**ثانياً: نطق الحاء هاء،** فالأول صوت حلقي احتكاكي مهموس، والهاء مخرجه حنجري، فهما يختلفان في المخرج، ويتفقان في الصفات الأخرى، ويحدث هذا الخطأ لخلو الفلانية من المخرج الحلقي. كما يحول الخاء هاء مع الاختلاف في المخرج وفي الصفة، ذلك أن الهاء حنجري كما سبق ذكره، والخاء طبقي مفخم ويشتركان في الاحتكاك والهمس.

**ثالثاً: تحويل الغين إلى صوت طبقي مركب أنفموي تارة،** أو إلى كاف مجهور فلا يوجد في الفلانية صوت طبقي احتكاكي مجهور، فيحولونه إما إلى كاف مجهور أو إلى صوت أنفموي مجهور.

**رابعا: تحويل الخاء هاء،** الخاء صوت طبقي احتكاكي مهموس يحلق به صفة الاستعلاء الذي هو التفخيم وذلك لارتفاع مؤخرة اللسان حتى يحتك بالطبق، وفي نفس الوقت يرتفع الطبقة ليسد مجرى الهواء في التجويف الأنفي، وتكمن الصعوبة في نطقها أن الفلانية لا تستخدم صوتاً احتكاكياً في هذا المخرج.

خامسا: يلفظون القاف كافا مجهورا (ك)، فالقاف صوت لهوي انفجاري مفخم مهموس، وتخلو الفلانية من هذا المخرج وصفة التفخيم، والمخرج القريب له هو الطبق حيث يخرج منه الكاف الذي يوصف بالطبقي الانفجاري المهموس المرقق، وتخرج الفلانية في هذا المخرج صوتان انفجاريان مرققان، أحدهما مهموس، وثانيهما مجهور، فينقلبون الصوت للهوي الانفجاري المفخم المهموس إلى صوت طبقي انفجاري مرقق.

سادسا: تحويل الطاء دالا شفطيا مجهورا، فالطاء صوت لثوي أسناني انفجاري مفخم مهموس، وليس في الفلانية صوت مفخم، فالفلانية تخرج ثلاثة أصوات في هذا المخرج، انفجاري مرقق مهموس هو التاء، وانفجاري مرقق مجهور هو صوت الدال، ثم انفجاري داخلي مرقق مجهور هو صوت الدال الشفطي. فجلبهم يحولون الطاء إلى صوت دال شفطي مع أنه لا يوجد في الأصوات العربية صوت شفطي.

سابعا: تحويل الضاد باء، يعد صوت الضاد من الأصوات التي يصعب نطقها حتى على الناطقين بالعربية، وهي صعوبة لم تكن وليدة اليوم فقد نوه إليها الإمام الجزري<sup>1</sup> حيث ذكر أن كثيرا من الناس لا يحسنون نطقه، فكان ينطق في جانب اللسان بما يليه من الأضراس اليمنى أو اليسرى أو من كليهما، وقد تحول في هذا العصر من ذلك المخرج إلى مخرج الدال عند اللثة والأسنان؛ فهو حاليا نظير الدال بإكسابه سمة التفخيم، ونظرا لانعدام التفخيم في الفلانية، فإن الذين لم يتلقوا تدريبا لدى متقني الأصوات العربية ينطقونها باء، أما الذين تدربوا نوعا ما، فإنهم يلفظونه دالا من غير تفخيم.

ثامنا: تحويل الشين سينا، وحيث إن الفلانية تخلو من صوت الشين فإنهم يحولونه سينا ما لم يتلق المعلم تدريبا كافيا على نطق الأصوات العربية، وفي حال نيله قسطا من المران فإنه يخلط بين الشين والأصوات الأخرى القريبة منه حسب عاداته الصوتية، فتختلط أصوات التاء والسين والصاد مع صوت الشين، ولكنه مع الممارسة تكاد ظاهرة الاختلاط تندثر، فيأتي في حالات نادرة.

تاسعا: تحويل الصاد سينا، يعتبر الصاد والسين صوتيين لثويين مع اتحادهما في صفتي الاحتكاك والهمس، بيد أن الصاد مفخم والسين مرقق؛ لذا كان من السهل تحويل الصاد إلى السين.

عاشرا: استبدال الزاي جيما، فهما صوتيان يختلفان في المخرج والصفة، ذلك أن صوت الزاي لا يوجد في الأصوات الفلانية، فهو احتكاكي مجهور مرقق، ومخرجه في اللثة، ولا تجتمع صفتي الاحتكاك والجهر في النظام الصوتي الفلاني، أما صوت الجيم فيخرج في الغار وهو مزجي مجهور، يبدأ بالانفجار وينتهي بالاحتكاك، ويوجد في الفلانية صوت مزجي مهموس. فينقلب الزاي جيما في أحيان كثيرة. والجدير بالذكر أن الفلانيين يستخدمون صوت الجيم في نطق أصوات الدال والطاء والزاي، كما يحدث تحويل الجيم زايا أو ذالا، أو تحويل الطاء جيما أو زايا أو ذالا.

حادي عشر: تحويل التاء سينا؛ ذلك أن المخرج الأسناني غير مستعمل في الفلانية، وأن هذا الانعدام يخلق مشكلة إذا أراد التلطف بالأصوات التي تخرج من هذا المخرج، لذا يحول التاء إلى صوت السين الذي يوجد في اللغة الأم.

ثاني عشر: تحويل الدال جيما عامة أو زايا في حالات معدودة. اتضح لدى معالجة المادة المسجلة أن معلمي القرآن يلفظون صوت الدال جيما، وعندما يجهد في التصويب فقد ينطقه زايا، وعند التحليل اتضح وجود مشكلتين اثنتين يتعين على من تكلم بالفلانية في الأول، وهما المخرج والاحتكاكي المجهور.

<sup>1</sup>الإمام محمد بن محمد بن علي بن يوسف المشهور بابن الجزري (751-833هـ)

ثالث عشر: تحويل صوت الظاء جيما في الأغلب أو زايا أو ذالا في الأخص، فالظاء صوت أسناني احتكاكي مجهور مفخم، وعليه فإنه صوت يجد معلمي القرآن من الفلانيين صعوبة بالغة في النطق به، وذلك لأسباب ثلاثة هي المخرج والاحتكاكي المجهور والتفخيم، وإذا نجح في الإتيان بالأسناني الذي لا يوجد في لغته فإنه قد تنفلت منه صفة التفخيم فينطقه ذالا أو يأتي بالزاي.

**تحليل أخطاء الحكم التجويدي وتفسيرها:** كانت الأخطاء التجويدية أقل بكثير من الأخطاء الصوتية التي عانى منها جل المفحوصين، ولعل سبب ذلك راجع إلى اهتمام القراء بأحكام التجويد كالإدغام والإخفاء والإظهار والإقلاب والمدود والقلقة على حساب الجانب الصوتي الذي يغفلون عنه غالبا، ويكتفون بذكر المخارج والصفات، ولا يبينون كيفية النطق، فلا غرابة أن نجد معلمي القرآن تغلبوا على كثير من الصعوبات ويأتوا بأحكام تجويدية صحيحة في معظم الحالات، وتقسّم الأخطاء التي وقعوا فيها إلى قسمين: قسم ناجم عن تأثير اللغة الأم، وقسم آخر يرجع إلى تقصير أو ضعف فردي للمعلم، وهي كما يلي:

1/ الأخطاء التي كانت بسبب اللغة الأم، تفخيم الراء ولام لفظ الجلالة وتفخيم حروف الاستعلاء السبعة؛ فالتفخيم كما تقدم لا وجود له في اللغة الفلانية، لذا يلقي من تكلمها في الأول صعوبة في تفخيم الأصوات التي تتسم بهذه الصفة مطلقا، والأصوات التي تفخم بشروط كالراء ولام لفظ الجلالة.

2/ الأخطاء الراجعة إلى التقصير أو الضعف الشخصي، كقصير ما يجب مده أو مد ما يجب قصره، أو الخلط بين لامي الشمسية والقمرية، أو تشديد ما لا يجب تشديده والعكس، هذه الأخطاء لم تسجل إلا في أفراد، وقد يكون السبب في عدم الترويض الكافي أو سوء التلقي أو التعب أو الحالة النفسية، أو الخوف من الوقوع على الخطأ أثناء وجود الباحث في الفصل.

**تصور لعلاج الأخطاء:** يرى الباحث ضرورة معالجة الأخطاء التي سجلت من خلال محاربة العادات اللغوية السيئة وإكساب المعلمين عادات لغوية سليمة، وإن معلم القرآن يحتاج إلى تدريب مستمر حتى يتمكن من استعادة ما فقدته من المرونة اللغوية، وأنه من الأهمية بمكان الاستفادة من التدريبات التالية للتغلب على الصعوبات التي تواجه معلمي القرآن عند تلفظهم بالأصوات العربية التي لا توجد في لغتهم الأولى، وهي تدريبات متعددة ومتنوعة، وكل واحد يسعى إلى معالجة مشكلة بعينها، ومن طرق علاج الأخطاء الإكثار من التدريبات.

**أولا: التدريب الصوتي:** ويعتبر التدريب السمعي أهم الوسائل: يسعى هذا التدريب إلى تنمية مهارة الاستماع لدى المتعلم وتعويد أذنه على سماع الأصوات العربية التي لا توجد في لغة المتعلم الأولى، علما بأن هذه المهارة تتطلب التمكن من ثلاثة جوانب هي: تمييز الأصوات، وفهم عناصر معينة منها، والإلمام العام بما يسمعه<sup>1</sup>، وعلى المعلم أن يعرف أن متعلم القرآن من غير الناطقين بالعربية يمر بمراحل في استماعه إلى الأصوات في بداية عهده بالقرآن، وهذه المراحل هي:

**المرحلة الأولى: الضباب الصوتي:** يمر المتعلم في البداية بمرحلة الضبابية الصوتية؛ حيث يواجه الأصوات التي لم يسمعها قط من قبل، هو لا يكاد يتبين الفروق الصوتية التي يطلب منه إدراكها لكي يتعلمها، وغالبا ما يعطي لها تفسيرات اعتمادا على أصوات لغته الأولى، ومن هنا تتضح ضرورة بناء مهارات استقبال الأصوات العربية قبل مهارات الإنتاج، وبمعنى آخر، ينبغي تنمية القدرة على التمييز الصوتي قبل أن يطلب منه تقليد الأصوات.

<sup>1</sup>محمد، عبد الخالق محمد: اختبارات اللغة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1989، ط1، ص 107

فيطلب المعلم من المتعلم أن يستمع إلى الصوت أو الأصوات ثم يطالبهم بترديدها جماعيا ثم نصف جماعي ففرادى مراعيًا فيما إذا كانوا يخرجون الأصوات من مخارجها، فإذا تعثروا يقدم لهم توصيفا للكيفية التي يخرج منها الصوت من مخارجه.

المرحلة الثانية: الاحتفاظ بالأصوات العربية في ذاكرة المتعلم: يساعد المعلم تلامذته أن يحتفظوا في ذاكرته؛ فإذا لم يتمكن المتعلم من تذكر الأصوات التي تعلمها فإنه سيواجه مشاكل بالغة في مساره التعليمي، وإن من أفضل المداخل في تنمية القدرة على الانصات والتذكر المدخل السمعي الشفوي.

المرحلة الثالثة: تطبيق الأصوات العربية عند التلاوة: تتمثل هذه القدرة في الاستماع إلى المادة المقدمة مع التركيز بغية محاكاتها.

ثانيا: مكونات الاستماع الواعي: يمكن تقسيم مهارة الاستماع في مجال تعليم القرآن إلى مجال تمييز الأصوات العربية، ومجال التعرف على الأصوات العربية في مقابل أصوات اللغة الأم، أما بالنسبة لأخطاء أحكام التلاوة فإنها قليلة مقارنة بالأخطاء النقطية لذا نختصر التنويه فيما يلي:

1/ لوحظ عند كثيرين تحويل صوت الباء الفموي إلى الباء الأنفموي، علما بأن هذا الأخير يعد ألفونا في تلاوة القرآن عند إدغام النون في الباء، وغالبا ما يحدث عند يتقدم صوتا النون أو الميم كما في حامية.  
2/ يتلون صوت اللام المشددة بإضافة الغنة خاصة في كلمة "الذين"، لعله بسبب الرغبة في التغني وإظهار التنفن في الإلام بأحكام التجويد.

3/ وجود أصوات إذا سكنت ضعفت فاشتبهت بغيرها وهي قسمان:

أولا: أصوات مهموسة تشتهب بالأصوات المجهورة، وهي (ت، ح، س، ص، ف، ك، ه).

ثانيا: أصوات مجهورة تشتهب بالأصوات المهموسة، وهي: (ز، ع، غ)

إذا سكنت هذه الأصوات وتلاها ما يغيرها جهرا أو همسا، ضعفت سمتها فاشتبهت بغيرها، وتحتاج إلى إظهار صفتها الأساسية بإتمام النطق بها، وإذا تحقق ذلك تحولت من صوت مهموس إلى صوت مجهور أو العكس مما يقود إلى تشويه اللفظ أو تغيير معنى الكلمة؛ لذا يتوجب إظهار همسها أو جهرها، وفي هذا الصدد، توجد سبعة أصوات مهموسة تتحول إلى أصوات مجهورة إذا لم ينتبه المعلم، وثلاثة أصوات مجهورة تنقلب إلى أصوات مهموسة، إلا أن الظاهرة ليست مطردة لدى الجميع ولكنها حدثت كما هو مبين أدناه:

1/ التاء الساكنة قبل الباء تحولت إلى الدال في كلمة "تبعها".

2/ انقلبت الحاء الساكنة قبل العين إلى عين كما في عبارة: "فاصفح عنهم".

3/ قد تنطق السين الساكنة زايًا قبل الباء أو الجيم مثل: "أسبغ" و "واسجدوا".

4/ تحوير الصاد الساكنة إلى زاي إذا وقعت قبل الباء أو الدال كما في: "لنصبرن" و "يصدر".

5/ قد تنقلب الفاء الساكنة قبل الجيم أو الضاد أو العين نحو: "ليفجر" و "أكبر تفضيلا" و "تفعل".

6/ تحويل الكاف الساكنة قبل الباء أو الذال أو الظاء إلى كاف مجهورة كما في "استكبروا"، و "تكذبون"، و "مكظوم".

7/ انقلاب الهاء الساكنة قبل الراء أو الزاي إلى هاء مجهورة نحو: "يهرعون" و "يستهنئون".

أما الأصوات المجهورة الساكنة التي تتحول إلى أصوات مهموسة فهي:

- 1/ الزاي الساكنة قبل الكاف أو الهاء تلفظ سينا مثل: "أزكى" و"تزهق".
- 2/ تتحول العين الساكنة قبل التاء أو الشين أو الصاد أو الفاء إلى حاء أو همزة كما في: "واعتدنا"، و"المعتدين"، و"معشار"، و"يعصمني"، و"اعف عنا".

3/ قد تنقلب العين الساكنة قبل الشين أو الفاء إلى خاء أو نون أو كاف مجهورة مثل: "أغشيناهم"، و"اغفر".

ثالثا: الأهداف العامة لمهاتري الاستماع والقراءة: صب التركيز على هاتين مهاترين لاتصالهما الوثيق بتعلم القرآن وتعلمها، لذا قد يكون لزاما على المعلم الإلمام بأهداف المهاترين مما يمكنه من تصويب اهتمامه بتحقيق تلكم الأهداف.

أهداف مهارة الاستماع، وللإستماع أهداف عدة بيد أنه من الأهمية بمكان أن يولي معلم القرآن تحقيق الأهداف

التالية:

- 1/ التعرف على الأصوات العربية وتمييز ما بينها من اختلافات حين استخدامها.
- 2/ التعرف على الحركات القصيرة والحركات الطويلة والتمييز بينها.
- 3/ التمييز بين الأصوات المتجاورة في المخارج والمتشابهة في الصفات.
- 4/ نطق الأصوات التي لا توجد في اللغة الأم للدارس نطقا صحيحا.
- 5/ التعرف على التشديد والتخفيف.
- 6/ القدرة على الربط بين الصوت والحرف الذي يمثله.
- 7/ القدرة على التمييز بين اللام القمرية والشمسية والنطق بهما نطقا صحيحا.

الأهداف العامة لمهارة القراءة، وتتمثل في:

- 1/ تعرف الدارس على الحروف العربية تعرفا دقيقا والتمييز بينها.
- 2/ الربط بين الحرف والصوت ربطا صحيحا.
- 3/ ضبط الكلمات ضبطا صحيحا حين ينطقها.
- 4/ التمييز بين الكلمات المتشابهة في بعض الحروف.
- 5/ نطق الدارس لأصوات اللغة العربية نطقا واضحا صحيحا.
- 6/ نطق الأصوات المتجاورة والمتشابهة.
- 7/ التمكن من نطق الأصوات العربية غير الموجودة في لغته الأم.
- 8/ التمييز في النطق بين الحركات القصيرة والطويلة والتشديد والتخفيف.
- 9/ القراءة الجهرية الصحيحة للكلمات والآيات.

رابعا: خطوات سير الدرس: يسير تدريس القرآن المقترح على النحو التالي:

- 1/ تسميع الأصوات أو الكلمات أو الآيات المختارة لمرات عديدة إلى أن يشعر الطالب بقدرته على ترديد ما يسمعه، فيردها ترديدا جماعيا وبصوت عال؛
- 2/ إجراء التدريبات الفردية في الفصل عن طريق الاستماع إلى الأنموذج بنفس الأسلوب الذي يستمع الناس إلى الأغاني ثم يطلب منهم المعلم إعادة النص المسموع، ويقدم لهم مجموعة من المدلولات على منوال التراكيب التي استمعوا إليها، فيقومون بتعديل المفردات مع المحافظة على شكل النموذج التركيبي.

3/ بعد التأكد من مقدرة المتعلم على نطق الكلمة أو الآية، ينتقل معهم إلى الوقوف على تأثير النطق في تغيير المدلول، وهذه المرحلة مهمة؛ لأن الدارس بحاجة إلى معرفة ما حققه من تقدم.

4/ بعد استيعاب كيفية النطق بالصوت المنشود، يشرع الدارس في تكرار القراءة الجهرية، وكل ذلك تحت إشراف المدرس.<sup>1</sup>

خامساً: مراحل سير الدرس: يمر الدرس بثلاثة مراحل:

1/ مرحلة تقديم الدرس، ويستخدم فيها المدرس كل الأساليب التشويقية التي تثير انتباه الدارس وتجذبه نحو الدرس؛

2/ مرحلة اكتشاف الأخطاء الصوتية من خلال الأخذ بالمعلمين عبر التدريبات حتى يتمكن من كشف الخطأ بأنفسهم.

3/ مرحلة تثبيت الأصوات الجديدة في شكل ترديد النص المقدم.<sup>2</sup>

وإذا تعثر تصحيح الأخطاء أو أنها صعبت، فإن على المعلم أن يلجأ إلى تصميم التدريبات الملائمة للموقف التعليمي، لذلك نقدم له بعض الاقتراحات التي قد تساعده في القيام بمهامه من معرفة الأساليب التي تتبع في تصميم التدريبات وإجراءها

سادساً: أساليب إجراء التدريبات: للتدريبات دور أساسي في عملية التعلم فهي جزء مكمل للكتاب، وإجراء التدريبات بأسلوب تربوي وفي جيد يضمن نجاح المدرس، كما أنه يضمن تثبيت التعلم وتعزيزه، وأهمية التدريبات لا تتوقف فيما ذكر، وإنما تحدد التدريبات أهداف المقرر وتوضحه، وتثير دافعية المتعلم وتقوم التحصيل الدراسي في الفصل، والتدريبات أنواع، فهناك تدريبات سمعية وأخرى نطقية، وهي كما يلي:

أولاً: التدريبات السمعية: يقصد بها التدريبات التي تهدف إلى تمكين المتعلم من معرفة أصوات اللغة الهدف، وتنقسم إلى ثلاثة أنماط هي:

1/ تدريب التعرف الصوتي، ويقصد به التدريبات التي تهدف إلى إدراك الأصوات، وتمييزها بمجرد الاتصال بها، سواء أكانت متصلة أم منفصلة، مفردة أم في مركبة.<sup>3</sup> فيجرى هذا النوع عن طريق تقديم مجموعة من الصور التي تحتوي على الأسماء التي تتضمن الصوت المطلوب التدريب عليه، وفي مرحلة متقدمة يطلب من المتعلم نطق أسماء الصور، ولكن يجب على المعلم أن يضع في الحسبان أن عجز الطالب في التلفظ بالاسم لا يعني بالضرورة عدم معرفته بالصوت المعني.

2/ تدريب التمييز الصوتي، ويهدف هذا التدريب إلى إدراك الفوارق بين الأصوات المتقاربة أو المتشابهة، وتقدم الكلمات التي تحتوي على الأصوات المعنية في شكل تقابلي مع التركيز على الصوتين المعنيين، وقد يكون التقابل بين كلمات اللغة الأم، وكلمات اللغة الهدف، أو بين كلمات اللغة الهدف نفسها.

3/ تدريب التجريد الصوتي، ويهدف هذا النوع من التدريب إلى استخلاص خصائص الأصوات وإبرازها في مواضعها المختلفة من الكلمة مع أشكالها المختلفة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- F. Van Passel, op. cit. p.113-114.

<sup>2</sup>- F. Van Passel, op. cit. p.112.

<sup>3</sup>- رشدي أحمد طعمية ومحمود كامل الناقة، تعليم العربية لغير الناطقين بها، الكتاب الأساسي، ج 1، مرشد المعلم، مكة، جامعة أم القرى، سبتمبر 1984م، ص 45.

<sup>4</sup>- نفس المصدر، ص 47.

ثانياً: التدريبات النطقية: تهدف هذه التدريبات إلى تدريب الدارس على إنتاج الأصوات وتثبيتها، فهي تكون إما عن طريق التدريب على استخدام المخارج، ويستعان أحياناً بتقديم الوصف التفصيلي للكيفية التي تلفظ بها الصوت، ورسم أعضاء النطق بالمرآة لملاحظة أوضاع الشفتين واللسان، هذا الإجراء يلائم الناشئين، وإما عن طريق الاستماع المكثف والمحاكاة، وهذه الأخيرة ملائمة للأطفال الصغار حيث يلجأ المعلم إلى تعريضهم على الاستماع المكثف ثم المحاكاة عبر التردد الجماعي ثم الفئوي والفردى. وهناك ثلاث طرق رئيسية يستخدمها معلمو اللغات لإجراء التدريبات الصوتية، وهذه الطرق هي:

**الطريقة الأولى: الطريقة النطقية:** تقوم هذه الطريقة على تقديم الوصف التفصيلي لأجهزة النطق، ووصف الكيفية التي يلفظ بها كل صوت<sup>1</sup>، ويستعان بالرسم التوضيحي لجهازي الكلام والنطق بالمرآة، ويستخدم أيضاً طريقة الكتابة الصوتية. ومن المأخذ على هذه الطريقة إهمالها أو تناسها العناصر الأساسية للمجموعة الأكوستية من إيقاع ونبر وتنغيم، ولعلها تعتبر هذه العناصر ثانوية، فالطريقة تساعد الطلبة على معرفة الأصوات معرفة تامة، فينطقونها نطقاً صحيحاً من ناحية المخرج، ولكن بتنغيمات وإيقاعات اللغة الأم.

وعلى كل حال، فالطريقة تصلح للراشدين بالرغم من إهمالها الجانب السمعي الذي لو أتت به لأتت بأفضل النتائج؛ لذا نرى من الأهمية بمكان المزاوجة بين الوصف التفصيلي للصوت وتقديمه من المادة المسجلة أو من المعلم في سياقات مختلفة.

**الطريقة الثانية: طريقة التقابل الفونولوجي:** تقترح الطريقة بأن يتم معالجة الصعوبات الصوتية عن طريق أسلوب إجراء التدريبات التقابلية في شكل ثنائيات صغرى، حيث يستمع المتعلم إلى قائمة مفردات تحتوي على الصوت المعني ثم يرددها، وهذه الطريقة تقوم على مفاهيم بلومفيلدو جاكويسون التي تصنف الأصوات على ضوء السمات الوصفية القائمة على التقابل الثنائي<sup>2</sup>، وتصمم التدريبات على أساس الثنائيات الصغرى التي تقوم على مقابلة الأصوات الموجودة في الكلمتين اللتين تتفقان في كل الأصوات عدا صوتاً واحداً، فيؤدى هذا الاختلاف الفونيمي إلى الاختلاف في المعنى بين الكلمتين<sup>3</sup>، ومن الممكن أن يكون التقابل وظيفياً<sup>4</sup> من نوع:

1/ الاختلاف في المخارج مثل الأسنانى / اللثوي، الغاري/ الطبقى، الحنجري/الحلقى... إلخ

2/ المجهور في مقابل المهموس: /د/ت/ز/س، غ/خ/ع/ح/.

3/ الانفجاري في مقابل الاحتكاكي: /د/ز/، ت/س، ك/خ، غ/هـ

4/ المفخم في مقابل المرقق مثل: ض/د، ص/س، ظ/ذ، ط/ت.

5/ الأنفي في مقابل الفموي مثل: م/ب، ن/د.

وتجدر الإشارة إلى أنه ينبغي إظهار الفوارق بين الأصوات التي تنتمي إلى نفس المجموعة عن طريق الاستماع إليها، وبملاحظة وضع اللسان وشكل الشفتين؛ وذلك في الأصوات الشفوية والأسنانية، والأسنانية اللثوية، وأما المشكلات المتعلقة

1 - Raymod Renard, introduction à la méthode verb-tonale de correction phonétique, Paris, 2 ed ; Didier, 1971, p. 29.

2 - Jean Cureau et Brenco Vitetic, Enseignement de la prononciation, le système verbo-tonale, (SGAV), Alençon, Didier, 1976, p. 33.

- محمد على الخولي، أساليب تدريس اللغة العربية. ص. 56.

4 - P. et M. 1 eon, op. cit. p. 34.

بالتوزيع الصوتي، فإنها تعالج عن طريق الانتباه والاستماع<sup>1</sup>، وهناك إرشادات عامة للطريقة، ينبغي أن يضعها المعلم في الحسبان عند إجراء التدريبات، وهي:

1/ يكون الصوت الانفجاري قويا عند ما يكون في صدر المقطع؛ لذا ينبغي أن يضع الانفجاري المعين في أول المقطع.  
2/ يفضل استخدام الصوائت الحلقية أي الكسرة عند معالجة الأصوات اللثوية والأسنانية بمعنى ينبغي أن يكون الصوت مكسورا.<sup>2</sup>

3/ ينبغي إطالة الصوت المجهور عند تصحيحه حتى يسمع الدارس باهتزاز الوترين الصوتيين، وذلك بوضع يده على تفاحة آدم.

4/ للحصول على الصوت المجهور، فمن الأفضل البدء بمقابلة المهيموس، ووضعه بين الصوائت، فتطال الصائت بينما تقصر الصامت، فمثلا للحصول على /ز/ المقابل المجهور لصوت /س/، فإننا نضع السين بين الصائتين، ونضع يدنا على تفاحة آدم لمراقبة استمرار اهتزاز الوترين الصوتيين.

5/ وللحصول على الانفجاري المجهور، فإنه يستحسن وضع الصوائت ثم تقطيع الكلمة إلى مقاطع، فيطلب ترديد المقطع الأول وحده، ثم المقطع الأول والثاني معا، ثم الأول والثاني والثالث... وهلم جرا.

6/ أما إذا كانت الكلمة تنتهي بالصامت المجهور، فمن الجيد الابتداء بالصامت الأنفي للحصول على الصامت الفموي.

7/ أما إذا كان الأمر يتعلق بالمخارج وخاصة المفقودة فمن الأفضل رسم الجهاز النطقي، وتقديم الوصف لكيفية إنتاج الصوت ووضع كل عضو.

**الطريقة الثالثة: الطريقة النقطية التنغيمية:** تعطي الطريقة الأولية للاستماع-الشفوي؛ لأنه يجبر الدارس على استماع الأنماط، وتقليدها مع تنغيماتها ونبرها، ويعتمد الأسلوب على الطريقة البنيوية الكلية، وتركز بصفة خاصة على إجراءات تصحيح النطق بكل الجوانب، فلذلك هناك إجراء موجه للتصحيح الكلي، فيشمل هذا الإجراء: التنغيم والإيقاع، الحركة التوتر، الموقف الوجداني، وهناك إجراء خاص لمعالجة النطق الخاص للأصوات يتناول جوانب التنغيم من نوع خاص والنطق والتوتر والأصوات المجاورة.<sup>3</sup>

ويوجد بصفة عامة الإجراءات العامة تتناول التنغيم والإيقاع؛ لأنهما لا يساعدان فقط على خلق الأساس المتين للإدراك والنطق الصحيح للصوت المعين، وإنما لمساعدتهما على الفهم، خاصة التنغيمات المتعلقة بالموقف الوجداني، فهي تحتوي على عناصر عالمية لا تتوقف فهمها على لغة بعينها؛<sup>4</sup> لذا يجب أن يكون تقليد الطلبة للمعلم قريبا للتنغيم الأصلي، وإجراء التصحيح يبدأ بالاستماع إلى الصوت في جمل تامة ثم ترديدها، وينبغي أن تبدأ بالكلمات التي تصدرها الأصوات الانفجارية، وتنتهي بها ثم الكلمات التي تبدأ بالأصوات الانفجارية وتنتهي بالصوات الاحتكاكية.<sup>5</sup>

نماذج التدريبات: تسعى التدريبات إلى تصحيح الأخطاء النطقية، وكل تدريب لا بد أن يحتوي على تقديم المشكلات اللسانية والأكوستيقية والفسولوجية ثم تمييز الأصوات فإنتاجها ثم الاستعمال، ويمكن أن يقدم الصوت منعزلا لأسباب

1- P. et M. 1 eon, op. cit. p.33.

2- Ibid ; p. 32.

3- Jean Cureau et BrencoVitetit, op. cit. p. 41.

4- Ibid, p. 91.

5- P. et M. 1 eon, op. cit. p.90-91.

تحليلية، وهناك تدريبات أخرى نطقية تستخدم فيها القراءة، وهذه التدريبات تحتاج إلى وضع خطة مسبقة بحيث تتضمن: التدريب على الفهم السمعي للنص، التدريبات على الصعوبات النطقية الأساسية، تقطيع الإيقاع والتنغيم،<sup>1</sup> وفيما يلي طائفة من التدريبات التي تحاول أن تعالج بعض الصعوبات التي يعانيها الفلاتيون، وهي مصممة على طريقة الثنائيات الصغرى:

#### التدريب الأول: بين الكاف والقاف (التقارب بين المخارج) نماذج:

الصوتان في أول الكلمة، مثل: كبس/قبس، كفل/قفل، كلب/قلب، وفي وسط الكلمة، مثل: زكد/رقد، راكد/راقد، ثم في آخر الكلمة، مثل: سلك: سلق، شك/شق، فك/دق.

#### التدريب الثاني: على السين والصاد (التقابل بين الترقيق والتفخيم) نماذج:

الصوتان في أول الكلمة، مثل: سرّة/صرّة، سفح/صفح، سال/صال، وفي وسط الكلمة، مثل: بسمة/بصمة، فسد/فصد، وفي آخر الكلمة، مثل: مس/مص، سوس/صوص.

#### التدريب الثالث: على الذال والظاء (التقابل بين الترقيق والتفخيم) نماذج:

الصوتان في أول الكلمة، مثل: ذل/ظل، ذرف/ظرف، وفي وسط الكلمة، مثل: نذير/نظير، يذل/يظل، ثم في آخر الكلمة، مثل: فذ/فظ، شواذ/شواظ.

التدريب الرابع: على الهمزة والعين (التقابل بين المخارج) نماذج: الصوتان في أول الكلمة، مثل: أمل/عمل، أمل/عامل، أن/عن، وفي وسط الكلمة، مثل: متألم/متعلم، سأل/سعل، وفي آخر الكلمة، مثل: شاء/شاع، رفأ/رفع.

#### التدريب الخامس: على التاء والطاء (التقابل بين الترقيق والتفخيم) نماذج:

الصوتان في أول الكلمة مثل: تاب/طاب، تين/طين، ثم وفي وسط الكلمة، مثل: ستر/سطر، فاتن/فاطن، ففي آخر الكلمة، مثل: ربت/ربط، شت/شط.

#### التدريب السادس: على الزاي والذال (التقارب المخارجي) نماذج:

الصوتان في أول الكلمة، مثل: زخر/ذخر، زل/ذل، ثم في وسط الكلمة، مثل: يزل/يذل، عزل/عذل، وفي آخر الكلمة، مثل: فز/فذ، عاز/عاذ.

#### التدريب السابع: على خاء والغين (التقابل بين الهمس والجهير) نماذج:

الصوتان في أول الكلمة، مثل: خاب/غاب، خير/غير، خير/غير، وفي وسط الكلمة، مثل: يخيب/يغيب، يخور/يغور، وأما في آخر الكلمة، فمثل: سابخ/سايف، أبلخ/أبلغ.

#### التدريب الثامن: على الزاي والظاء (التقابل بين الترقيق والتفخيم) نماذج:

الصوتان في أول الكلمة، مثل: زهر/ظهر، زل/ظل، وأما في وسط الكلمة، فمثل: مزاهر/مظاهر، عزيمة/عظيمة، وفي آخر الكلمة، مثل: حز/حظ، فز/فظ.

## التدريب التاسع: على الدال والضاد (التقابل بين الترقيق والتفخيم) نماذج:

الصوتان في أول الكلمة، مثل: درب/ضرب، دل/ضل، ففي وسط الكلمة، مثل: ودع/وضع، ندر/نضر، وفي آخر الكلمة، مثل: عد/عض، فرد/فرض.

التدريب العاشر: على السين والشين (التقابل المخرجي): سراب/شراب، سكر/شكر، سرى/شرى.

الخاتمة والتوصيات: نود الإشارة في نهاية هذا البحث إلى أن هذه الدراسة ليست نهائية ولا حاسمة، ومن الأجدر إعادة إجرائها على عينات أكبر من المعلمين وكذلك توسيع نطاقها أقاليم أخرى ومن المعلمين من غير الذين يتكلمون الفلانية لغة أولى، وذلك من أجل التأكد من نتائجها، وحصر الصعوبات الصوتية التي يعاني منها معلمي القرآن في مناطق الكامبيرون المختلفة.

في الختام نأمل أن تكون الدراسة قد ساعدت في إلقاء الضوء على بعض جوانب الأخطاء الصوتية والتجويدية التي يرتكبها معلمي القرآن من الناطقين بالفلانية، وبالتالي في الإسهام في تحسين مستوى تدريس القرآن وتعلمها في الكامبيرون بوجه خاص، وفي البلدان الأخرى ذات البيئة المشابهة.

## قائمة المراجع:

## أولاً: المراجع العربية:

1. كلير، جورج د. مقباس صلاحية القراءة، ترجمة إبراهيم محمد الشافعي، الرياض/ عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود، 1988 م.
2. إبراهيم أنس، الأصوات اللغوية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 15 1975 م
3. إبراهيم انجا، التجويد والأصوات، القاهرة طبعة السعادة، 1962
4. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1991 م
5. برتيلم البرج، الصوتيات، ترجمة محمد حلمي هليل، معهد الخرطوم الدولي لغة العربية، مطبعة التمدين المحدودة، 1985 م
6. عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية مكتبة وهبة، القاهرة ط 2 1996 م
7. محمد كمال بشر، علم اللغة العام - الأصوات -، دار المعارف، مصر 1973 م
8. محمود إسماعيل صبيني وإسماعيل إسحاق، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، 1973 م.

## ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Brown, H. D. "Effective Variable in Second Language Acquisition" Language Learning, 23 (1974).
2. -Naiman, N., M. Fröhlich, and A. Todesco. "The good second language learner" TESL talk, 5(1975).
3. Luc Bouquiaux, F. Cloarec-Heiss et Jacqueline M. C. Thomas, J. M. C., « Initiation à la phonétique : phonétique articulatoire et phonétique distinctive » Imprimerie Louvain orientale ; 1976.
4. D. Watermenn and Ida C. Ward, Practical phonetics of students for African languages, London, Oxford. P. w. 1970.



## مزاج السمنة وعلاجه النباتي في أقوال الأطباء القدماء

- قراءة تحليلية في ضوء مستحدثات الكيمياء الحيوية النباتية -

The mood of obesity and his herbal remedy in sayings ancient doctors

-Analytical reading in the light of the developments of plant biochemistry

د.شهرزاد بسنوسي - د.عبد المجيد مباركي / المركز الجامعي صالحى أحمد، النعامة، الجزائر

Chahrazed Bessenouci - Abdelmadjid Mebaraki/ University Center Salhi Ahmed, Naama, Algeria

### Abstract

The aim of this study is to identify the treatment of obesity in the ancient herbal medicine texts by analyzing the sayings of ancient doctors on definition of the obesity disease and its mood and on how to treat it. To achieve this objective, a descriptive historical approach was used to read and analyze ancient manuscripts in light of the phytobiochemistry research.

The results of the research were:

- Ancient doctors regarded phlegm as the mood of obesity.
- they considered antagonism in the cure of diseases.
- They treated obesity with hot and dry plants.
- They imagined the strengths of thinness in the following main actions: facilitation, generation, digestion, hunger cut, cleaning, maturation, tempering, drying and strengthening.

**Keywords:** obesity mood, phytotherapy, ancient doctors, phytobiochemistry.

## ملخص :

يهدف هذا البحث إلى التعرف على علاج السمّنة في نصوص التراث الطبي النباتي القديم، وذلك من خلال الوقوف على أقوال الأطباء الأفاضل الأوائل في تعريف هذا المرض ومزاجه وكيفية علاجه. ولتحقيق هذا الهدف تمّ استخدام المنهج الوصفي التاريخي، فضلا عن الاستعانة بمجموعة من المصادر القديمة والمخطوطات وأخرى علمية حديثة، فمقاربة موضوعة البحث في ضوء بحوث الكيمياء الحيوية النباتية الحديثة بالرصد والتحليل.

وقد أسفرت نتائج البحث عن الآتي :

- اعتبر الأطباء القدامى مزاج السمّنة بلغني.
- انطلقوا من مبدأ التضاد في شفاء الأمراض.
- عالجوا السمّنة بالنباتات الحارة اليابسة.
- تصوّروا القوى الفاعلة في التهزيل في الأفعال الجوهرية التالية: التسهيل والإدرار والتعريق والهضم والتقطيع والتفتيح والتحلل والجلي والإنضاج والتلطيف والتجفيف والتقوية
- الكلمات المفتاحية: السمّنة، المزاج المرضي، العلاج النباتي، الأطباء القدماء، الكيمياء الحيوية النباتية.

## مقدمة :

تحفل نصوص الطب القديمة بشواهد عدّة توجي باستمرارية الطب النباتي عبر القرون واللغات والبلاد. فالرُقْمُ الطينية البابلية والبرديات المصرية والدساتير الصينية والمصنفات الهندية والكتب الفارسية والإغريقية والمؤلفات العربية الإسلامية وغيرها من المواد الأثرية التي تحفظ كمّا عظيما من المعلومات عن الأنواع النباتية واستعمالاتها العلاجية تتفق في مضامينها المعرفية على مدى اهتمام الأطباء القدماء بمسألة العلاج بالنباتات ودعوتهم له. وخير ما نستدلّ به على ذلك ما جاء في حكّم أبقراط حيث قال: "ليكن غذاؤك دواءك، وعالجوا كل مريض بنباتات أرضه فهي أجلب لشفائه..."، وأما جالينوس فقد قال: "إن في كل أرض من النباتات ما يصلح لعلاج أهلها"؛ وهذا ما أشار إليه ابن النفيس أيضا عندما قال: "إن الله لم يخلق النباتات عبثا، وإنما خلقت لحكمة، ولقد مر على الإنسان حين من الدهر ظل فيه هدفا سهلا للأمراض والأوبئة، فاتجه تفكيره إلى أن يستغل ما وهبته الطبيعة من خضراوات متنوعة فعرف العلاج بالأعشاب<sup>1</sup>.

وتؤكّد بعض النصوص الأثرية أنّ البدانة كانت حقيقة من حقائق الحياة منذ عصور مبكرة، وأنّه رغم قبولها في مختلف الثقافات كمظهر جمالي عند النساء في فترات من الزمن، إلّا أنّ الأطباء كانوا على علم أكيد بمضار زيادة الوزن على الصحة؛ فحدّروا منه وحاولوا قدر الإمكان التّخفيف منه ومن إشكالاته المرضية. ومثال ذلك ما جاء في قول أبقراط: "إن البدانة ليست

<sup>1</sup> محسن عقيل، معجم الأعشاب المصور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، لبنان، 2003. ص: 3.

مرضاً في ذاتها فقط، لكنها نذيراً لغيرها من الأمراض أيضاً<sup>1</sup>؛ وأما من حكمه الشهيرة في حفظ الصحة أنه قال: "استدامة الصحة بشفت الماء وبترك الامتلاء من الطعام والشراب... والإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع"<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة إلى نقطة في غاية الاهتمام، ألا وهي غزارة المادة الأثرية التي يُصِرُّ من خلالها القدماء، عموماً، على أن الحالة الصحية تعتمد أساساً على التوازن بين عناصر ومكونات جسم الإنسان، وأن فقدان هذا التوازن -سواء في اتجاه ندرة أو وفرة عنصر من العناصر- يؤدي إلى ظهور المرض<sup>3</sup>. فلقد عرفوا -منذ عهد بعيد- أضرار التخمة<sup>4</sup>، واهتموا بموضوع الحمية فأكدوا على عدم الإسراف في تناول الطعام، ثم إنهم عَنَوْا بحمية الأعشاب والنباتات الطبية فبرعوا في معرفة الأدوية النباتية وصفاتها العلمية وخصائصها الطبية والعلاجية<sup>5</sup>.

هذا، وتشير الدراسات الإثنوبوتانية Etudes Ethnobotaniques إلى أن علاقة الإنسان مع النبات هي واحدة من أهم فاعليات الثقافة الإنسانية والحضارية، وهي تؤكد أن العلاجات الطبية النباتية الناجعة والمستمدة من الموروث المعرفي النباتي القديم تمثل أحد مؤشرات تطور النوع البشري عبر عصور كانت فيها التجربة هي البرهان على فعالية نبتة دون غيرها<sup>6</sup>.

من هنا، يتحدّد هدف البحث الحالي في محاولة استلهاً حظ السمّنة من العلاج في نصوص التراث الطبي النباتي القديم، وذلك من خلال الوقوف على أقوال الأطباء الأفاضل الأوائل في تعريف هذا المرض ومزاجه وكيفية علاجه.

وينبثق من هذا الهدف الرئيس أهداف فرعية أهمها أنّ هذا البحث قد يساعد في ترشيد المسيرة العلمية الطبية بأنفس الذخائر التي لا يزال الطب الحديث يثبت مصداقيتها في جلب راحة الإنسان وإزالة آلامه، هذا ولا سيما فضلها في إماطة اللثام عن كثير من أسرار الأعشاب والنباتات الطبية المستعملة في علاج مرض السمّنة؛ خاصّة ونحن نعيش في زمن كَثُرَتْ فيه أنواع الحمية المنجّفة التي لا يُجدي معظمها نفعاً.

وتتمثّل الأهميّة الجوهرية لهذا البحث في كونه يهتم بمشكلة صحية كبيرة تواجه المجتمع ألا وهي السمّنة التي تتصف بارتفاع نسبة الدهون في الجسم عن الحد الطبيعي، مما يجعلها حالة مرضية تهيء جسم الإنسان للإصابة بأمراض أخرى خطيرة مثل الذبحة الصدرية وتصلّب الشرايين وارتفاع الضغط؛ كما يتعدّى تأثيرها النواحي المرضية إلى التأثير على النواحي النفسية والاجتماعية<sup>7</sup>.

وباعتماد المنهج الوصفي التاريخي، فضلاً عن الاستعانة بمجموعة من المصادر القديمة والمخطوطات وأخرى علمية حديثة، تمّت مقارنة موضوعة البحث بالرصد والتحليل.

<sup>1</sup> Haslam DW, James WP. *Obesity*.2005, *Lancet*, 366(9492): 1197–209.

<sup>2</sup> الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق وشرح وتعليق أحمد رفعت البدرائي، الطب النبوي، دار إحياء العلوم، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1410 هـ الموافق ل: 1990 م. ص: 35.

<sup>3</sup> Pellegrin P., *Le savoir Grec*, Flammarion, 1996. P : 446.

<sup>4</sup> Dawson.,W : *Archeology*, Journal of Egypt. Vol. 20, 1943. P : 186.

<sup>5</sup> شحاته القنواني، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، دار أوراق شرقية، الطبعة الثانية، بيروت، 1996. ص ص: 9-15.

<sup>6</sup> Jillian De Gezelle, Plants and People, Society for Economic Botany Newsletter, volume 25 Spring 2011, p :3.

<sup>7</sup> سعد كمال طه، السمّنة، كتب عربية، 2006. ص: 15.

من هنا ومن خلال النصوص الطبية القديمة، التي هي موضع اشتغال البحث، سنحاول استقراء المتن النصي وتحليل متضمناته في ضوء بحوث الكيمياء الحيوية النباتية الحديثة؛ ومن ثمّة تقديم رؤية مستحدثة حول السمّنة وعلاجها قد تفسح المجال للتعاون المستقبلي بين الباحثين في مجال تحقيق التراث وذوي التخصص الحديث في الطب النباتي.

### نظرة في تعريف النظرية الخلطية والمزاج

كانت النظرية الخلطية - في عصور متلاحقة- الأمتل لتفسير طبيعة المكونات التي يتشكل منها الجسم؛ إذ تشير هذه النظرية إلى أن بدن الإنسان يتركب من أخلاط أربعة وهي: الدم Sang والمرّة الصفراء Bile jaune والمرّة السوداء Bile noire والبلغم Lympe، وهي مكونات تعود بأصلها إلى الأغذية. فلقد تصور الأطباء القدماء ضرورة تحوّل الغذاء إلى جسم رطب سيّال (الخلط) من شأنه أن يصير جزءاً من جوهر المغتذي؛ حيث تبدأ عملية الاستحالة، هذه، بهضم الأغذية في المعدة والأمعاء، فتصعد الأبخرة إلى أعلى، ويهبط الثقل إلى أسفل، وما يصلح لتغذية الأعضاء يُدعى الكيموس Chyle، حيث تنقله العروق إلى الكبد الذي يُحوّل جزءاً منه إلى دم، وجزءاً آخر إلى المرّة الصفراء، كما ينتقل جزءاً آخر منه إلى الطّحال الذي يحوّل إلى المرّة السوداء، وجزءاً إلى المعدة والرئة فيتحوّل إلى بلغم. وهذه الأخلاط إما أن تكون جيّدة، وإمّا أن تكون رديئة؛ فالجيّدة هي التي تكون ضرورية للجسم، وتصبح جزءاً منه، والردئية هي التي تبقى بلا فائدة، ويفرزها الجسم إلى الخارج، ويتخلّص منها عن طريق الإفرازات البولية والجلدية والأنفية وغيرها... الخ<sup>1</sup>.

وأما المقصود بالمزاج (أو الكيفية والطبع) فهو استعداد جسدي عقلي خاص كان القدماء يعتقدون أنّه يحدث بتغلّب أحد الأخلاط الأربعة عن الأخرى في الجسم، ومن ثمّة كانوا يقولون بأربعة أمزجة وهي: البرودة (الدموي) والحرارة (الصفراوي) واليبوسة (السوداوي) والرطوبة (البلغمي)<sup>2</sup>.

### مفهوم المرض في الباثولوجيا الخلطية

على ضوء النظرية الخلطية المُعتَبَرة، واصل الأطباء تصوراتهم بأنّ أكثر الأمراض إنما تنشأ من فساد الأخلاط أو نقصها أو زيادتها؛ فاعتقدوا وجود أربع أمزجة في الجسم وهي: البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة، تمثلها أخلاط أربعة وهي: البلغم والدم والسوداء والصفراء، ويُنووا أنه ما دامت هذه الأخلاط متكافئة في الجسم، فمزاج الجسم معتدل والجسم صحيح، أما إذا غلب أحد هذه الأخلاط على غيره، فإن المزاج حينئذ ينحرف عن الاعتدال ويصبح الجسم مريضاً.

"والاختلال في الاعتدال الطبيعي الذي هو الاسم العلمي للمرض، يكون نتيجة فساد كيفية من الكيفيات الأربع وانقلابها إلى ضدها"<sup>3</sup>، ولردّ الاعتدال والعودة بالجسم إلى المزاج المعتدل، "الذي هو وسط بين طرفي الحرارة والبرودة، وبين طرفي اليبوسة والرطوبة"<sup>4</sup>، يتعيّن على الطبيب استعادة توازن الأخلاط وذلك بمراعاة كل حال من أحوال الاختلال بما يُناسبها ويليق بها؛

<sup>1</sup> مجموعة من المؤلفات: القانون في الطب (الكتاب الأول: الأمور الكلية في علم الطب) لابن سينا، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وصَفحات من تاريخ التُّراث الطِّبي العربي الإسلامي للأستاذ الدكتور عبد الكريم شحادة، ومنشورات منظمة الصحة العالمية 2005، وزوايا تاريخ الطبّ والأطباء المسلمين للدكتور إسلام المازني.

<sup>2</sup> محمد الرازي فخر الدين، الفراسة: دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح، 606 هـ. تحقيق وتعليق مصطفى عاشور، مكتبة القران للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.

<sup>3</sup> ابن رشد، الكليات في الطب، تحقيق خ. م. فورنياس، ك. الباريت دي موراليس، مدريد، إسبانيا، 1987. ص: 356.

<sup>4</sup> ابن رشد، تلخيص المزاج لجالينوس، ضمن رسائل ابن رشد الطبية. ص: 84-85.

فيجلب الصحة المفقودة أو يحفظها بالشكل والشبه، ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض، ويخرجها أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحماية<sup>1</sup>.

### السمنة ومزاجها في الفكر الطبي القديم

بات واضحاً في الدراسات الحديثة أن التغذية هي السبب الرئيس في حدوث العديد من الأمراض ولاسيما مرض السمنة<sup>2</sup>، وخير تمثيل يمكن أن نستدل به على أثرها - في الطب القديم - في أحوال الأخلاط خاصة والبشر عامة، ما جاء في مقدمة ابن خلدون: "إن كثرة الأغذية ورطوبتها، تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بُعْدُ أقطارها وضخامتها من غير نسبة كما ينشأ عنها كثرة الأخلاط الفاسدة، ويتبع ذلك انكشاف الألوان، وقبح الأشكال من كثرة اللحم، وتغطي الرطوبات على الأذهان والأفكار، بما يصعد على الدماغ من أبحاثها الرديئة فتجيء البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال..."<sup>3</sup>.

ولقد ذكر ابن سينا السمنة ومزاجها في كتابه القانون فقال: "إن السمن المفرط قيد للبدن عن الحركة والنهوض والتصرف، ضاغطاً للعروق ضغطاً مضيقاً لها فينسد على الروح مجاله، وكذلك لا يصل إليهم نسيم الهواء فيفسد بذلك مزاج روحهم ويحدث بهم ضيق نفس وخفقان، وهؤلاء معرضون للموت فجأة وللسكتة<sup>4</sup> والفاالج<sup>5</sup>. وهم لا يصبرون على جوع ولا على عطش بسبب ضيق منافذ الروح وشدة برد المزاج وقلة الدم وكثرة البلغم"<sup>6</sup>.

وتحدّث عنها ابن النفيس في مؤلفه الموجز في الطب فقال: "...وأمرض المقدار صنفان، فأما بالزيادة أو بالنقصان، وكل واحد إما عام أو خاص، كالسمن المفرط..."<sup>7</sup>، ثم قال: "...وقد عرفت أن اللحم هو متين الدم وكثرة الشحم<sup>8</sup> والسمن<sup>9</sup> الرطوبة والبرودة لأن البرودة هي التي تعقد مائية الدم وتصوره بصورة الشحم والسمن..."<sup>10</sup>. كما عرّف مادة الشحم بقوله: "...ومادة الشحم كما علمت هي مائية الدم..."<sup>11</sup>، وهو التعريف الذي أكدّه التفتازاني<sup>12</sup> بقوله: "... والشحم من مائية الدم ودسميته، ويعقده البرد"<sup>13</sup>.

وفي صرح الشاكلة المعتمدة بين الغذاء والمغتذي، بيّن الشيخ باقر المجلسي في كتابه [بحار الأنوار] "...أن قيد مداخله الغذاء في أجزاء الجسم يُخرِجُ السمن... وإن السمن إنما هو زيادة في الأعضاء المتولدة من الدم كاللحم والشحم والسمن، لا في الأعضاء

<sup>1</sup> ابن القيم الجوزية، الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد)، دار الهلال، بيروت، الجزء 1، ص: 9.

<sup>2</sup> Consultation OMS/FAO d'experts. Régime alimentaire, nutrition et prévention des maladies chroniques. Série de Rapports techniques 916. Genève: OMS, 2003.

<sup>3</sup> عبد الرحمان ابن خلدون، أثر الجوع في صلاح البشر وأخلاقهم، مقدمة ابن خلدون، ص: 71-74.

<sup>4</sup> Arrêt cardiaque

<sup>5</sup> Hémiplégie

<sup>6</sup> ابن سينا، القانون في الطب، فصل في عيوب السمن المفرط، ص: 245.

<sup>7</sup> ابن النفيس، الموجز في الطب، الجزء الثاني من أجزاء الجزء النظري في أطوال بدن الإنسان، ص: 70.

<sup>8</sup> دسم الدم، إذا صار إلى موضع بارد جمّد على الأعضاء اللحمية وصار شحماً.

<sup>9</sup> مثل الشحم، إلا أنه أقلّ لنا منه وهو مستبطن للجلد ويوجد على الأغشية

<sup>10</sup> محمد الحسيني الشيرازي، مبادئ الطب، في شرح الموجز في الطب لابن النفيس، الفصل الأول: الأمزجة والأعضاء والقوى.

<sup>11</sup> ابن النفيس، شرح تشریح القانون لابن سينا، الجزء الأول، ص: 316.

<sup>12</sup> من أئمة العربية والبلاغة والمنطق والفقه وعلم الكلام، وُلِدَ بخراسان (712-793هـ/1322-1389م)

<sup>13</sup> سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح المقاصد، الجلد الثالث.

الأصلية (أعني ما يتولد عن المني كالعظم والعصب والرباط وغيرها)...<sup>1</sup>؛ وأشار ابن سينا للأمر فقال: "...وما دام السمن لا يحدث ضرراً فلا تكرهه، فإن الحياة في الرطوبة لكنك يجب أن تحتاط أيضاً، وتكره طريق الإفراط..."<sup>2</sup>.

وحسبنا أن نذكر في هذا السياق قول ابن القيم الجوزية في كتابه [زاد المعاد]: "واعلم أنّ الدم الجيد هو المُغذّي للبدن، وأنّ البلغم دم فجّ قد نضج بعض النضج، فإذا كان بعض المرضى في بدنه بلغم كثير، وعُدِمَ الغذاء، عطفت الطبيعة عليه، وطبخته، وأنضجته، وصيّرتة دمًا، وغدّت به الأعضاء، واكتفت به عما سواه، والطبيعة هي القوة التي وكلها الله سبحانه بتدبير البدن وحفظه وصحته، وحراسته مدة حياته"<sup>3</sup>.

فلعلّ مفاد هذه المقولة يتّضح بما جاء حديثاً في أبحاث علم الوظائف Physiologie، حيث تبين أنه في حال الصيام (غياب الأكل لمدة طويلة) يقلّ مستوى الجلوكوز<sup>4</sup> Glucose في الدم عموماً مما يؤدي إلى تثبيط إفراز الأنسولين<sup>5</sup> Insuline (يقال) وهو ما يزيد من إفراز هرمون الجلوكاجون<sup>6</sup> Glucagon من خلايا البنكرياس<sup>7</sup> Pancreas؛ وعندها تحدث التفاعلات الأيضية Réactions métaboliques التالية، أنظر شكل 1:

<sup>1</sup> محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الجزء الحادي والستون.

<sup>2</sup> ابن سينا، القانون في الطب، المقالة الرابعة، في أحوال البدن والأطراف

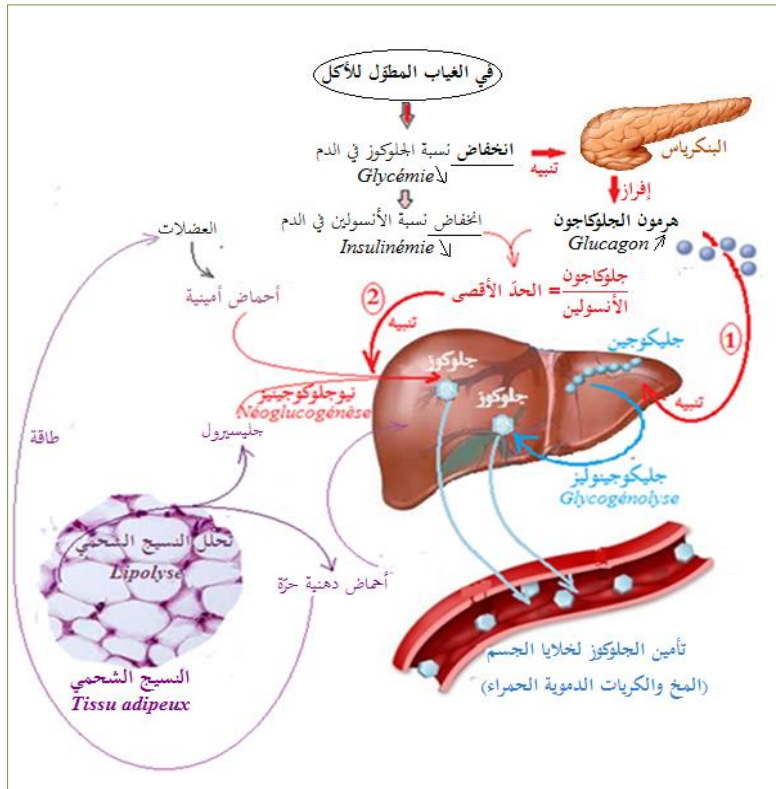
<sup>3</sup> ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد المجلد الرابع، فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في معالجة المرضى بترك إعطائهم ما يكرهونه من الطعام والشراب وأهم لا يكرهون على تناولهما.

<sup>4</sup> الجلوكوز هو نوع بسيط من السكر، يوجد بحالته الطبيعية في بعض الأغذية، وقد ينتج من هضم بعض النشويات؛ وهو سكر يدور مع الدم ويتأكسد ليعطي الطاقة.

<sup>5</sup> الأنسولين، هرمون ذو طبيعة بروتينية، يُفرز من خلايا بيتا في جزر لانجرهانس الموجودة في البنكرياس ويمر مباشرة إلى مجرى الدم ليؤثر على خلايا الكبد والعضلة والخلايا الدهنية وخلايا أخرى، حيث ينظم ركائز الطاقة وأهمها الجلوكوز والأحماض الدهنية والكيوتونات.

<sup>6</sup> الجلوكاجون، هرمون عديد الببتيد هام لعمليات الأيض، تفرزه خلايا ألفا في جزر لانجرهانس في البنكرياس، ويتم إطلاقه عندما تصبح مستويات جلوكوز الدم منخفضة، لينظم نسبة السكر في الدم، فيقوم بحثّ الكبد على تحويل الغليكوجين المخزن إلى جلوكوز وطرحه في مجرى الدم، فيمنع بذلك حدوث انخفاض جلوكوز الدم.

<sup>7</sup> البنكرياس من أحد الأعضاء الموجودة في الجسم، وهو عبارة عن غدة ملساء، ناعمة، صماء، داخلية الإفراز لأنها تفرز هرمون الأنسولين وهرمون الجلوكاجون، وخارجية الإفراز لأنها تفرز العصارة البنكرياسية الهاضمة، وتحتوي هذه العصارة على أنزيمات و أملاح معدنية.

شكل 1 : رسم توضيحي يبيّن التغيرات الأيضية أثناء الصيام<sup>1</sup>

يبدأ الكبد بتحطيم الجليكوجين<sup>2</sup> Glycogénolyse إلى جلوكوز و طرحه في الدم لتستخدمه الأنسجة التي تعتمد عليه لإنتاج الطاقة، وبعد مرور ثمان ساعات إلى اثني عشرة ساعة من الصيام، ينفذ مخزون الكبد من الجليكوجين. وتبدأ عملية تحطيم الشحوم Lipolyse في النسيج الشحمي وطرح الأحماض الدهنية في الدم، حيث تستخدمها العضلات في إنتاج الطاقة. ثم يبدأ الكبد بعملية إنتاج الجلوكوز Néoglucogénèse باستعمال الأحماض الأمينية<sup>3</sup> Acides aminés التي مصدرها البروتين في العضلات الهيكلية، والجليسيرول<sup>4</sup> Glycérol الذي ينتج عن تحطيم الشحوم، ومن ثمة يكون تأمين الجلوكوز اللازم للنشاط الخلوي في الجسم.

ومن ذلك يتبين أن بقاء الإنسان يحتاج إلى امتلاك القدرة على تخزين الطاقة التي يولدها طعامه لأوقات تشحّ فيها المغذيات الضرورية؛ ويُشكّل النسيج الشحمي، العضو المختصّ بأداء مهمة التخزين هذه. ولكن إذا تزايد مقدار الطاقة المخزنة على

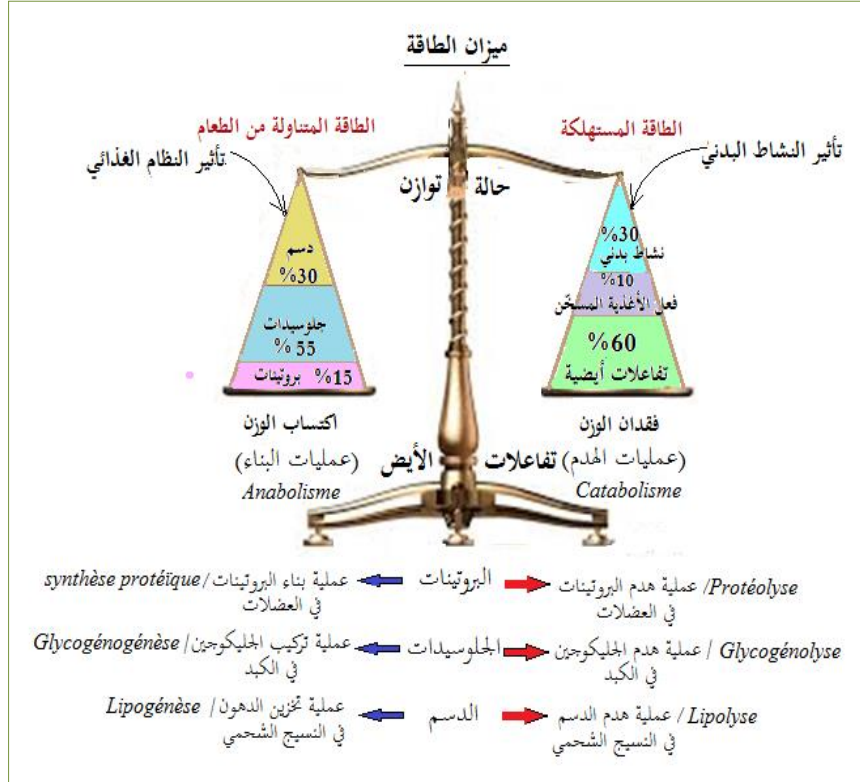
<sup>1</sup> CARIP Cristian, LOUET Cristian, « Régulations et adaptations physiologiques », Physiologie- Le manuel (2<sup>ème</sup> Ed.), Coll. Réussir son BTS Diététique, 6, chapitre : 12, Lavoisier, 2015. Pp : 239- 262.

<sup>2</sup> الجليكوجين، جزيء كربوهيدراتي يتألف من وحدات سكر بسيط يدعى الجلوكوز ترتبط معاً على شكل سلسلة متشعبة. وهذا المركب يعمل كمخزن للطاقة في جسم الإنسان.

<sup>3</sup> الأحماض الأمينية هي وحدات بناء البروتين.

<sup>4</sup> كحول ثلاثي الهيدروكسيل (إذن يمكنه أن يرتبط بثلاثة أحماض دهنية).

شكل دهون في ظروف الإفراط المزمّن في التغذية، نجد أن قدرة الجسم على تخزين الدهون الزائدة تجعل الإنسان عرضة لمرض السمنة بدلا من تمكينه مقاومة الجوع<sup>1</sup>؛ أنظر شكل 2.



شكل 2: محددات السمنة<sup>2</sup>

### حمية الأعشاب والنباتات الطبية، مبدأ فعال لتحقيق التوازن

انطلاقاً من مبدأ التضاد لشفاء العليل، كانت عملية إعادة الاعتدال للبدن تقتضي تركيب ما انحل وتحليل ما انعقد وتسخين ما برد وتبريد ما سخن وترطيب ما يابس وتيبس ما رطب... فحيث أن التوسط في الأخلاط هو الاعتدال في المزاج، كان علاج علّة حارة أو باردة أو يابسة أو رطبة، يتم باسترجاع حدّ الاعتدال في الخاصيات المزاجية للأخلاط (التمثلة أساساً في الحرارة والرطوبة للدم والحرارة واليبوسة للمرة الصفراء والبرودة واليبوسة للمرة السوداء والبرودة والرطوبة للبلغم) بالتعويل على أصناف من الأدوية ولأسيما النباتية منها التي تُحدِث في البدن مزاجاً مضاداً لذلك المزاج المرضي<sup>3</sup>.

ولقد حَيَّقَ القدماء في معرفة أفعال الأدوية النباتية بالاستناد إلى التجربة والقياس وعرفوا قواها الفاعلة (الحرارة والبرودة) والمنفعله (الرطوبة واليبوسة) المرتبطة بالأمزجة الأربعة أو تلك الخاصة بالإنضاج والتلين والتحليل والتفتيح، فضلاً عن أفعال

<sup>1</sup> شارلز برينر، استهداف أحد جينات تراكم الدهون، مجلة ناتور (Nature)، الطبعة العربية، تطبع المجلة بدعم من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (Macmillan Publishers Limited)، جوان 2014، ص: 58-59.

<sup>2</sup> OMS, World Health Organisation- **Obesity, preventary and managing the global epidemic**, Geneva, 3-5, June, 1997. WHO/NUT/NCD/98.1

<sup>3</sup> ابن رشد، شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا، الجزء 1، ص: 23.

الإسهال والإدرار والتفتيت والتعريق<sup>1</sup>؛ فلتعديل ما أُقْرِطَ من كيميائيات البدن وصفوا ما يُضادّها من كيميائيات النباتات الطبية، فعالجوا الأمراض الباردة الرطبة<sup>2</sup> بالنباتات الحارة اليابسة والأمراض الحارة اليابسة<sup>3</sup> بالنباتات الباردة الرطبة والأمراض الحارة الرطبة<sup>4</sup> بالنباتات الباردة اليابسة والأمراض الباردة اليابسة<sup>5</sup> بالنباتات الحارة الرطبة<sup>6</sup>.

ومن الحصيف هنا ذكر حِرْصِ القدماء، في توصيفهم للنباتات الطبية، على التعريف بأمزجتها؛ فمن أهم ما ورد في مصادر التراث الطبي القديم وما يقابلها من أبحاث حديثة عن الأمزجة وأفعالها في بدن الإنسان نذكر<sup>7</sup>:

أولاً. نباتات حارة يابسة: هي نباتات مولدة للحرارة التي يتبعها الجفاف في الجسم، تتميز بطعم حادّ، لاذع أو مالح أو حامض؛ وحيث هي نافعة للأمراض الباردة الرطبة بينت التحاليل الكيميائية الحديثة لها أنها تحتوي أساساً على:

– نسبة عالية من الزيوت الطيارة Huiles volatiles ذات فعالية كبيرة في تطهير الجسم من الجراثيم وتنشيط الدورة الدموية والمعدة وطردها الغازات منها.

– مواد مرّة Substances amères: تقوي الجسم وتنشط عمل الكبد وتحسن إفراز الغدد والأنزيمات الهاضمة وتدر الصفراء وتقتل الديدان وتقوي مناعة الجسم.

<sup>1</sup> ابن رشد، الكليات في الطب: حول الضرب الثالث من أفعال الأدوية، تحقيق خ. م. فورنياس وك. الباريت دي موراليس، مدريد، 1987، ص: 227-229.

<sup>2</sup> منبت هذه الأمراض في البدن في الرئة، والبرودة فيها ناتجة عن قلة إطلاق حرارة الأيض Métabolisme وقلة نشاط الكبد عموماً وتوليد الدم والكريات الدموية الحمراء وضعف في عمل الغدد والنشاط الإفرازي الهرموني، وأما الرطوبة فزيادة المحتوى المائي في الجسم وقلة نشاط الغدة الدرقية وزيادة تراكم الدهون وميل الجهاز العصبي إلى السكون والهذوء وميل العضلات الخارجية إلى الاسترخاء وزيادة الإفرازات المخاطية والدهنية الخارجية وقلة التعرق. ومن الأمراض المعروفة في المزاج البارد الرطب نذكر: الأمراض الصدرية والزكام والصرع...

<sup>3</sup> منبت هذه الأمراض في البدن في المرارة، فالحرارة فيها ناتجة عن التهابات وحميات تحدث داخل الجسم، مع زيادة في نشاط الكبد والغدد الداخلية والإفراز الداخلي للهرمونات، واليبوسة معروفة بجفاف الجلد والأسطح المخاطية وقلة المحتوى المائي، وبزيادة في نشاط الغدة الدرقية ونشاط الأيض وهدم المدخرات الدهنية والسكرية وتحللها، وزيادة إطلاق الحرارة واستهلاك الماء، كما يميل الجهاز العصبي للتوتر ويزيد القلب في ضرباته وتميل العضلات الخارجية للتقلص والتشنج وزيادة في التعرق. ومن أهم الأمراض المميزة لهذا المزاج: اليرقان والبثور والحكة والحمرة وتراكم الإفرازات الصفراوية في الكبد...

<sup>4</sup> منبت هذه الأمراض في البدن في الكبد، ومن أهمها أمراض الكبد والرعاف والرمد.

<sup>5</sup> منبت هذه الأمراض في البدن في الطحال ومنها: أمراض الطحال والقولنج وحصى الكلى والبواسير والنقرس (داء المفاصل)...

<sup>6</sup> المزاج المعتدل للإنسان هو الذي يُتصوّر فيه تساوي الكيفيات على الحقيقة، أما الأمزجة الخارجة عن الاعتدال في الكيفيتين الفاعلة والمنفصلة، فهي: (1) "مزاج حار يابس" وهو الذي ترتفع فيه درجة الحرارة مما يؤدي إلى زيادة يبوسة الجسم ومن علاماته: اصفرار في الجلد والعينين، خشونة في اللسان، شدة العطش، سرعة في التنفس، ضعف في الشهية، إعياء في الجسم، غثيان...، (2) "مزاج حار رطب" والمقصود به زيادة في تكوين كريات الدم الحمراء وبذلك زيادة في كتلة الدم وهذا الخلط يعترى الكثير من الشوائب فيتخلص الدم منها عن طريق الجلد فيظهر من هنا المرض أو النزيف، ومن علاماته: زيادة وإفراط في النوم، صداع، احمرار اللون، ظهور دمايل، حصول رعاف، انتفاخ البدن...، (3) "مزاج بارد يابس" وهو الذي تنخفض فيه درجة الحرارة كثيراً وتتبعه اليبوسة، وهو زيادة في المحتوى الطحالي، ومن علاماته: كمودة اللون، زيادة الشهوة للطعام، حموضة الفم، زيادة الوسواس، لون البول يميل إلى الكمودة السوداء...، (4) "مزاج بارد رطب" وهو الذي يغلب عليه عنصر الماء، مما يسيء إلى التركيبة الرباعية، ومن علاماته: بياض اللون، كثرة الريق، النوم الكثير، ضعف الهضم، قلة العطش، النسيان، بياض لون البول.

<sup>7</sup> علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الجزء الثاني، المقالة الثانية، الباب الرابع والثلاثون في ذكر الحشائش وقواها. ص: 100-

- قلويدات Alcaloïdes غير مخدّرة تمنع التشنجات وتنبه القلب والجهاز العصبي.
- مواد راتنجية Résines منبّهة للشهية ومحسّنة للهضم وملينة للأمعاء ومنشّطة للدورة الدموية ولحركة الأمعاء.
- مواد كبريتية Substances sulfurées موسّعة للأوعية الدموية ومنبّهة للهضم ومقيّئة ومطهرة وملينة للأمعاء.
- ثانيا. نباتات حارة رطبة: هي نباتات مولدة للحرارة والرطوبة لاحتوائها على كمية كبيرة من الماء، وهي بذلك نافعة للأمراض الباردة اليابسة؛ وأما تحليلها الكيميائي فلقد أثبت وجود:
- نسبة عالية من الزيوت الثابتة Huiles fixes ذات فعالية في إدرار الصفراء وتلين الأمعاء وتخفيض نسبة الكوليسترول ومقاومة أمراض السرطان لاحتوائها على حمضي لينوليبيك (حمض دسم أوميغا 3) والألفا لينولنيك (حمض دسم أوميغا 6)، كما تعدّ مقوية لمناعة جسم الإنسان.
- نسبة عالية من السكريات والماء، وهي مركبات تغذي الجسم فتقوّيه، وتلين الأمعاء وتنبّه عمل الكبد.
- سابونينات Saponines تلتطفّ الالتهابات وتساعد على قشع الإفرازات المخاطية.
- ثالثا. نباتات باردة يابسة: وهي نباتات تساعد الجسم على التخلص من الحرارة الزائدة عن طبيعته، وهي عموما نافعة للأمراض الحارة الرطبة. ويتمثل محتواها الكيميائي أساسا في:
- نسبة عالية من المواد الصمغية Gommes تمتص الكميات الفائضة من الماء في الجسم، كما تعمل على تليين الأمعاء وتسكين آلام الأغشية المخاطية الملتهبة.
- نسبة عالية من المواد العفصية Tanins وهي قابضة للإسهال والتزيف، ومضادة للتهابات الأغشية المخاطية والجلد وتستعمل في ترميم الأنسجة التالفة.
- قلويدات مخدرة Alcaloïdes narcotiques وهي مواد معرّقة جدا ومخففة للألام ومضادة للتشنجات العضلية.
- أحماض عضوية Acides organiques تعدل حموضة الدم وإفرازات الصفراء وتقلّل من نشاط الكبد وتخلّص الجسم من السموم وتخفّض ضغط الدم.
- رابعا. نباتات باردة رطبة: هي النباتات التي تُضفي حاسة الإنعاش على الجسم وذلك لاحتوائها على كمية كبيرة من الماء؛ وتعالج أساسا الأمراض الحارة اليابسة. أما تركيبها الكيميائي فيتمثل في:
- نسبة عالية من الماء تخفف العطش وتبرّد الأغشية المخاطية وتلين الأمعاء وتدر البول.
- زيوت عطرية Huiles aromatiques تسكّن الألام وتهدئ الأعصاب وتساعد على النوم.

– مواد مخاطية Mucilages مضادة للإمساك المعوي المزمن وتعمل على حماية وتسكين آلام الأنسجة الملتهبة وتعديل الإفرازات الهضمية<sup>1</sup>.

### النباتات الطبية وآلياتها البيوكيميائية المخففة لوزن الجسم

لقد قصّص العديد من البحوث الكيميائية والدراسات السريرية، التأثيرات الفيزيولوجية لبعض النباتات الطبية وآلياتها البيوكيميائية المسؤولة عن عملية تخفيف وزن جسم الإنسان؛ ومن تلك الدراسات تبين أن هناك أربع مجموعات نباتية منخّفة رئيسة نلخصها في التالي:

أولاً. النباتات المدرة للبول، *Plantes diurétiques*: تساعد هذه النباتات الجسم على التخلص من الماء الزائد والسموم المنحلّة فيه، وذلك من خلال تحفيز الكلى على زيادة تدفق البول. وأما آلية إدرار البول فتختلف باختلاف المكوّن الأساسي لهذه المجموعة النباتية، والتي نذكر منها:

– نباتات غنية بالشايين أو بالكافيين: من أهمها: الشاي الأخضر *Thé vert* والبن الأخضر *Café vert* والجوارانا *Guarana* والماتي *Maté*. فحيث تشبه مادتي الشايين <sup>2</sup> *Théine* والكافيين <sup>3</sup> *Caféine* في تركيبهما الكيميائي مادة الأدينوزين <sup>4</sup> *Adénosine*، يُنتج عن تشبّهما بمستقبلات الأدينوزين (أ1) الموجودة في خلايا الكلية تثبيط عمل الأدينوزين-المسؤولة عن عودة المياه من الكلى إلى الجسم، فتتوسع بذلك الأوعية الدموية الدقيقة في الكلية ويزداد تدفق الدم، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى زيادة في مستوى الترشيح الكبيبي <sup>5</sup> *Filtration glomérulaire* لمحتويات الدم في الكلية لتشكيل كمية كبيرة من البول<sup>6</sup>.

– نباتات غنية بأملاح البوتاسيوم: نذكر منها نبات الهندباء البري *Pissenlit* وشاي الجافا *Orthosiphon* والدردار *Frêne*؛ فهذه النباتات تأثيرات إيجابية على زيادة إدرار البول وذلك من خلال عمل أملاح البوتاسيوم فيها على تثبيط نشاط ما يُعرف بمضخّات تبادل الصوديوم/ البوتاسيوم *Pompe sodium-Potassium* التي توجد في أنابيب وحدات النيفرون<sup>7</sup> في الكلى، فتمنع بذلك إعادة امتصاص الصوديوم وتزيد من طرحه مع الماء في البول بفعل توسيعها للأوعية الدموية الدقيقة في الكلى<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> Mazars guy, « *Les aliments dans la thérapeutique Ayurvédique* », deuxième colloque international: Médicaments et aliments: Approche ethno-pharmacologique, Université Louis Pasteur, Editions ORSTOM, Paris, 1996. Pp: 11- 17.

<sup>2</sup> مادة قلويدية محفزة للتفاعلات البيوكيميائية

<sup>3</sup> مادة كيميائية قلويدية منشّطة

<sup>4</sup> مادة كيميائية تفرزها الخلايا العصبية، تلعب دورا هاما في نقل الطاقة وفي ترجمة الرسائل في الآليات البيوكيميائية.

<sup>5</sup> الترشيح الكبيبي هو عملية ترشيح البلازما عبر الشعيرات الكبيبية للكلى، والذي ينتج عنها تشكل البول. والكبيبة الكلوية: هي حزمة من الشعيرات الدموية يدخلها الدم من الشريان الجانبي المتفرع عن الشريان الكلوي ويخرج منها عن طريق الشريان النابذ.

<sup>6</sup> H. Osswald., J. Schnermann, *Methylxanthines and the kidney*, Handb Exp Pharmacol, no. 200, 2011 pp. 391–412.

<sup>7</sup> يعتبر النفرن الوحدة الوظيفية للكلى حيث تحيط به الأوعية الدموية ويتم تبادل السوائل و المعادن و بقايا المواد الناتجة عن العمليات الحيوية بالجسم حتى يتجمع في النهاية في شكل بول. فيمر البول من خلال النفرن إلى الأنابيب الكلوية التي تصب في حوض الكلى الذي يتواصل مع الحالب، وبذلك يمر البول إلى الحالب ثم إلى المثانة ثم إلى خارج الجسم من خلال الإحليل (مجرى البول).

<sup>8</sup> van Mierlo LA, Greyling A, Zock PL, Kok FJ, Geleijnse JM. *Suboptimal potassium intake and potential impact on population blood pressure*, Arch Intern Med. 2010 Sep 13;170 (16):1501-2.

– نباتات غنية بالفلافونيدا: تؤثر هذه النباتات على نقل الماء عبر الخلايا الظهارية Cellules épithéliales للكلية، وبالتحديد في عروة هنلي<sup>1</sup> Anse de Henlé. فبعد دخول المواد الفعالة لتلك النباتات إلى الأنابيب الكلوية عبر الترشيح النيفروني، تتسبب في زيادة في الضغط الأسموزي<sup>2</sup> Pression Osmotique داخل الأنابيب وبالتالي زيادة في النتاج البولي<sup>3</sup>.

ثانيا. النباتات المقطّعة والمجفّفة للبلغم. **Draineurs lymphatiques**: وهي النباتات المنقيّة للبلغم، فحيث تتخلّل – بفعل حرارة مزاجها- بين سطح البلغم والفضلات اللازقة به، تقوم بتقسيم تلك الفضلات ليسهل على البلغم تحريكها ودفعها إلى فوهات المسام حتى يُعِدّها عنه<sup>4</sup>.

فأما البلغم<sup>5</sup> أو كما يسمّى اللّمف Lympe فهو سائل شفاف، يميل لونه إلى الصفرة، ويشبه في تركيبه تركيب الدم إلا أنّه لا يحتوي على خلايا دم حمراء، بل هو غني بالخلايا البيضاء. وأما الجهاز اللمفاوي (المحمّل باللّمف) فيؤدي دورا مهما في تغذية الدم بالدهون – خاصّة- اللازّمة للنشاط الخلوي في الجسم (بعد انتقال نواتج الهضم المعدي للمواد الغذائية إلى الأمعاء، يتمّ امتصاص الدهون في البطانة المعوية على شكل أحماض دهنية Acides gras، ومن ثمّة نقلها في صورة جزيئات الكيلوميكرون<sup>6</sup> Chylomicrons -عبر وعاء لمفاوي- إلى القلب، ثم إلى الدم ليتم نقلها إلى الكبد أو تخزينها في النسيج الشحمي، أنظر شكل3.

<sup>1</sup> توجد عروة هنلي في الكلية وهي عبارة عن أنبوب رفيع جدا على شكل حرف (U) يتألف من أنبوبين، الأول نازل والثاني صاعد.

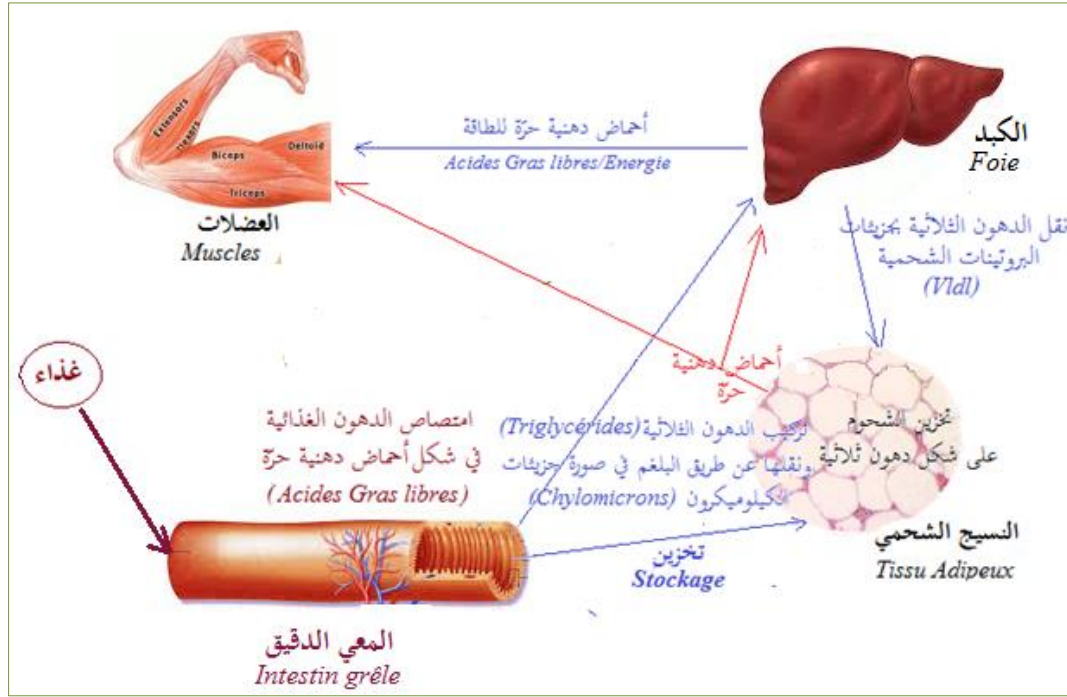
<sup>2</sup> الضغط الأسموزي هو انتقال جزيئات الماء من المحلول الأعلى في التركيز إلى المحلول الأقل تركيزاً (بالنسبة لتركيز الماء وليس تركيز الملح).

<sup>3</sup> Précis de Phytothérapie, **Les plantes : Indications, Descriptions et Propriétés thérapeutiques**, Editions Alpen, 2<sup>ème</sup> semestre 2010. Pp : 20-90.

<sup>4</sup> Amélie Machut, Régimes amaigrissants : place de la phytothérapie et du conseil officinal : étude de 3 plantes en particulier. Sciences pharmaceutiques, 2013. 124 pages.

<sup>5</sup> البلغم نوعان منه الطبيعي، النقي الذي يشبه في تركيبه الدم، ومنه غير الطبيعي وهو المحمّل بالفضلات.

<sup>6</sup> بروتينات شحميّة، تتكوّن خلال الهضم الغذائي، حيث تهتمّ بنقل الدهون الخارجيّة من الأمعاء إلى الأنسجة عبر الدورة اللمفاوية.



شكل 3: رسم توضيحي لمسار الدهون في الجسم

ولأن دور الجهاز اللمفاوي أيضا نقل الفضلات<sup>1</sup> إلى الدم لصرفها إلى الوسط الخارجي عبر أعضاء الطرح Organes émonctoires: الكبد (تكوين العصارة الصفراوية) والكليتين (الترشيح) والرئتين (التنفس) والجلد (التعرق) والأمعاء (حركة الأمعاء)، فتصريف غير فعال للّمْف، يُبقي هذا الأخير محمّلا بتلك الفضلات التي يؤدي تجمّعها - في أعضاء الجسم المختلفة - إلى أمراض عديدة، واتي نذكر من بينها مرض السمّنة (بتراكم الدهون وتخزينها في النسيج الشحمي)<sup>2</sup>.

ولتحسين عملية التقطيع البلغمي وتجفيفه من الفضلات، يجب ممارسة الرياضة أو اللجوء للنباتات الطبية لتنشيط الدورتين الدموية واللمفاوية، وبذلك تحفيز عمل أعضاء الطرح للقيام بوظائفها الإفرازية<sup>3</sup>.

ومن أهم النباتات المقطّعة للبلغم والمجفّفة له نذكر على سبيل التمثيل:

- نبات الأرقطيون، Bardane: معرّق قوي، وهو بذلك ينقي البلغم بفعل الطرح الجلدي Drainage cutané. وقد عُرفَ هذا النبات في القدم بتقطيعه للبلغم وإزالته للسميّة وتنقيته للدم.

- حشيشة الغراب، Piloselle: تقاوم هذه النبتة احتباس الماء في الجسم وتنشط الطرحين الكبدي والكليوي Drainage Hépatorénal.

<sup>1</sup> المواد السامة، وفضلات عمليات الأيض الخلوي لمختلف الأنسجة، والفائض من الماء والمواد غير المستعملة من خلايا الجسم.

<sup>2</sup> Henri Rouvière, Guillaume Valette, Physiologie du système lymphatique : Formation de la Lymphe, Circulation normale et pathologique, MASSON et CIE, 1937. 159 Pages.

<sup>3</sup> Albert Leduc, Olivier Leduc, Drainage lymphatique : Théorie et Pratique, MASSON, 2003. 66 pages.

– الخرشف الشوكي، Artichaud: يعتبر هذا النبات منشطاً لإفراز العصارة الصفراوية الهاضمة للدهون، وهو من النباتات الواقية للكبد والمنقية للدم من السموم.

– الهندباء البرية، Pissenlit: من فوائد الهندباء العلاجية مساهمتها في إدرار البول وهي مفتحة لسدد الكبد.

– بقلة الملك، Fumeterre: يستعمل هذا النبات في تنقية الدم تحفيز عمل الكبد وفي تسهيل وظيفتي الهضم وإدرار البول<sup>1</sup>.

ثالثاً، النباتات الحارقة للدهون، *Plantes brûle graisses*: تساهم هذه النباتات في نقص الوزن بتحفيز عملية تحليل الدهون Lipolyse المخزنة في النسيج الشحمي Tissu Adipeux، وتحويلها إلى طاقة بزيادة عملية إنتاج الحرارة في الجسم Thermogénèse. وأما آلية حرق الدهون فتختلف حسب المكوّن الرئيس في نباتات هذه المجموعة، ومن ثمة نجد:

– نباتات غنية بالكافيين: فكما ذكرنا في السابق بأن الكافيين تشبه في تركيبها الكيميائي مادة الأدينوزين، وهو الأمر الذي يسمح لها بالتسابق للارتباط بمستقبلات الأدينوزين (أ1) الموجودة في المشبك العصبي<sup>2</sup> Synapse، فيتمّ بذلك تنبيه الغدة النخامية<sup>3</sup> Hypophyse بإفراز هرمون الأدرينالين الذي بدوره ينشّط أنزيم الليباز الحساس للهرمون<sup>4</sup> Lipase Hormono-Sensible، ومن ثمة الحث على تحليل ثلاثيات الجليسيريد Triglycérides المخزنة في النسيج الشحمي إلى أحماض دهنية Acides Gras وجليسيرول Glycérol. فعندما تصبح الأحماض الدهنية في الدم يتوجّب حرقها (أي تحويلها إلى طاقة واستخدامها كوقود لمنع تخزينها ثانية في النسيج)، وذلك بواسطة الزيادة في عملية إنتاج الحرارة. وهذه الأخيرة تتم بفضل خاصية أخرى للكافيين والتي تتمثل في قدرتها على تنشيط عمليات الأيض التي تنتج عنها الحرارة<sup>5</sup>.

– نباتات غنية بالسينفرين: السينفرين Synéphrine قلويد يُستخلص طبيعياً من نبات البرتقال المرّ Orange amer. ولقد ثبت أنّ هذا المركّب الكيميائي يؤثّر بصفة خاصّة في النسيج الشحمي، وذلك بارتباطه بالمستقبلات السطحية للخلايا الدهنية وتحفيزه عندئذ لثلاث تأثيرات بيوكيميائية، والمتمثلة في تحليل الدهون وحرقها بالرفع من معدّل إنتاج حرارة الجسم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Thierry Janssen, La solution intérieure : Vers une nouvelle médecine du corps et de l'esprit, Edts : Fayard, 1 févr. 2006 - 384 pages.

<sup>2</sup> المشبك العصبي هو فضاء التقاء خلية عصبية مع أخرى لنقل إشارات كهربائية عن طريق مواد كيميائية تسمى النواقل العصبية Neurotransmetteurs والمتمثلة في: الأستيل كولين Acetyl-choline والأدرينالين Adrenaline والنورأدرينالين Noradrénaline.

<sup>3</sup> تقع الغدة النخامية في تجويف عظمي في جمجمة الإنسان أسفل الدماغ، وهي واحدة من الغدد المهمة جداً في الجسم حيث أنها تقوم بالعديد من الوظائف منها، إنتاج هرمونات النمو، وتنظيم نظام الغدد الصماء، وإنتاج الهرمونات التي تؤثر على وظيفة العضلات والكلية، وإنتاج الهرمونات التي تتحكم في الغدد الصماء ...

<sup>4</sup> هو الأنزيم حساس للهرمونات ويوجد في النسيج الشحمي.

<sup>5</sup> S. Bérubé-Parent, C. Pelletier, J. Doré, and A. Tremblay, Effects of encapsulated green tea and Guarana extracts containing a mixture of epigallocatechin-3-gallate and caffeine on 24 h energy expenditure and fat oxidation in men, Br. J. Nutr., vol. 94, no. 3, 2005. Pp. 432–436.

<sup>6</sup> Max Lafontan et Michel Berlan, les récepteurs adrénériques de l'adipocyte : quelles implications dans l'obésité ?, Méd. Nut., La Simarre, 2005, 41, 1 : 9-20.

– نباتات غنية باليود: مثل نبات الفوقس Fucus. يعتبر عنصر اليود في هذه النباتات هاماً في تصنيع هرمونات الغدة الدرّقية<sup>1</sup> Hormones thyroïdiennes في جسم الإنسان؛ وحيث أنه يلعب دور الوسيط الفعّال في تنشيط عملية هدم الدّهون (أو تحليل الدهون)، فهو ضروري للحفاظ على مستويات الطاقة بالمعدل الأمثل وفي عدم السماح بتراكم الدهون الزائدة<sup>2</sup>.

رابعاً. النباتات القاطعة للشهية **Plantes Coupe-Faim**: الشهية هي حالة فيزيولوجية للجسم يتمّ التحكم فيها بفعل تأثيرات ميكانيكية أو كيميائية. وأما النباتات القاطعة للشهية فميزتها الانتفاخ بامتصاص قدر كبير من الماء الموجود في المعدة، وهو الأمر الذي من شأنه تنبيه مراكز الشبع في المخ بطريقتين: الأولى بفعل امتلاء المعدة وتمدّدها (فعل ميكانيكي)، والثانية بإفراز أغشية الجهاز المعدي المعوي Parois du tractus gastrique لهرمونات الشبع مثل هرموني الكوليسيستوكينين<sup>3</sup> Cholécystokinine واللبتين<sup>4</sup> Leptine (فعل كيميائي)<sup>5</sup>.

ومن أهم الخصائص الفيزيولوجية التي تترجم الفعل العلاجي لهذه النباتات نجد:

- الشعور بالامتلاء والشبع **Rassasiants et Satiétants**.
- الزيادة في طرح الفضلات **Laxatifs**.
- تخفيض مستوى الكوليستيرول في الدم **Hypocholestérolémians** (في حالة صوم).
- تخفيض مستوى السكر في الدم **Hypoglycémians** (بعد ساعتين من الأكل).
- الزيادة في معدّل الأيض القاعدي **Métabolisme de base** (لصعوبة هضمها).

وتشير الدراسات الكيميائية بأن النباتات القاطعة للشهية تتكوّن أساساً من ألياف غير قابلة للهضم (جزيئات متعددة السكريات **Polysaccharides**) والتي نلخصها في نوعين:

- نباتات ذات ألياف منحلّة، **Plantes à fibres solubles**: الألياف في هذه النباتات قابلة للانحلال في الماء، وهي مسؤولة عن تليين الأمعاء وتخفيض مستوي الكوليسترول والسكر في الدم؛ ومن أهمها: البكتين **Pectine** (التفاح وقشور الحمضيات) والصبوغ **Gommes** (صمغ القنّة) والمواد المخاطيّة **Mucilages** (نبات لسان الحمل الكبير **Plantain**).
- نباتات ذات ألياف غير منحلّة، **Plantes à fibres insolubles**: وهي نباتات تشمل السليلوز **Cellulose** (بذور القطونا **Psyllium**) واللينين **Lignine** (الصبار **Aloès Vera**). تعمل تلك الألياف على إبطاء سرعة امتصاص السكر في الأمعاء وبالتالي

<sup>1</sup> تقع الغدة الدرّقية في الرقبة وهي المسؤولة عن إفراز هرمونات الغدة الدرّقية (الثيروكسين T4 و ثلاثي إيودو- ثيرونين T3) التي تتحكم في عمليات الأيض الجيوى لكل خلايا الجسم، بمعنى أنها تدخل في عمل كل خلية بالجسم. ومن بين أهم مهامها تنظيم درجة حرارة الجسم والتمثيل الغذائي وضربات القلب.

<sup>2</sup> J. L. Schlienger, B. Goichot, and F. Grunenberger, *lode et fonction thyroïdienne*, *La Revue de Médecine Interne*, vol. 18, no. 9, 1997. pp. 709–716.

<sup>3</sup> هرمون يفرزه المعى الدقيق.

<sup>4</sup> هرمون تفرزه الخلايا الدهنية.

<sup>5</sup> Aubert, G., M. Burnier, A. Dulloo, C. Perregaux, L. Mazzolai, F. Pralong, and A. Zanchi. **Neuroendocrine Characterization and Anorexic Effects of Telmisartan in Diet-and Glitazone-induced Weight Gain**, *Metabolism*, 2010, 59 (1): 25–32.

فهي تمنع من ارتفاع مستوى السكر في الدم وبذلك منع ارتفاع مستوى هرمون الأنسولين الذي يحث على تخزين الفائض من السكر على شكل ثلاثيات الجليسريد في النسيج الشحمي. هذا فضلا عن تليينها للأمعاء وتنظيفها من المواد السامة<sup>1</sup>.

### في علاج السمّنة

من أهم ما ورد في علاج السمّنة ما جاء على لسان ابن سينا في القانون في الطب: "ومن أنفع الأشياء لأكثر من يفرط في السمن هو استعمال الأدوية المملّطة (وهي القوية جدا في إدرار البول) والاستفراغات (الإسهال والقيء وخروج الأبخرة والعرق) فإنها تفضل في الأخلاط ثلاثة أفعال، كل فعل منها يعين على التهزيل، من ذلك ترقيق الخلط فيهم، وإبعاده عن الانعقاد، وتعريضه للتحلل، ومن ذلك أنها تدّرّ وتحرك الأخلاط إلى غير جهة العروق، ومنها أنها تفيد الدم كيفية حادة غير حبيبة إلى القوة الجاذبة...". فتدبير التهزيل هو ضد تدبير التسمين وهو تقليل الغذاء وتعقيب الحمّام والرياضة الشديدة مع تبعيد وجعله من جنس ما لا يغذو أو من جنس ما غذاؤه يابس أو حريف أو مالح مثل العدس والكوامخ<sup>2</sup> والمخلّلات... وليكن خبزهم خبز الخشكار<sup>3</sup> وخبز الشعير... وليكن طعامهم وجبة...<sup>4</sup>.

فالأدوية التي كانت تستعمل في أكثر الأحيان هي الأدوية المملّطة، الجاذبة للأخلاط إلى غير جهة العروق، فتعين على التهزيل، وهذه الأدوية بحسب قول ابن سينا: "...الجنطيانا وبزر السذاب والزراوند المدرج والفطراساليون والجعدة وللسندروس قوّة مهزّلة جدا...". كما استعملت أيضا الأدوية المليئة للطبيعة "...فإنها تصرف الغذاء عن العروق...". ومن الأدوية المنحّفة "الكركم والكمون والفلفل والشجرينا والانقرديا ودواء اللك والأتاناسيا والأمروسيا والأطرفيل الصغير". "وأما أطليتهم فيجب أن تكون إما من جنس ما يبزّد ويخدر القوة الجاذبة ويكون فيه سمية كالشوكران والبنج وإما من جنس ما يحلّل تحليلاً شديداً مثل الأدهان والمروخات القوية التحليل ويجب أن يكون استحمامهم على الريق ويكون هوائياً معرقاً لا مائياً مرطّباً وإن كان مائياً فمحللاً يدوم فيه لثلا ينتج منه الجذب المفرد دون التحليل ثم لا يبادر إلى الأكل عليه بل يصبر وينام عليه أو يتحرك ويرتاض ثم يستفرغ ثم يأكل شيئاً طفيفاً وكذلك يجب أن يكون ذلكة ذلكاً محللاً متوالياً"<sup>5</sup>.

ولعلّ مثل هذا اليقين في سرد هذه العلاجات النباتية في مرض السمّنة لا يمكنه إلا أن يوقظ في النفس شهية البحث في معرفة المزيد عن طبيعة وخواص هذه النباتات في أقوال القدماء وفي تحاليل الكيمياء النباتية الحديثة.

أولاً الجنطيانا، Gentiane: نبات عشبي، يُعرف علمياً باسم: Gentiana Lutea. استُعمل هذا النبات من قديم الزمان مقوياً وفتحاً للشهية، ذكره ابن سينا فقال: "...طبعه حار في الثالثة يابس في الثانية"<sup>6</sup>...مفتّح وفيه قبض وأصله بالغ في التفتيح

<sup>1</sup> A.Papathanasopoulos and M. Camilleri, Dietary fiber supplements: effects in obesity and metabolic syndrome and relationship to gastrointestinal functions, Gastroenterology, vol. 138, n° 1, 2010. Pp: 65–72.

<sup>2</sup> جمع كامخ: ما يؤتدم به مع الخبز ليطيّبه، ويتملّ في المخلّلات المتبّلة بالأبازير الحارة من الخردل والفلفل.

<sup>3</sup> الخبز الأسمر المعمول بالدقيق الذي لم تُنزع نخالته.

<sup>4</sup> ابن سينا، فصل في التهزيل، القانون في الطب، الجزء الثالث، ص: 305.

<sup>5</sup> ابن سينا، القانون في الطب الجزء الرابع، المقالة الرابعة: أحوال تتعلق بالبدن والأطراف

<sup>6</sup> ميّز القدماء في نظرياتهم الطبية العامة بين أربعة درجات، تتمتع بها قوى النبات الدوائية الطبيعية وهذه الدرجات هي: الدرجة الأولى: وهي الدرجة التي لا تؤثر على بدن الإنسان من حيث زيادة نبض القلب أو تنبيه الجهاز العصبي، وقد تدر البول والعرق شيئا يسيرا. والدرجة الثانية: قد تؤثر هذه الدرجة على جسم الإنسان كزيادة نبض القلب تأثيرا محسوسا لكن الجسم يبقى بحالته الطبيعية ولا يخرج عن مجراه الطبيعي كالجعدة والزنجبيل. والدرجة الثالثة: هذه الدرجة التي تخرج الجسم عن مجراه الطبيعي من حيث شدة ضربان القلب أو التنفس أو القلق والاضطراب ولا يصل في الأغلب لحالة الإغماء. والدرجة الرابعة: وهذه أشد الدرجات وقد يصيب الجسم منها خدر بالأطراف والعرق البارد وربما الوفاة (السموم بأنواعها).

والتلطيف والجلعاء...<sup>1</sup>. وقال عنه ماسرجويه: "...يدير البول إذا شُرِبَ مدقوقاً...". وأتى ذكره في كتاب [الحاوي في الطب]، أن جالينوس قال: "...إن أصل الجنطيانا كاف في القوة حيث يحتاج أن ينقي ويلطف ويجلو ويفتح السدد وليُسَ اقتداره على مثل هذا بعجيب وذلك لأنه مر بالكفاية...". وأما قول ديسقوريدس عن الجنطيانا: "...وأما قُوَّةُ أصله فمسخنة مقبضة..."<sup>2</sup>.

وتبيّن حديثاً من خلال أبحاث التحليل الكيميائي أن نبات الجنطيانا غنيّ بالمواد المرّة التي تستخدم في تنبيه الجهاز العصبي المركزي، وبالأخص في مستقبلات الذوق التي تؤدي إلى زيادة إفراز اللعاب والعصارات الهضمية، كما يحتوي هذا النبات على جلوكوزيدات مرّة وقلويدات وزيت طيارة؛ فهو يعتبر بذلك مقوً ومهظّم ومعرق ومدّر للبول وللصفراء<sup>3</sup>.

ثانياً، بزر السذاب، Rue: أو كما يسمى الفيجل، واسمه العلمي: *Ruta graveolens*. ذكره المجوسي في كتابه [كامل الصناعة الطبية] فقال: "...أجوده الأسود وهو حار يابس في الدرجة الثالثة... يسخن المعدة ويحلل الرياح منها..."<sup>4</sup>، وورد ذكره أيضاً في كتاب [الأغذية والأدوية] لإسحاق بن سليمان المعروف بالإسرائيلي حيث قال عنه: "...وأما السذاب فقوته قطاعة بلطافة مستفرغة للأخلاق الغليظة اللزجة بالبول، ومحللة للرياح والنفخ وملطفة للأثقال، ومنشفة للرطوبات..."<sup>5</sup>.

وبالمقابل أثبت التحليل الكيميائي لنبات السذاب، أنه مكون أساساً من زيوت ثابتة ذات فعالية في إدرار البول وتليين الأمعاء، ومن زيت طيار فعال في إدرار البول وتطهير الجسم من الغازات المعوية والمعدية، ومن قلويدات لها تأثير معرق، ومن فلافونيدات تقاوم السموم بفعالها المضاد للأكسدة وتنشط الدورة الدموية التي تمنع تراكم الدهون في النسيج الشحمي<sup>6</sup>.

ثالثاً، الزراوند المدحرج، *Aristolochie*: نبات عشبي، شهرته العلمية: *Aristolochia rotunda*. عُرفَ هذا النبات منذ القدم، حيث ذكره ابن سينا فقال: "... جميع أصنافه حار في الثالثة يابس في الثانية... وفي سائر الأفعال المدحرج أشد تفتيحاً وتلطيفاً... إذا شُرِبَ منه درهم مسحوقاً أسهل أخلاطاً بلغمية ومراراً ونفع المعدة..."<sup>7</sup>، وقال عنه الأنطاكي: "... وهو على الإطلاق محلل يقطع البلغم والرياح والسدد ويدير الفضلات ويحلل ورم الطحال والكبد ويفتت الحصى ويخرج الديدان..."<sup>8</sup>، وأما الغساني في كتابه [المعتمد في الأدوية المفردة]، فلقد تحدث عنه قائلاً: "... الزراوند، نبات طيب الرائحة، ينفع من الحميات ولسع العقارب، وهو نافع للأخلاط البلغمية والمرارية والنقرس..."<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> ابن سينا، القانون في الطب، في بيان الأدوية المفردة.

<sup>2</sup> محسن عقيل، معجم الأعشاب المصور، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2003. ص: 123-125.

<sup>3</sup> Sophie Lacoste, *D'ici et d'ailleurs, les plantes qui guérissent*, Editions Reperes- Santé, 2004. Pp : 107- 109.

<sup>4</sup> علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الجزء الثاني، المقالة الثانية، الباب الرابع والثلاثون في ذكر الحشائش وقواها، ص: 111.

<sup>5</sup> إسحاق بن سليمان المعروف بالإسرائيلي، كتاب الأغذية والأدوية، الجزء الثالث، تحقيق الدكتور: محمد الصباح، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992. ص: 472.

<sup>6</sup> V.Hammiche, M.Azzouz, *Les Rues: Ethnobotanique, Phytopharmacologie et Toxicité*, Phytothérapie, Février 2013, Volume11, issue 1, Springer. Pp : 22- 30.

<sup>7</sup> ابن سينا، القانون في الطب، جلد 1، القسم الثاني: الأدوية المفردة، ص: 337-339.

<sup>8</sup> داود بن عمر الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجيب، جزء 1 ص: 177.

<sup>9</sup> يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني، كتاب المعتمد في الأدوية المفردة، تقديم وتعليق مجدي محمد الشهاوي.

وتبيّن من تحليل نبات الزراوند حديثاً أنه يحوي عدّة مركبات كيميائية، أهمها: مواد صمغية ومواد عفصية تخلّص الجسم من الإفرازات الزائدة، ومواد مرّة وتثبط الالتهابات وتنشط الهضم وتخفف الكوليسترول وزيوت طيارة وقلويدات منشطة ومعرّقة<sup>1</sup>.

رابعاً. الفطراساليون، Céleri: ويسمّى أيضا بزر الكرفس الجبلي، ويُعرّف علمياً باسم: Apium Gaveolens. تحدث عنه ابن سينا في كتابه القانون، في فصل التهزيل فقال: "... الفطراساليون، هو بزر الكرفس الجبلي، ينفع الكبد والطحال وضيق النفس ويدر البول والطمث..."، وقال عنه المجوسي: "...وأما بزر الكرفس الجبلي وهو الفطراساليون فحار يابس في الدرجة الثالثة مجفّف للسّم منقّ للأعضاء الباطنة كالرحم والكبد والعروق بإدرار البول والطمث..."<sup>2</sup>.

فلقد شدّد هذا النبات انتباه علم الكيمياء وعلم العقاقير لمعرفة المكونات الفعالة في بذورها، وتبيّن من تحليلها الكيميائي أنها غنية بالفلافونيدات المضادة للأكسدة والمنقية للسموم الموجودة في البدن، كما أنها تحتوي على زيت طيار يحفّز إدرار البول والصفراء وينشط عملية الهضم بتحفيز إفراز العصارات الهاضمة؛ هذا فضلاً عن المركبات الفينولية المطهّرة والمضادة للالتهابات، والكومارينات المسكّنة للألام<sup>3</sup>.

خامساً. الجعدة، Germandrée: أو كما تدعى الشندقورة؛ وهي عشبة بريّة، مرّة الطعم، تسمى علمياً: Teucrium polium؛ تحدث ابن سينا عن ماهيتها فقال: "...نوع من الشيح فيه حرارة وحدّة يسيرة والصغيرة أحد وأمرّ..."<sup>4</sup>. وذكر المجوسي فاعليتها فقال: "...أفضل الجعدة ما كانت شامية ومزاجها حار يابس وفيه حدّة ولطافة وطعمها مرّ ولذلك تدر البول والحيض وتخرج الدود..."<sup>5</sup>. وأما لأنطاكى فقد قال عنها: "...تُعرّف بشدّة مقاومتها للسموم، والنفع من السّدّد والبرقان والحميات والحصى وعسر البول... كما تدر الفضلات وتحلّ الرياح حيث كانت..."، وأضاف التركماني في وصف فاعلية النبتة فقال: "...إن الجعدة تفتح السّدّد في جميع الأعضاء الباطنية، وتدر الطمث وتدر البول..."<sup>6</sup>.

وبيّنت الدراسات الكيميائية التي أُجريت على نبات الجعدة أنه يحتوي على قلويدات ومواد مرّة وأخرى عفصية وفلافونيدات؛ وهو بذلك يعتبر مُعزّز للهضم وطارد للغازات المعدية والمعوية ومدر للبول وللصفراء ومضاد للالتهابات وللبيكتيريا<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> François-Victor Mérat, *Dictionnaire Universel de Matière Médicale et Thérapeutique Générale*, Tome: 1, Libraires-Editeurs: J.-B BAILLIÈRE, Méquignon- Marvis, Gabon. 1829. PP: 410-416.

<sup>2</sup> علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الجزء الثاني، المقالة الثانية، الباب الخامس والثلاثون في ذكر قوى البزور والحبوب. ص: 108.

<sup>3</sup> Syed Sufiyan Fazal, Rajeev K Singla, *Review on the Pharmacognostical & Pharmacological Characterization of Apium Graveolens Linn*, Indo Global Journal of Pharmaceutical Sciences, Ed., Indo Global Journal Of Pharmaceutical Science. 2012, 2(1):36-42.

<sup>4</sup> ابن سينا، *القانون في الطب*، في الأدوية المفردة، الجملة الثانية: ألواح وقواعد في بيان الأدوية المفردة.

<sup>5</sup> جابر بن سالم القحطاني، موسوعة جابر لطب الأعشاب، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، العبيكان للنشر، 2008. ص صك 121-122.

<sup>6</sup> علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الباب الرابع والثلاثون في ذكر الحشائش وقواها. ص: 101.

<sup>7</sup> Capasso F.; Cerri R.; Morrìca P.; Senatore F. *Chemical Composition and anti inflammatory activity of an alcoholic extract of Teucrium polium*. Boll.Soc.Ital.biol.Sper., Vol.59, N°11, 1983. Pp: 1639- 1643.

كما كشفت دراسة متخصصة حديثة أن هذا النبات خافض فعال لكمية السكر في الدم<sup>1</sup>.

سادسا، السندروس، *Sandaraque*: ويسمى أيضا العرعر البربري، ويُعرّف علميا باسم: *Tetraclinis articulata*. ذكره الشيخ عبد الرزاق بن أحمدوش الجزائري في كتابه [كشف الرموز في بيان الأعشاب] فقال: "...هو من الصموغ، حار يابس في الأولى... وإذا شُرب مع الزنجبيل هزل بدنه ثلثا وزنه..."<sup>2</sup>، وأما الرازي في كتابه [الحاوي في الطب] فقال عنه: "...السندروس له قوة تهزل السمان إذا شُرب منه ثلاثة أرباع درهم في كل يوم بماء وسكنجبين أيّاما..."<sup>3</sup>. وقال الأنطاكي: "...يزيل الفضول البلغمية... والبدناء إذا أخذوه مع السكنجبين هزلوا كثيرا..."<sup>4</sup>، وأما ابن سينا في كتابه [القانون في الطب] فيقول: "...إذا شرب منه كل يوم ثلاثة أرباع درهم في ماء وسكنجبين فإنه يخف الجسم..."<sup>5</sup>.

وثبت علميا في الدراسات الحديثة أن نبات السندروس يحتوي على 95% مواد صمغية مليئة للأمعاء ومسكنة للألام، وعلى 1,3% مواد مرّة مهضّمة، وزيوت طيارة معرّفة ومطهّرة للجسم، كما أنه يحتوي على جليكوزيدات تعمل على زيادة نشاط الدورة الدموية وإدرار البول، هذا فضلا عن المواد العفصية التي تساعد الجسم على التخلص من الإفرازات الزائدة<sup>5</sup>.

سابعا، الكركم، *Curcuma*: هو الكركب، وعند ابن البيطار هو الصنف الكبير من عروق الصباغين وهي العروق الصفرة، ونباتها يسمى بقلّة الخطاطيف؛ وأما علميا فالكركم يدعى: *Curcuma Longa*. ذكره عبد الرزاق بن أحمدوش فقال عنه: "...حار يابس في الثانية ينفع من وجع المعدة والأمعاء..."<sup>6</sup>، وتحديث عنه جالينوس فقال: "...قوته قوة تجلو جلاء شديدا وتسخّن..."<sup>7</sup>، وأما الترمكاني فقال عنه: "...وهو حارّ في الثانية يابس في الأولى فيه قبض وتحليل وإنضاج... وقوته مسخنة، مليئة قابضة، مدرّة للبول..."<sup>6</sup>. وفي الشرح المغني جاء ذكر الكركم كما يلي: "...والكركم حار في الثانية يابس في الأولى مفتّح لسدد الكبد والعروق لما فيه من المرارة محلّل قابض منضّج... يقوي القلب ويدر البول..."<sup>7</sup>.

ويشير التحليل الكيميائي الحديث لنبات الكركم أنه مكوّن أساسا من زيوت طيارة (من 14 إلى 42%) تنشّط إفراز السائل المراري الذي يحفّز بدوره هضم الدهون في الجسم والتقليل من نسبة الكوليسترول في الدم. كما ثبت أن لزيت الكركومين-الذي يعتبر أهم الزيوت الطيارة في نبات الكركم- فعالية مضادة للالتهابات وذلك بخفض مستوى الهستامين Histamine في الدم، وأخرى مضادة للأكسدة بالقضاء على الجذور الحرّة التي يزداد إنتاجها في الجسم بزيادة فعالية الأكسدة الفائقة للشحوم الغذائية<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> Afifa, F.U. ; Al-Khalidi B. ; Khalil E. Studies on the in vivo hypoglycemic activities of two medicinal plants used in the treatment of diabetes in Jordanian traditional medicine following intranasal administration, Journal of Ethnopharmacology, 100, 2005. Pp: 314- 318.

<sup>2</sup> عبد الرزاق بن أحمدوش الجزائري، كشف الرموز في بيان الأعشاب.

<sup>3</sup> أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الحاوي في الطب، الجزء الثاني.

<sup>4</sup> جابر بن سالم الفحطاني، موسوعة جابر لطب الأعشاب، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، العبيكان للنشر، 2008. ص ص: 291- 293.

<sup>5</sup> Brahim Bourkhiss., Mohammed Ouhssine et autres, **Composition chimique et bioactivité de l'huile essentielle des rameaux de Tetraclinis Articulata**. Bull. Soc. Pharm. Bordeaux, 2007, 146, 75-84.

<sup>6</sup> الغساني الترمكاني، المعتمد في الأدوية المفردة، تقديم وتعليق مجدي محمد الشهاوي

<sup>7</sup> سعيد كازروني، الشرح المغني المعروف بالسديدي، في شرح الموجز في الكليات الطبية والعلمية والعملية والأدوية والأغذية المفردة والمركبة والأمراض المختصة وغير المختصة وعلامتهما وأسبابهما ومعالجاتهما، 1832م.

<sup>8</sup> M.Karam., Shahab-uddin., Afzel Ahmed., M.Saif, **Curcuma Longa and Curcumin**, a Review Article, 2010.

ومن أهم المركبات الأخرى التي يحتويها هذا النبات نجد الفلافونيدات الواقية للكبد والفينولات المطهرة والمضادة للأكسدة وللتهاب والمواد الصمغية المضادة للإمساك المعوي<sup>1</sup>.

ثامنا. الكمون، *Cumin*: ويدعى أيضا السنوت أو الزيرة أو الباسليقون، واسمه العلمي: *Cuminum Cyminum*. عزفه بن أحمدوش الجزائري فقال: "...هو المعروف عندنا بالكمون، حار يابس في الثالثة ويقال له الباسليقون، يحلل القولنج والرياح ويطردها..."، وأما الغساني التركماني فقال عنه: "... وقوة الكمون مسخنة قابضة مجففة... وشأنه إدرار البول، وطرده الرياح، وإذهاب النفخ..."<sup>2</sup>، وقال الأنطاكي: "...هو السنوت وبالفارسية زيرة... يحلل الرياح مطلقا ويطرد الدود ويحلل الأورام ويدفع السموم وسوء الهضم والتخم وعسر النفس والمغص الشديد شربا بالماء والخل..."<sup>3</sup>.

وأظهرت نتائج التشخيص الكيميائي الابتدائي احتواء نبات الكمون على عدة مكونات فعالة أهمها الزيوت الطيارة المحفزة لتكوين العصارة الهاضمة والمنشطة لعملية الهضم، والمزيلة لمغص البطن بإزالة الغازات المعدية والمعوية؛ كما بيتت وجود الفلافونيدات والتانينات والمواد الصمغية<sup>4</sup>.

ومن أشهر الحالات التي اعترف فيها الطب الحديث بعلاج الكمون لها، نجد حالات المغص وسوء الهضم وانتفاخ المعدة وكثرة الطمث والديدان المعوية وحالات التشنج العصبي؛ فلقد تم تأكيد تأثيراته المهضمة والمعركة والمحللة لغازات البطن والمثبثة لنمو عدة أنواع من الميكروبات<sup>5</sup>.

تاسعا. الفلفل، *Poivre*: اسمه العلمي: *Piper Aromaticum*، تحدث عنه الأنطاكي في تذكرته فقال: "...وهو أبيض وأسود والأبيض أصلح في الاستعمال وكلاهما إما بستاني أو بري وثمرته عناقيد كالعنب..."<sup>6</sup>. وذكره بن أحمدوش فقال: "...حار في الرابعة ومنه أبيض وهو الفج والتضج هو الأسود... وكلاهما نافع لقلع البلغم اللزج... والفلفل يسخن العصب والعضلات ولا يواريه غيره في التسخين... وبالجملة فهو حريف يقطع البلغم ويطرد الرياح ويفتح السدد اللزج ويدر البول ومهزل البطن..."<sup>7</sup>.

وأوضحت نتائج الكشف الكيميائي لنبات الفلفل أنه مركب أساسا من مواد صمغية وزيوت طيارة وقلويدات؛ كما ثبت فيزيولوجيا أن هذا النبات مهضم ومزيل لانتفاخ البطن وهو مدر للبول ومقاوم للسموم ومهزل بتنشيطه للعصارة الهاضمة للدهون<sup>8</sup>.

عاشرا. الشجرينا: وهو دواء مركب من عدة أدوية مفردة، جاء ذكره في كتاب [كامل الصناعة الطبية] للمجوسي حيث قال في صفة معجون الشجرينا (ومعناه: كثير المنافع): "...هو النافع من أوجاع المعدة وسوء الهضم ووجع القولنج وعسر البول

<sup>1</sup> Soni Himesh., Patel Sita Sharan., Mishrak, Qualitative and Quantitative profile of Curcumin from methanolic extract of Curcuma Longa, IRJP.2 (4), 2011. Pp: 180- 184.

<sup>2</sup> يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني، كتاب المعتمد في الأدوية المفردة، تقديم وتعليق مجدي محمد الشهاوي.

<sup>3</sup> أحمد توفيق حجازي، موسوعة الطب الشعبي والتداوي بالنباتات والأعشاب، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر. ص: 118

<sup>4</sup> Gachkar L., Yadegari D., Rezaen M.B., Taghizadeh M., Astaneh S.A., Rasooli I, **Chemical and Biological characteristics of Cuminum Cyminum and Rosmarinus Officinalis essential oils**, Food Chemistry, Vol :102. Pp: 898-904, 2007.

<sup>5</sup> Larousse, **Encyclopédie des Plantes Médicinales: Identifications, Préparations, Soins**, traduction LAROUSSE, 2001. P : 196.

<sup>6</sup> معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي، مطبعة لجنة البيان العربي، 1965. ص: 119.

<sup>7</sup> عبد الرزاق بن أحمدوش الجزائري، كشف الرموز في بيان الأعشاب.

<sup>8</sup> Delaveau P.G, **Expliquez-moi les épices**, paris : Pharma-thèmes, 2006. Pp : 254 -255.

والأمراض البلغمية والرياح الغليظة وهو سبب لصحة البدن من علل كثيرة...<sup>1</sup>. وكان قول ابن سينا في هذا النبات: "... إن هذا الدواء مجرب نافع من جميع الأمراض الباردة والرياح الغليظة، ووجع الأسنان وتأكلها، ومن برد المعدة وبطء الاستمراء والقولنج وعسر البول، من البرد، والبلغم ومخاطية البول، وأخلاطه: يؤخذ جندبادستر وأفيون ودارصيني وفو ومر ودوقو من كل واحد درهم، فلفل ودار فلفل وقنة وقسط من كل واحد ستة دراهم، زعفران نصف درهم، يذاب ما يذوب بماء العسل، وتدق اليابسة، وتحل القنة مع العسل، وتعجن وتستعمل بعد ستة أشهر..."<sup>2</sup>.

- الجندبادستر: مفردة فارسية، يعرفها ابن البيطار بقوله: "...قال ديسقوريدس في الثالثة: قاسطر، وهو حيوان يصلح أن يحيا في الماء وخارجه، وأكثره يكون في الماء ويغتذي فيه بالسّمك والسرّاطين". وفي قراءة جديدة وتحقيق لصفحات من كتاب [التصريف لمن عجز عن التأليف] لأبي القاسم الزهراوي، جاء فيها أن الجندبادستر Castoreum هي خصية حيوان بحري يعيش في البر والبحر يسمى كلية الماء أو المسمور أو القندس؛ حيث ثبت حديثا أنه يتم استخراج مادة شحمية من الخصية، مزاجها حارّ يابس في الثالثة (حسب ابن البيطار) وهي غنيّة بحمض الأستيل سالسليك المطهر والمقاوم للسموم والمضاد للالتهابات وللأكسدة<sup>3</sup>.

- الأفيون، opium، وهو مادة مخدّرة، تستخرج من نبات الخشخاش، وتحتوي على كمية كبيرة من القلويدات ذات التأثير الفيزيولوجي المعرّك والمدر للبول والمسكن للألام.

- دار صيني، Cannelle de Ceylan: وهي شجرة الصين، استعمل لحاء أغصانها وجذوعها منذ القديم، والقرفة هي القشور المصنوعة من لحاء أغصانها؛ ومن أشهر أنواعها Cinnamomum zeylanicum. ذكر الرازي هذا النبات في كتابه [منافع الأغذية ودفع مضارها] فقال: "...الدار صيني وقرفته: وهو يسخن ويلطف الأغذية الغليظة ويعدها للهضم وينفع أكثر أوجاع المعدة العسرة الباردة ولذلك ينبغي أن يكثر منه في طعام المبرودين..."، وقال عنه الإسرائيلي: "...وقوة الدار صيني في الجملة في غاية اللطافة... وكذلك صار مطيباً للمعدة ومقوّياً لها ومنشّفاً لرطوبتها ومفتّحاً لسددها ومدراً للبول..."<sup>4</sup>.

هذا وأشارت نتائج دراسة حديثة إلى أن القرفة تساعد على رفع معدل التمثيل الغذائي داخل الجسم، الأمر الذي يعمل على زيادة استهلاك الجلوكوز بنسبة 20%. كما بيّنت الدراسة أن تناول 6 جرام من القرفة في اليوم يؤدي إلى إبطاء إفراغ المعدة من محتوياتها الغذائية وكذا دفعها إلى الأمعاء الدقيقة، مما يسهم في عدم امتصاص الأمعاء لكل السكريات الموجودة في الأطعمة وهو ما يخفف كثيراً من ارتفاع السكر في الدم بعد الوجبات. ولقد أوضحت هذه الدراسة أيضاً أن القرفة فعالة في تخفيض مستوى الكوليسترول في الدم، وأنها من التوابل الغنية بالفينولات التي تساعد على الوقاية من الإصابة بأنواع السرطان، والسكتات الدماغية، وأمراض القلب والأوعية الدموية، فضلاً عن فعاليتها المضادة للالتهابات وللأكسدة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الجزء الثاني، المقالة العاشرة: في الأدوية المركبة، الباب السابع: في عمل ترياق الأربعة والأدوية وسائر المعجونات. ص: 535-536.

<sup>2</sup> ابن سينا، القانون في الطب، الكتاب الخامس، في الأدوية المركبة والأقرباديين، المقالة الأولى: الترياقات والمعاجين الكبار.

<sup>3</sup> Lucienne Strivay, *Le médicament, la fourrure et le bâti : Le Castor et ses modes d'existence* Culture, le magazine culturel en ligne de l'Université de Liège: [http://culture.ulg.ac.be/jcms/prod\\_388696/fr](http://culture.ulg.ac.be/jcms/prod_388696/fr), Pp : 1-12.

<sup>4</sup> الإسرائيلي، الأغذية والأدوية. ص: 485.

<sup>5</sup> Vijaya Anand., Varalakshmi., Prasana., Sampath Kumar., Pushpa., and Agaath Hedina *Cinnamomum zeylanicum* Linn. *The spice with multi potential*. Systematic Reviews in Pharmacy, 2016;7(1):24-29.

- الفو، Valériane: وهو السنبل الديسقوريدوسي، واسمه العلمي Valeriana Dioscoridis؛ ورد ذكره في كتاب [كشف الرموز في بيان الأعشاب] لابن أحمدوش الجزائري حيث قال: "...هو السنبل الأزرق وهو السنبل البري حار يابس في الأولى يدر البول..."، وأما ديسقوريدوس فقال عنه: "...قوة أصله مسخنة، مدرة للبول إذا شرب يابساً..."<sup>1</sup>.

وثبت حديثاً من خلال دراسات التحليل الكيميائي أن نبات الفو مركّب أساساً من زيوت طيارة وقلويدات، وأنه يستعمل عامّة في علاج التشنجات وأمراض الأعصاب بصفة عامة وكمضاد قويّ للفطريات بصفة خاصّة<sup>2</sup>.

- المرّ، Myrrhe: اسمه العلمي Commiphora Myrrha، وصفه ابن أحمدوش الجزائري قائلاً: "...المرّ من الصمغ قريب من مرارة الصبر، حار يابس في الثانية..."، وذكره ابن سينا فقال: "...هو صمغ طيب الرائحة محلل للرياح ويمنع التعفن... يخرج الديدان، يُشرب لقروح الأمعاء والإسهال، مقوي للمعدة..."<sup>3</sup>.

وتبيّن من تحليله الكيميائي أنه يحتوي على زيوت طيارة (2-8%) ومواد راتنجية (25-40%) وصمغ (57-67%) ومواد مرّة؛ وثبت أن هذه العناصر التركيبية تعدّ فعالة في تقوية المعدة وتنشيط الهضم وطرده الغازات المعدية والمعوية وتطهير الجسم من الجراثيم<sup>3</sup>.

- الدوقو، Graine de carotte: هو بزر الجزر البري، واسمه العلمي Daucus carota. تحدث عنه المجوسي في كتابه [كامل الصناعة الطبية] فقال: "...الدوقو، وهو بزر الجزر البري، حار يابس في الدرجة الثانية، يدر البول والطمث وينقي الكبد والعروق ويفتّح السدد وينقي الصدر والفضل البلغمي..."<sup>4</sup>.

وأوضحت دراسة كيميائية تركيبيّة أن بزر الجزر تحوي نسبة عالية من متعددة السكريات، والتي أهمها مادة البكتين التي تنتفخ وتتمدّد في المعدة محتلة مساحة واسعة وهذا ما يثير إحساس الشبع حتى ولو تناول الشخص كميات قليلة من الطعام. كما تبين أنه يمكن استخلاص زيت طيار من بذور هذا النبات والذي يعتبر فعالاً في الحدّ من ارتفاع نسبة الكوليسترول الضار في الدم<sup>5</sup>.

وإجمالاً فلقد ثبت أن تناول بذور الجزر، يحسّن من عمل الجهاز الهضمي وينشّط وظائف الكبد ويزيل نفخة البطن ويذر البول ويطرده الغازات ويوقّف الإسهال ويزيل حموضة المعدة ويطهر الجهاز الهضمي من الفطريات والبكتيريا والسموم المتراكمة<sup>6</sup>.

- دار فلفل، Poivre long: اسمه العلمي Chavica officinarum. شرح الغساني ماهية هذا النبات في كتابه [حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار] فقال: "...هو ثمر الفلفل أول طلوعه قبل إنضاجه، فإذا زاد وعظم ونضج صار فلفلاً... وهو حار في الثالثة يابس في الثانية..." ثم استطرده إلى ذكر منافعه قائلاً: "...وهو نافع من أمراض الكبد والطحال، محلّل مزيل للأورام

<sup>1</sup> محسن عقيل، معجم الأعشاب المصنوع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، لبنان، 2003. ص: 405-406.

<sup>2</sup> Tzakou O, Couladis M, Pavlovic M, Soković M. Composition and antifungal activity of the oil from aerial parts and rhizomes of Valeriana Dioscoridis from Greece. J Essent Oil Res. 2004; 16(5):500-3.

<sup>3</sup> E.S.H. El Ashry., N.Rashed., O.M Salama., A.Saleh, Components, Therapeutic Value and Uses of Myrrh, Pharmazie Review, 58: 163- 163, 2003.

<sup>4</sup> علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الجزء الثاني، المقالة الثانية، الباب الخامس والثلاثون في ذكر قوى البزور والحبوب. ص: 108.

<sup>5</sup> Mehmet Musa Özcan., Jean Claude Chalchat, Chemical composition of carrot seeds (Daucus carota) cultivated in Turkey: characterization of the seed oil and essential oil, Grasa Y Aceites, 58 (4), Octubre-Diciembre, 2007. Pp: 359-365.

<sup>6</sup> Larousse, Encyclopédie des Plantes Médicinales: Identifications, Préparations, Soins, traduction LAROUSSE, 2001. P : 200.

الباردة، هاضم للطعام، مقو للمعدة...<sup>1</sup>. وأما ابن البيطار فقال عنه: "...والدار فلفل يحل غلظ الرياح النافخة ويدفع ما على المعدة إلى أسفل ويعين على الهضم وهو من أنفع الأشياء للمعدة الباردة، وهو يسخن العصب والعضل تسخيناً لا يوازيه غيره فيه، وينفع من الأوجاع الباردة والتشنج منفعه بالغة عظيمة..."<sup>2</sup>.

ولقد تبين من خلال التحليل الكيميائي لنبات دار الفلفل أنه يحوي عدّة مكونات فعالة أهمها: قلويد البييرين المضاد للالتهابات والمثبّط لنمو الميكروبات والمحفّز للامتصاص المعوي لعدة مكونات حيوية في الجسم مثل الفيتامينات والأملاح المعدنية والأدوية والفينولات؛ كما وُجدَ زيت طيار ذا تأثيرات منسّطة ومطهّرة للجهازين الدوري الدموي والهضمي في الجسم.<sup>3</sup>

- القنّة، *Férule Gommeuse* (Galbanum): هو البارزد أو القناوشق، وباللاتينية يدعى: *Ferula galbaniflua*. ذكره ابن سينا في القانون فقال: "...القنّة هو البارزد، وهو صمغ... وهو حار في الثالثة يابس في الثانية..."، وقال الغساني: "...قوّته مليّنة محلّلة مسخّنة جاذبة...". وأما الأنطاكي فقال عنه: "...هو القناوشق وهو نبات شجري تسيل من جذعه عصارة صمغية كرهية الرائحة، حرّيفة الطعم، وهي منبهة ومضادة للتشنج ومنقّثة..."<sup>4</sup>.

وأظهرت نتائج التحليل الكيميائي لنبات القنّة أنه مركّب أساساً من المواد الراتنجية بنسبة تتراوح ما بين 40 إلى 60%، وصمغ بنسبة 20% وزيت طيار.<sup>5</sup> وفيما يخص التأثيرات الفيزيولوجية فبيّنت الدراسات الحديثة أن هذا النبات يعتبر طاردا للغازات المعدية والمعوية، ومنسّطاً لعملية الهضم، ومضاداً للتشنجات العضلية وللتهابات ومنقّثاً ومدراً للطمث.<sup>6</sup>

- القسط، *Costus*: ويعرف علمياً باسم: *Amomum Hirsutum*. تحدّث الأنطاكي عن ماهيته فقال: "...قيل شجر كالعود، وقيل نجم لا يرتفع (النجم هو النبات الصغير)... والقسط من العقاقير النفيسة، يقطعّ التشنج ويفتّت الحصى..."، وأما الغساني فقال: "...القسط مرّ المذاق، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة، منشّف للبلغم..."<sup>7</sup>.

ويحتوي القسط كيميائياً على مواد جوهريّة فعالة أهمها: السابونينات والجليكوزيدات؛ وهذه المركبات تفيد في إدرار البول وتحفيز نفث البلغم وتقوية القلب وتنشيط الدورة الدموية.<sup>7</sup>

- الزعفران، *Safran*: نبات عشبي استُخدمَ منذ أزمان بعيدة، واسمه العلمي: *Crocus Sativus*. يقول الغساني في ماهيته: "...من أسمائه الجادّي والجاد والرهقان... وهو من الإسخان في الدرجة الثانية ومن التجفيف في الدرجة الأولى، ينضح بعض إنضاج، ويقبض وهو مصلح للعفونة، وقوته مسخّنة مليّنة، قابضة مدرة للبول..."<sup>8</sup>. وذكره الأنطاكي في تذكرته فقال: "...كلمة

<sup>1</sup> أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق محمد العربي الخطّابي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، 1990، ص: 92.

<sup>2</sup> ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية*، الجزء الثاني، ص: 26.

<sup>3</sup> *Chemical and pharmaceutical Bulletin*, vol 53 (2005), No7832.

<sup>4</sup> رمزي مفتاح، إحياء التذكّرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية، كلية الطب، قصر العيني، الطبعة الأولى، 1953، ص: 523..

<sup>5</sup> نجاة سنوسي محمد أبو جبل، دراسات جديدة على نبات القنّة الذي ينمو في المملكة العربية السعودية، المؤتمر الكيميائي الدولي الأول المصري (من 11 إلى 14 سبتمبر 2006)، جامعة الملك عبد العزيز، 2008.

<sup>6</sup> Alessandra Moro Buronzo, *Grand guide des huiles essentielles : Santé, Beauté et Bien être*, Hachette pratique, 2008.

<sup>7</sup> Specht, C. D. & D. W. Stevenson. A new phylogeny-based generic classification of Costaceae (Zingiberales). (*Taxon*), 2006 55:153-163.

<sup>8</sup> يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني، المعتمد في الأدوية المفردة، تقديم وتعليق مجدي محمد الشهاوي.

زعفران عبرانية معناها الأصفر، وهو منبّه للمعدة عطري، مضاد للتشنج، مدر للطمث...<sup>1</sup>. وقال ابن سينا في القانون: "...الزعفران معروف مشهور، حار يابس، وهو قابض محلّل منضج لما فيه من قبض مغر، وحرارته معتدلة وهو مفتّح..."، وقال جالينوس: "...وحرارته أقوى من قبضه، ودهنه مسخّن..."، وقال الخوزي: "...إنه لا يغيّر خلطا البتة، بل يحفظها على اليبوسة، ويصلح العفونة ويقوّي الأحشاء..."<sup>2</sup>.

وفي الدراسات الحديثة قام الباحثون المختصّون بعزل مركبين كيميائيين أساسيين في نبات الزعفران وهما الجليكوزيدات المرّة وزيت طيار. وثبت أنّ للنبات دورا فعالا في إدرار السوائل البيولوجية للجسم كالعرق والبول وبخاصّة الطمث، وفي تنشيط القلب وتقوية الأعصاب.<sup>3</sup>

وأما فيما يخص الأدوية المنخّفة الأخرى التي ذكرها ابن سينا كالأنقرديا ودواء اللك والأتاناسيا والأمروسيا والأطرفيل الصغير، فكّلها أدوية مركّبة تنفع من برودة المعدة ورطوبتها ومن سوء الهضم وبطء الاستمراء والقولنج والبلغم والرياح الغليظة، وهي إجمالا أدوية مسهّلة وهاضمة ومدرة للبول ومقوية للمعدة ومفتّحة للسدد.<sup>4</sup>

خاتمة:

تأسيساً على ما سبق ذكره من أقوال الأطباء الأفاضل الأوائل يتّضح أن كثرة الأغذية تُؤلّد كثرة الأخلاط في الجسد، وأن المرض قد يكون نتيجة الزيادة أو النقصان في مقدار عنصر أو مجموعة من العناصر من هذه الأخلاط؛ وأما صورة المزاج فهي صورة العنصر الغالب على العناصر الأخرى. فإن حصلت الفضلة في الخلط البلغمي- بالإفراط في تناول الأغذية الباردة والرطوبة<sup>5</sup>- ينحرف المزاج عن حدّ الاعتدال، وتُعقّد بُرودته مائيّة الدم ودسميته فتصوّرهُ بصورة الشحم والسمن. ولذلك أوّلوا مبدأ استفراغ المواد الفاسدة اهتماما خاصا واعتبروه أولى مراحل العلاج التي تقتضي وصف المسهلات والمليينات والمقيئات والمعرقات لتطهير الجسم من الأخلاط الزائدة وبذلك تصحيح اختلال التوازن واستئصال الأمراض في بدايتها. ولأنهم اعتبروا مزاج السمنة باردا رطبا (مزاج بلغمي)، اضطروا المريض الاحتماء من كلّ غذاء يوّلّد البلغم، واتّجهوا للعلاج بالاستفراغات باستعمال النباتات الحارة اليابسة، التي من شأنها رفع درجة حرارة الجسم وتقطيع الفضلات البلغمية (التي أسموها الرطوبات) وتحريكها إلى غير جهة العروق (أي تجفيفها)، وهو الأمر الذي تمّ تحقيقه في الدراسات الحديثة.

وإذا رجعنا إلى مجمل أقوالهم عن النباتات الفاعلة في التّهزيل، فسناها ترمي في الأعمّ الأغلب إلى الأفعال الجوهرية التالية:

- التّسهيل: الذي من شأنه تحريك الفضول من العروق وباقي الأعضاء أو بعضها إلى جهة الأمعاء ليخرج برازا.
- الإدرار: والذي من شأنه تحريك الرطوبات إلى مجاري البول فيُدفع بولا.
- التّعريق: وهو فعل تحريك الرطوبات إلى خارج البدن من مسام الجلد.
- الهضم: هو الذي يجعل الغذاء مستعدّا لأن يصير جُزءً عُضوً وفي المقابل يبرئ الخلط للاندفاع.
- التّقطيع: وهو الفعل الذي يقسم الخلط اللّزج المتشبّب بالعضو إلى أجزاء ويفرق بين سطحه ووسطه العضو.

<sup>1</sup> رمزي مفتاح، إحياء التذكّرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية، كلية الطب، قصر العيني، الطبعة الأولى، 1953. ص: 335.

<sup>2</sup> ابن سينا، القانون في الطب، الكتاب الأول: الأمور الكلية في علم الطب، القسم الثاني: الأدوية المفردة على ترتيب جيّد. ص: 331-332.

<sup>3</sup> Hasegawa JH., Kurumboor & Nair SC, **Saffron chemoprevention in biology and medicine: areview**, Cancer Biotherapy, 1995, 10(4), PMID. P: 1.

<sup>4</sup> ابن سينا، القانون في الطب، الكتاب الخامس، في الأدوية المركّبة إقرباذين، الجملة الأولى في المركّبات المرتبة في القرباذينات.

<sup>5</sup> الأغذية الغنية بالماء.

- التفتيح: والذي من شأنه إخراج المادة السادة عن المجرى إلى الخارج.
- التحليل: هو الذي يهئ الخلط للتبخّر.
- الجلي: بفضلته يتم تجريد الرطوبة اللزجة عن مسام العضو.
- الإنضاج: يعدّل قوام الخلط ويهيئّه للدفع.
- التلطيف: وهو الفعل الذي من شأنه تليين قوام الخلط.
- التّجفيف: وهو ما يفني الرطوبة بتلطيفه وتحليله.
- التقوية: هو الدواء الذي من شأنه أن يعدل قوام العضو ومزاجه حتى يمتنع من قبول الفضول المنصبة إليه والآفات إما لخاصية فيه وإما لاعتدال مزاجه فيبرد ما هو أسخن ويسخن ما هو أبرد.

#### قائمة المراجع:

- 1- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، الجزء الثاني.
- 2- ابن القيم الجوزية، الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد)، دار الهلال، بيروت، الجزء 1.
- 3- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد المجلد الرابع، فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في معالجة المرضى بترك إعطائهم ما يكرهونه من الطعام والشراب وأنهم لا يكرهون على تناولهما.
- 4- ابن النفيس، الموجز في الطب، الجزء الثاني من أجزاء الجزء النظري في أطوال بدن الإنسان.
- 5- ابن النفيس، شرح تشریح القانون لابن سينا، الجزء الأول.
- 6- ابن رشد، الكليات في الطب، تحقيق خ.م فورنياس، ك. الباريت دي موراليس، مدريد، إسبانيا، 1987.
- 7- ابن رشد، تلخيص المزاج لجالينوس، ضمن رسائل ابن رشد الطبية.
- 8- ابن رشد، شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا، الجزء 1.
- 9- ابن سينا، القانون في الطب الجزء الرابع، المقالة الرابعة: أحوال تتعلق بالبدن والأطراف
- 10- ابن سينا، القانون في الطب، الكتاب الأول: الأمور الكلية في علم الطب، القسم الثاني: الأدوية المفردة على ترتيب جيّد.
- 11- ابن سينا، القانون في الطب، الكتاب الخامس، في الأدوية المركبة والأقرباديين، المقالة الأولى: الترياقات والمعاجين الكبار.
- 12- ابن سينا، القانون في الطب، فصل في التهزيل، الجزء الثالث.
- 13- ابن سينا، القانون في الطب، فصل في عيوب السمن المفرط.
- 14- ابن سينا، القانون في الطب، في بيان الأدوية المفردة.
- 15- ابن سينا، القانون في الطب، مجلد 1، القسم الثاني: الأدوية المفردة.
- 16- أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق محمد العربي الخطّابي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي.
- 17- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الحاوي في الطب، الجزء الثاني.

- 18- أحمد توفيق حجازي، موسوعة الطب الشعبي والتداوي بالنباتات والأعشاب، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- 19- إسحاق بن سليمان المعروف بالإسرائيلي، كتاب الأغذية والأدوية، الجزء الثالث، تحقيق الدكتور: محمد الصباح، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- 20- الإسرائيلي، الأغذية والأدوية.
- 21- الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق وشرح وتعليق أحمد رفعت البدرائي، الطب النبوي، دار إحياء العلوم، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1410 هـ الموافق ل: 1990 م.
- 22- الغساني التركماني، المعتمد في الأدوية المفردة، تقديم وتعليق مجدي محمد الشهاوي.
- 23- تشارلز برينر، استهداف أحد جينات تراكم الدهون، مجلة ناتور (Nature)، الطبعة العربية، تطبع المجلة بدعم من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (Macmillan Publishers Limited)، جوان 2014.
- 24- جابر بن سالم القحطاني، موسوعة جابر لطب الأعشاب، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، العبيكان للنشر، 2008.
- 25- داود بن عمر الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجائب، جزء 1.
- 26- رمزي مفتاح، إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية، كلية الطب، قصر العيني، الطبعة الأولى، 1953.
- 27- سيدد كازروني، الشرح المغني المعروف بالسديدي، في شرح الموجز في الكليات الطبية والعلمية والعملية والأدوية والأغذية المفردة والمركبة والأمراض المختصة وغير المختصة وعلامتهما وأسبابهما ومعالجاتهما، 1832 م.
- 28- سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح المقاصد، الجلد الثالث.
- 29- سعد كمال طه، السمنة، كتب عربية، 2006.
- 30- شحاته الفنواني، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، دار أوراق شرقية، الطبعة الثانية، بيروت، 1996.
- 31- عبد الرحمان ابن خلدون، أثر الجوع في صلاح البشر وأخلاقهم، مقدمة ابن خلدون.
- 32- عبد الرزاق بن أحمدوش الجزائري، كشف الرموز في بيان الأعشاب.
- 33- علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الباب الرابع والثلاثون في ذكر الحشائش وقواها.
- 34- علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الجزء الثاني، المقالة الثانية، الباب الرابع والثلاثون في ذكر الحشائش وقواها.
- 35- علي ابن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، الجزء الثاني، المقالة العاشرة: في الأدوية المركبة، الباب السابع: في عمل ترياق الأربعة والأدوية وسائر المعجونات.
- 36- محسن عقيل، معجم الأعشاب المصور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، لبنان، 2003.

- 37- محمد الحسيني الشيرازي، مبادئ الطب، في شرح الموجز في الطب لابن النفيس، الفصل الأول: الأمزجة والأعضاء والقوى.
- 38- محمد الرازي فخر الدين، الفراسة: دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح، 606هـ. تحقيق وتعليق مصطفى عاشور، مكتبة القران للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.
- 39- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الجزء الحادي والستون.
- 40- مجموعة من المؤلفات: القانون في الطب (الكتاب الأول: الأمور الكلية في علم الطب) لابن سينا، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وصفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي للأستاذ الدكتور عبد الكريم شحادة، ومنشورات منظمة الصحة العالمية 2005، وروائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين للدكتور إسلام المازني.
- 41- معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي، مطبعة لجنة البيان العربي، 1965.
- 42- نجاة سنوسي محمد أبو جبل، دراسات جديدة على نبات القنّة الذي ينمو في المملكة العربية السعودية، المؤتمر الكيميائي الدولي الأول المصري (من 11 إلى 14 سبتمبر 2006)، جامعة الملك عبد العزيز، 2008.
- 43- يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني، المعتمد في الأدوية المفردة، تقديم وتعليق مجدي محمد الشهاوي.
- 44- يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني، كتاب المعتمد في الأدوية المفردة، تقديم وتعليق مجدي محمد الشهاوي.

## المراجع الأجنبية

- 1- Afifa, F.U. ; Al-Khalidi B. ; Khalil E. **Studies on the in vivo hypoglycemic activities of two medicinal plants used in the treatment of diabetes in Jordanian traditional medicine following intranasal administration**, Journal of Ethnopharmacology, 100, 2005.
- 2- Albert Leduc, Olivier Leduc, **Drainage lymphatique : Théorie et Pratique**, MASSON, 2003.
- 3- Alessandra Moro Buronzo, **Grand guide des huiles essentielles : Santé, Beauté et Bien être**, Hachette pratique, 2008.
- 4- Amélie Machut, **Régimes amaigrissants : place de la phytothérapie et du conseil officinal : étude de 3 plantes en particulier**. Sciences pharmaceutiques, 2013.
- 5- Aubert, G., M. Burnier, A. Dulloo, C. Perregaux, L. Mazzolai, F. Pralong, and A. Zanchi. **Neuroendocrine Characterization and Anorexigenic Effects of Telmisartan in Diet-and Glitazone-induced Weight Gain**, Metabolism, 2010.
- 6- Brahim Bourkhis., Mohammed Ouhsine et autres, **Composition chimique et bioactivité de l'huile essentielle des rameaux de Tetraclinis Articulata**. Bull. Soc. Pharm. Bordeaux, 2007.

- 7- Capasso F.; Cerri R.; Morrica P.; Senatore F. **Chemical Composition and anti inflammatory activity of an alcoholic extract of Teucrium polium**. Boll.Soc.Ital.biol.Sper., Vol.59, N°11, 1983.
- 8- Carip Cristian, Louet Cristian, **Régulations et adaptations physiologiques**, Physiologie- Le manuel (2<sup>ème</sup> Ed.), Coll. Réussir son BTS Diététique, 6, chapitre : 12, Lavoisier, 2015.
- 9- **Chemical and pharmaceutical Bulletin**, vol 53 (2005), No7832.
- 10- Consultation OMS/FAO d'experts. **Régime alimentaire, nutrition et prévention des maladies chroniques**. Série de Rapports techniques 916. Genève: OMS, 2003.
- 11- Dawson.W, **Archeology**, Journal of Egypt. Vol. 20, 1943.
- 12- Delaveau P.G, **Expliquez-moi les épices**, paris : Pharma-thèmes, 2006.
- 13- E.S.H. El Ashry., N.Rashed., O.M Salama., A.Saleh, **Components, Therapeutic Value and Uses of Myrrh**, Pharmazie Review, 58: 2003.
- 14- François-Victor Mérat, **Dictionnaire Universel de Matière Médicale et Thérapeutique Générale**, Tome: 1, Libraires-Editeurs : J.-B Bailliliere, Méquignon- Marvis, Gabon. 1829.
- 15- Gachkar L., Yadegari D., Rezaen M.B., Taghizadeh M., Astaneh S.A., Rasooli I, **Chemical and Biological characteristics of Cuminum Cyminum and Rosmarinus Officinalis essential oils**, Food Chemistry, Vol :102. 2007.
- 16- H. Osswald., J. Schnermann, **Methylxanthines and the kidney**, Handb Exp Pharmacol, no. 200, 2011.
- 17- Hasegawa JH., Kurumboor & Nair SC, **Saffron chemoprevention in biology and medicine: areview**, Cancer Biotherapy, 1995, 10(4), PMID.
- 18- Haslam DW, James WP. **Obesity**, Lancet, 2005.
- 19- Henri Rouvière, Guillaume Valette, **Physiologie du système lymphatique : Formation de la Lymphe, Circulation normale et pathologique**, Masson et CIE, 1937.
- 20- J. L. Schlienger, B. Goichot, and F. Grunenberger, **Iode et fonction thyroïdienne**, La Revue de Médecine Interne, vol. 18, no. 9, 1997.
- 21- Jillian De Gezelle, **Plants and People**, Society for Economic Botany Newsletter, volume 25 Spring 2011.
- 22- Larousse, **Encyclopédie des Plantes Médicinales: Identifications, Préparations, Soins**, traduction LAROUSSE, 2001.
- 23- Lucienne Strivay, **Le médicament, la fourrure et le bâti : Le Castor et ses modes d'existence** Culture, le magazine culturel en ligne de l'Université de Liège: [Http://culture.ulg.ac.be/jcms/prod\\_388696/fr](http://culture.ulg.ac.be/jcms/prod_388696/fr).

- 24- M.Karam., Shahab-uddin., Afzel Ahmed., M.Saif, **Curcuma Longa and Curcumin**, a Review Article, 2010.
- 25- Mazars guy, **Les aliments dans la thérapeutique Ayurvédique**, deuxième colloque international : Médicaments et aliments : Approche ethno-pharmacologique, Université Louis Pasteur, Editions ORSTOM, Paris, 1996.
- 26- Mehmet Musa Özcan., Jean Claude Chalchat, Chemical composition of carrot seeds (*Daucus carota*) cultivated in Turkey: characterization of the seed oil and essential oil, *Grasas Y Aceites*, 58 (4), Octubre-Diciembre, 2007.
- 27- OMS, World Health Organisation- **Obesity, preventary and managing the global epidemic**, Geneva, 3-5, June, 1997. WHO/NUT/NCD/ 98.1
- 28- Papathanasopoulos and M. Camilleri, Dietary fiber supplements: effects in obesity and metabolic syndrome and relationship to gastrointestinal functions, *Gastroenterology*, vol. 138, n° 1, 2010.
- 29- Pellegrin P., **Le savoir Grec**, Flammarion, 1996
- 30- Précis de Phytothérapie, **Les plantes : Indications, Descriptions et Propriétés thérapeutiques**», Editions Alpen, 2<sup>ème</sup> semestre 2010.
- 31- S. Bérubé-Parent, C. Pelletier, J. Doré, and A. Tremblay, Effects of encapsulated green tea and Guarana extracts containing a mixture of epigallocatechin-3-gallate and caffeine on 24 h energy expenditure and fat oxidation in men, *Br. J. Nutr.*, vol. 94, no. 3, 2005.
- 32- Soni Himesh., Patel Sita Sharan., Mishrak, Qualitative and Quantitative profile of Curcumin from methanolic extract of *Curcuma Longa*, *IRJP.2* (4), 2011.
- 33- Sophie Lacoste, **D'ici et d'ailleurs, les plantes qui guérissent**, Editions Reperes- Santé, 2004.
- 34- Syed Sufiyan Fazal, Rajeev K Singla, **Review on the Pharmacognostical & Pharmacological Characterization of *Apium Graveolens* Linn**, *Indo Global Journal of Pharmaceutical Sciences*, Ed., Indo Global Journal Of Pharmaceutical Sciences. 2012.
- 35- Specht, C. D. & D. W. Stevenson. A new phylogeny-based generic classification of Costaceae (Zingiberales). (*Taxon*), 2006.
- 36- Thierry Janssen, *La solution intérieure : Vers une nouvelle médecine du corps et de l'esprit*, Edts : Fayard, 1 févr. 2006.
- 37- Tzakou O, Couladis M, Pavlovic M, Soković M. Composition and antifungal activity of the oil from aerial parts and rhizomes of *Valeriana Dioscoridis* from Greece. *J Essent Oil Res.* 2004.

- 38- V.Hammiche, M.Azzouz, **Les Rues : Ethnobotanique, Phytopharmacologie et Toxicité**, Phytothérapie, Février 2013, Volume11, issue 1, Springer.
- 39- van Mierlo LA, Greyling A, Zock PL, Kok FJ, Geleijnse JM. **Suboptimal potassium intake and potential impact on population blood pressure**, Arch Intern Med. 2010.
- 40- Vijaya Anand., Varalakshmi., Prasana., Sampath Kumar., Pushpa., and Agaath Hedina **Cinnamomum zeylanicum Linn. The spice with multi potential**. Systematic Reviews in Pharmacy, 2016.

## المدن الجديدة والهوية الاجتماعية: (بوسعادة مثالا)

### New cities and social identity (Boussadah is an example)

ط.د. هناء كشيدة/ جامعة 09 أفريل تونس

S.D. Hana Kchida/ Univ 9 April Tunisia

141

#### ملخص :

تبنت الحكومة الجزائرية فكرة إنشاء مدن جديدة كحل سياسي نتيجة لما تشهده المدن من أزمات خانقة على مستوى السكن والخدمات المختلفة، أين عمدت إلى إدراج مشاريع ضخمة تضع ضمن أولوياتها توفير السكن بتطبيق مخططات مستوردة تخص مجتمعات أخرى ما يجعل معرفة مدى ملاءمتها للمجتمع الجزائري أمرا يستحق كل الاهتمام...، يأتي هذا الموضوع كمحاولة للكشف عن واقع الحياة الاجتماعية وسط التجمعات الحضرية الجديدة خاصة في المناطق الصحراوية والتي يعرف أهلها بالمحافظة والتمسك بالعادات والتقاليد.

الكلمات المفتاحية: المدن الجديدة، الهوية الاجتماعية، الهوية الثقافية، البعد الاجتماعي والثقافي.

#### Résumé:

Le gouvernement algérien a adopté l'idée de créer de nouvelles villes comme une solution politique à la suite d'une grave crise de logement dans les villes et le manque de divers services, ce sujet est une tentative de révéler la réalité de la vie sociale au sein de nouvelles communautés urbaines, en particulier dans les zones désertiques, dont les habitants sont connus par leurs adhésions et leurs attachements aux

coutumes et traditions.

**Mots-clés:** nouvelles villes, identité sociale, identité culturelle, dimension sociale et culturelle.

تمهيد:

إن الاهتمام بالحديث عن المدينة كان محاولة قديمة قدم الحضارات الإنسانية. فقد ارتبطت البدايات الأولى للدراسة العلمية لها بنشأة علم الاجتماع وتطوره، حتى أن ظهور فرع متخصص لمعالجتها له موضوعه ومنهجه ومداخله النظرية بعد محاولة حديثة نسبياً خضعت للتطورات النظرية والمنهجية التي مر بها علم الاجتماع.

أخذ هذا الموضوع القدر الكافي من الدراسة والتطور، أين ظهرت العديد من النظريات التي تهتم بالعمران والمدينة على نطاق واسع، وتبعاً لهذا التطور كان الاهتمام الأكبر لفكرة إنشاء المدن الجديدة المعاصرة والتي تعتبر شكلاً من أشكال التوسع العمراني وكوسيلة اعتمدت في مختلف بلدان العالم المتطورة لحل مشكلاتها العمرانية، مرتكزة على إمكاناتها المادية وخبراتها التكنولوجية التي لها الدور الكامل في استحداث مثل هذه التجمعات الحضرية الراقية في جميع النواحي سواء من حيث السكن أو باقي التجهيزات الضرورية وحتى الكمالية في إطار شبكة حضرية متكاملة ومتزنة ومتناسقة.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

إن ما أحدثته الثورة الصناعية. من تطور في شتى المجالات بما فيها العمراني والمعماري، هذا الأخير الذي زاد من الاهتمام بإنشاء مدن جديدة والسعي إلى تطويرها وهذا ما شهدته مختلف الدول المتطورة.

وكمحاولة لعدد من الدول السائرة في طريق النمو لمواكبة التطور الحاصل في العالم في مجال السكن والإسكان، فقدت العديد من مدنها الهوية الاجتماعية والثقافية والعمرانية تحت ظل الحداثة وفي ظل السياسة التي تهدف إلى توفير أكبر عدد من المساكن فقط لا غير، لاحتواء الطلب المتزايد على السكن واعتباراً لما تشهده المدن من أزمة خانقة في السكن.

إن التطور الحاصل يتعارض من حيث المبدأ مع بقاء الخصوصيات الاجتماعية والثقافية، فأسلوب الإنتاج المعاصر يتناقض مع الأشكال التراثية التي تميز منطقة عن أخرى رغم الاختلاف الهائل بين المجتمعات من حيث الهوية الاجتماعية والثقافية. فالوصول إلى مجال عمراني يتلاءم مع الخصوصيات الاجتماعية والثقافية المحلية يعتبر من أهم ما يجب أخذه بعين الاعتبار ومن أكبر التحديات في سبيل تحقيق تنمية مستدامة.

الجزائر وكغيرها من الدول تواجه اليوم العديد من المشكلات على مستوى المدن، فكان إنشاء مدن جديدة أحد الخيارات السياسية الذي فرضته الظروف العمرانية الغير متوازنة هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأجل توفير أكبر عدد من الوحدات السكنية لتحقيق التكافؤ بين العرض والطلب على السكن. وتطبيقاً لهذه السياسة أنشأت العديد من المدن أو بالأحرى التجمعات الحضرية الجديدة، أخذنا مدينة بوسعادة وهي إحدى الدوائر التابعة لولاية المسيلة كعينة للدراسة والتي شهدت توسعاً لمجالها العمراني، حيث سندسعى إلى الكشف عن واقع الحياة الاجتماعية وسط التجمعات الحضرية الجديدة في المدينة، والتساؤل المطروح:

\* ما مدى اعتبار مخططات المدن الجديدة لطبيعة وخصوصيات المجتمع الجزائري؟

\* ما مدى اعتبار مخططات التعمير لخصوصيات المجتمع في مدينة بوسعادة؟

\* ما مدى اعتبار المخططات لخصوصيات العائلة الثقافية والاجتماعية من حيث الحجم؟

## أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى الربط بين المخططات العمرانية والهوية الاجتماعية والثقافية بإشراك المجتمع المحلي والشركاء الاجتماعيين في إعداد المخططات باعتبار الخصوصيات الاجتماعية، ويمكن حصر الأهداف فيما يلي:

\* معرفة الجوانب الاجتماعية التي تتضمنها مخططات التعمير وتقييمها من وجهة التخطيط العمراني.

\* الكشف عن المشكلات التي تواجه المستفيدين والمستعملين للمساكن.

## الفرضيات:

\* الأنماط العمرانية الحديثة لم يراعى في مخططاتها الهوية الثقافية والاجتماعية لسكان منطقة بوسعادة.

\* عدم إشراك المجتمع المحلي في المشاريع العمرانية أدى بهم إلى إحداث تغييرات على مساكنهم بما يلائمهم.

## منهجية البحث (المناهج والأدوات):

اعتمدنا في هذا البحث على عدد من الأدوات وهي كالآتي:

1-الملاحظة: استخدام هذه الوسيلة (الملاحظة البسيطة المنظمة) لمختلف المظاهر والأنسجة العمرانية لمعاينتها ووصفها وتحليل الحقائق والمعلومات.

2-الاستمارة الاستبائية: بعد تحديد العي الذي هو قيد الدراسة قمنا بتصميم استمارة تضم عددا من الأسئلة وفقا للأهداف والتساؤلات.

3-المقابلة: اعتمدنا هذه الوسيلة من أجل الحصول على معلومات أكثر دقة.

## أولا: المدينة:

\*تعريف المدينة: تتميز المدينة في مظهرها العمراني المؤلف عن الفرية سواء من ناحية شكلها الخارجي أو وظائفها أو نموها. والمدينة city ودولة المدينة citystate كلمتان مترادفتان.

من العلماء من تصور المدينة امتدادا للقرية على اعتبار أن هناك تدرجا مستمرا بين ما هو ريفي وما هو حضري ومنهم من عرف المدينة في ضوء عدد السكان، باعتبار أن هناك حد أدنى للحجم السكاني الذي تعرف المدينة على أساسه فقد اتفقت الهيئات الدولية على أن أي مكان يعيش فيه 20.000 نسمة فأكثر يعتبر مدينة حيث تبين تزايد كبير بالنسبة لسكان المدن في العالم سواء في البلاد المصنعة أو غير المصنعة.<sup>1</sup>

## \* مفهوم المدينة:

هي عبارة عن تصميمات مبنية على تشكيلات رياضية وهندسية وفلسفية وإيديولوجية ورمزية وهي تعبر عن تطور الفن العمراني الذي حاول على مر العصور إبراز الجماليات التي تجذب الناس، والمهابة التي تعبر عن السلطة وقوة الحكام.

<sup>1</sup>- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مشكلات المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، مؤسسة شباب الجامعة، ص 05.

أما عند العرب فيرى ابن خلدون أن "المدن والأمصاير ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير، وهي موضوعة للعموم لا للخصوص ففتحنا لاجتماع الأيدي وكثرة التعاون فلا بد من تنصير واختطاط المدن من الدولة"<sup>1</sup>.

#### ثانياً: مفهوم المدن الجديدة

هي إنشاء مدينة متكاملة يتعدى عدد سكانها 50.000 نسمة، وتتعدد فيها الوظائف (الوظيفة السكنية، العمل...) بحيث يمكن تقليص الحاجة إلى التردد على المركز القديم، فالمدن الجديدة من حيث المنطق هي إبداع مميز بمتطلبات تقنية وثقافية خاصة كما أن شكلها النهائي لم يكن ثمرة تطور عبر الزمن، وإنما تم تصورهما كمشروع متكامل وفق رسم تم إعداده مسبقاً.<sup>2</sup>

#### ثالثاً: مفهوم الهوية الاجتماعية

هي تلك الصورة أو ذلك الشكل الذي تكونه مجموعة معينة عن نفسها وأنها تنشأ من الداخل من الأفراد باتجاه الخارج تداولها داخل المجموعة وهي أساس مسألة المعرفة وهي وعي الأفراد باتجاه الخارج تحت عبارة هذه الهوية أي تتبع في واقع الأمر من الأفراد أو بمعنى التوحد أو الإدراك الذاتي المشترك بين جماعة من الناس ونظرية الهوية الاجتماعية تتميز بوجود روابط قوية.<sup>3</sup>

#### رابعاً: مفهوم البعد الاجتماعي والثقافي

##### أ- البعد الاجتماعي:

يقول "سروكن" أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الثقافة الاجتماعية وقد دعاه هذا لأن يقول: "إن الحقيقة الاجتماعية ذات أبعاد ثلاثة متداخلة (المجتمع، الثقافة الشخصية، السلوك الفردي)" فالمقصود بالبعد الاجتماعي هو دراسة التأثيرات والعلاقات الإنسانية المتبادلة الناتجة عن كون الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش إلا في جماعة فهو يقضي معظم وقته مرتبط بهم وعلى علاقة معهم وطابع الإنسانية فيه يعود إلى المشاركة في المجتمع ومساهمته في تيار الحركة الاجتماعية بكل مقوماتها الثقافية من عادات وتقاليد ودين، التي يكتسبها من المجتمع.<sup>4</sup>

##### ب- البعد الثقافي:

هو صياغة النظام الاجتماعي والاحتفاظ بوجوده استناداً إلى الاعتراف بالخبرات السابقة وتراث الماضي الذي يزودنا بأنماط السلوك ونماذج الفعل الإنساني. فأسندت الحياة الاجتماعية إلى ثقافتين:

-ثقافة مادية من جهة نسق التكنولوجيا والاقتصاديات.

-ثقافة لا مادية كالقيم والمعتقدات والأخلاق.<sup>5</sup>

<sup>1</sup>-خلف الله بوجمعة، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 67.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص 122.

<sup>3</sup>-أحمد زايد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، ط 1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006، ص 26.

<sup>4</sup>-سيد حسيني، دراسة في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ص 81.

<sup>5</sup>-المرجع نفسه، ص 93.

## خامسا: علاقة التخطيط بالمجتمع

هناك علاقة بين المستعملين بمدنيتهم وقدرتهم على فهمها خارج عن الاهتمامات الوظيفية للتخطيط العمراني. كذلك فإن الاهتمام بالمعنى وعلاقة المكونات والسلوكيات أوسع من الاهتمامات الجمالية والشكلية للعمارة كـ مجال يركز اهتمامه على المبنى ومكوناته المادية. فالمدينة لا يمكن رؤيتها على أنها مجموعة من المباني والمنشآت المتجاورة حيث أن الكل أكثر من مجرد مجموع الأجزاء وبالتالي لا يمكن الاكتفاء بمجال العمارة لتنسيق العمران وربط مكوناته، بناء على ذلك فإن الاهتمام بالمعنى وعلاقة المكونات المادية للعمران وسلوكيات المستعملين بالإضافة إلى إضفاء المعنى على العمران وتكوين شخصيته والتأثير على علاقة المستعملين بمدنيتهم يجب أن يقع في مجال اهتمام يتوسط مجال العمارة المادي الجمالي ومجال التخطيط المادي الوظيفي.

هذا المجال المعرفي لا يعبر عن علم واحد ولكنه مجموعة من الاهتمامات المتداخلة التي لا تغفل الوظيفة لصالح الجماليات وتخترق سلوكيات المستعملين ورؤيتهم لعمران مدنيتهم دون إغفال الدور المحوري للمهنيين في تحديد مستقبل العمران.<sup>1</sup>

## سادسا: المدن الجديدة في الجزائر

يعتقد البعض من أصحاب القرار أن المدن الجديدة في الجزائر أن المدن الجديدة هي الحل الأمثل لمعالجة إشكالية سرعة التحضر التي تعيشها بلدان المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا من أجل التحكم وتنظيم الاستيطان البشري الحضري الذي سيكون الخاصية الرئيسية لبلدان المغرب العربي خلال القرن المقبل، إلا أن الفكرة في حد ذاتها تحتاج إلى استثمارات ضخمة لإنجاز مثل هذه المشاريع الطموحة، لأن المدن الجديدة بالمفهوم العمراني المعاصر لا تقتصر على إنشاء مرافق للبشر فقط بقدر ما يشترط في مخططاتها العمرانية أن توفر جميع الهياكل الأساسية والتجهيزات التجارية والاجتماعية والثقافية والإدارية الضرورية، وإلا مثل هذه المشاريع تعقد النظام الحضري أكثر وستظل هذه الكويكبات العمرانية الجديدة (المبرمجة) تعتمد كلياً على المدن الرئيسية المجاورة في مختلف التجهيزات الحضرية ومناصب الشغل.<sup>2</sup>

تبنت السلطات استراتيجية المدن الجديدة لمواجهة التحضر السريع في الجزائر، خاصة عبر الشريط الساحلي والتل، أين وصل التشعب الحضري أقصاه في المدن الكبرى والمتوسطة الحجم، وما نتج عنه من انعكاسات خطيرة على الوسط الطبيعي، وبالأخص تراجع مساحة الأراضي الفلاحية بسبب التوسع العمراني<sup>3</sup>

عموما لقد ظهرت الفكرة في السبعينات واندثرت في الرفوف ثم عاد الحديث عنها في التسعينات، إلا أن سنوات الجمر أو كما تسمى العشرية السوداء التي عانت منها البلاد انعكست أيضا على قانون التعمير بسنوات قحط حالت دون تبلور فكرة المدن الجديدة على أرض الواقع كمشاريع ذات منفعة وطنية بل تم تبنيها في البداية بطريقة جد محتشمة على المستوى المحلي وظل هذا الفراغ القانوني إلى غاية سنة 2002 أين جاء القانون 08/02 المتعلق بشروط إنشاء المدن الجديدة وتميئتها<sup>4</sup> القانون أعطى صورة واضحة لفكرة إنشاء المدن الجديدة خاصة ما تعلق بالشروط والتسيير، وفي سنة 2004 بدأت هذه السياسة تتجسد على أرض الواقع.

<sup>1</sup>- أحمد محمد صلاح الدين عوف، مقدمة في التصميم العمراني، مطبعة الزهراء، ص 04.

<sup>2</sup>- بشير التجاني، التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 74.

الجريدة الرسمية. العدد 14.43 مايو 2002. ص 05.<sup>3</sup>

4 القانون رقم 08/02، المؤرخ في 08/05/2002. المتعلق بشروط إنشاء المدن الجديدة وتميئتها، الجريدة الرسمية، العدد 34، سنة 2002.

فبعد استرجاع الجزائر أمنها واستقرارها النسبي وتعاقي اقتصادها، بدأ التفكير في حلول جذرية لتلك الظواهر التي جعلت المدن تعاني من الاختناق وما تبعها من مشاكل النقل والسكن والمرافق العمومية، فكانت المدن الجديدة الحل الأمثل للقضاء على تلك الظواهر.

#### سابعاً: السياسات العمرانية في الجزائر ومراحلها:

إن السياسة العمرانية في الجزائر كان لها دور مهم في التنمية الوطنية. كما أنها عرفت تطوراً محسوساً من حيث مخططاتها ومختلف برامجها بين فترة وأخرى.

ولا شك أن للتنظيم المجالي أهميته وضرورته نتيجة المتغيرات العديدة في التركيبة الاجتماعية والزيادة الضخمة في عدد السكان وفي الخدمات الحضارية المتطورة كما ونوعاً، ولابد من تدخل المشرع بالقانون خاص بالعمران. وهو ما حدث فعلاً في أغلب دول العالم، ولم يتأخر المشرع الجزائري في ذلك أيضاً وقد مرت الجزائر في هذا المجال بعدة مراحل وهي:

#### أ- مرحلة ما قبل الاستقلال:

طبقت في هذه الفترة سياسة عمرانية تهدف إلى استنزاف الثروات الوطنية وتشويه التاريخ والثقافة الجزائرية، حيث لم تراعى الأنماط العمرانية والمعمارية التاريخية، بالإضافة إلى إهمال الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين من تقاليد وقيم، وهو ما يلاحظ بشكل واضح في الانقطاع الموجود بين الأنماط الأوروبية المنشورة.<sup>1</sup>

كان العمل جارياً بأحكام المرسوم 1922/01/05 المتعلق بتهيئة وتحسين المدن في الجزائر وأعقبه مرسوم 1937/07/25 المتعلق بمشاريع العمران الجهوية الذي نصه في المادة 21 على أن أحكامه تطبق في الجزائر.<sup>2</sup>

#### ب- مرحلة ما بعد الاستقلال:

جدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال مباشرة أمام مجال عمراني واقتصادي موروث، تسوده الفوضى والعقارية وقلة المرافق وإهمال الأحياء من طرف الجزائريين وبين الخطوات الأولى التي انتهجتها الجزائر إنشاء ما يسمى بالمخطط العمراني المبدئي للبلديات التي يزيد عدد سكانها عن 10 آلاف نسمة، ولم تأخذ بالاعتبار في الفترة الاستعمارية وفي سنة 1965 تزايد الاهتمام بهذا المجال، وذلك بإنشاء وزارة الأشغال العمومية والبناء للاهتمام بهذا الجانب حيث قامت بإنشاء مكتب الدراسات للأشغال العمومية والهندسة العمرانية سنة 1968. ثم تليه مكاتب وهيئات أخرى تسهر على تطوير وتنظيم العمران في الجزائر، حيث أوكلت لها مهمة إنجاز مخططات توجيهية حضرية لكل المدن الجزائرية، نذكر من بينها (CADATO) ومكتب (comedor) وهو مكتب وطني أولت له مهمة إنشاء المخطط العمراني التوجيهي لمدينة الجزائر العاصمة (1970-1976)، وقد اعتمد على بعض الأفكار والدراسات الخارجية أين حاولوا تطبيقها على الجزائر من بينها مناطق التعمير الأولية والمناطق الحضرية السكنية الجديدة ونظراً للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حدثت في الجزائر انتهجت سياسة التخطيط الحضري 1990 والتوجه العقاري في نفس السنة، وتم تطبيقه عن طريق المراسيم التنفيذية التالية:

-المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (PDAV) "المرسوم التنفيذي 91-176".

<sup>1</sup>- محمد زعتر وآخرون، مخطط شغل الأرض ما بين النظري والواقع لمدينة المسيلة، مذكرة مكملة لنيل شهادة مهندس دولة، جامعة المسيلة، جوان 2002.

<sup>2</sup>- عزيزي الزين، قارات العمران الفردية وطرق الطعن فيها، دار الهدى، الجزائر، 2000، ص 17.

-مخطط شغل الأراضي (POS) "المرسوم التنفيذي 91-178".<sup>1</sup>

ثامنا: مدى تجاوب العمارات الجديدة مع ثقافة الأسر الجزائرية

إن تفاقم أزمة السكن والإسكان بعد الاستقلال في المدن أدى بالمسؤولين عن قطاع الإسكان إلى زرع هذا النمط من العمارات في جميع أنحاء المدينة بطريقة عشوائية وبدون دراسة مسبقة لحاجات الأسرة الجزائرية، من الناحية الثقافية والاجتماعية والديموغرافية، ولا من حيث المواصلات ووجود الماء بالأمكان المختارة. الحاجة الماسة إلى ملجأ يأوي إليه الإنسان تدفعه عندما يتحصل على مسكن أن يقبل أي نمط من المسكن وبدون أي شروط.

المسكن بنية اجتماعية ثقافية بالدرجة الأولى قبل أن يكون مجموعة من الجدران والأرضيات وأسقف ونوافذ وأبواب ولهذا فمعظم السكنات الحالية التي أنجزت بالمدن لا تستجيب إلى المكونات الثقافية للأسرة والعائلة الجزائرية، هذه الصناديق الصماء المستوردة تنجز في الدول الأوروبية للأسر الثورية والأحزاب، لأن فكرة العائلة الممتدة تتجه نحو الانقراض وهي علة العموم مساكن عادية تستجيب لمتطلباتهم الشخصية للانفراد والنوم والراحة وللحلاج الجسدي، للدراسة الفردية، واستقبال الأصدقاء بينما في الجزائر فلا زالت العائلة من الصنف الممتد ويصل عدد أفراد العائلات إلى عشرين...<sup>2</sup>

مدى تجاوب التقسيم المساحي الداخلي مع حجم الأسر الجزائرية:

يرجع صغر وضيق البناءات الجديدة بالدرجة الأولى إلى خزينة الدولة، باتت غير قادرة على تمويل المشاريع الضخمة التي تحتوي على العمارات العالية والفخمة ذات الغرف الواسعة، فالقواعد المستعملة في مختلف برامج البناء في مدن قائمة على التوزيع التالي: خصصت من 55% إلى 65% من المشاريع إلى العمارات ذات مساكن تتضمن خمس غرف والباقي وزع بالتساوي ما بين اثنين وأربع غرف وقد حدد مؤتمر فانكوفر-كندا-سنة 1996 المعايير العالمية لاستعمال الغرف من قبل الأفراد وذلك كما يلي:<sup>3</sup>

المعايير	نسبة الأفراد في استعمال الغرفة الواحدة
كثافة السكن ضعيفة	من 0.1 إلى 0.7
عادية	من 1 إلى 1.1
اكتظاظ مقبول	من 1.9 إلى 2
اكتظاظ	من 2.3 إلى 3.3
اكتظاظ غير مقبول	من 3.4 إلى 15

المصدر: المؤتمر العالمي للسكن والإسكان كندا 1996.

<sup>1</sup>- محمد زعتر وآخرون، مرجع سابق، ص 20.

<sup>2</sup>- عبد الحميد دليبي، الواقع والظواهر الحضرية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ص 127.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 128.

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الأشغال في الغرفة الواحدة في المدن تجاوز معيار ثلاث أفراد ويترجم حالة الاحتقان والمسكنة التي تعيشها العائلات بالأحياء الجديدة وقياسا على ما سبق 90% من 135 ألف مسكن جماعي في المدن يعرف الاكتظاظ نتيجة أزمة السكن الحادة.<sup>1</sup>

الدراسة الميدانية:

1/التعريف بمنطقة الدراسة:

أ-الموقع الإداري:

تقع مدينة بوسعادة (دائرة) في الناحية الجنوبية من إقليم ولاية المسيلة والتي تبعد عنها بـ 65 كلم. تغطي مساحتها 255 كلم<sup>2</sup> بتعداد سكاني يقدر بـ 107862 بما يعادل 330 ساكن/كلم<sup>2</sup>.

يحدها من:

\*الشمال: بلدية أولاد سيدي إبراهيم.

\*الشمال الشرقي: بلدية المعاريف.

\*الشرق: بلدية الحوامد.

\*الغرب: بلدية التامسة.

\*الجنوب الشرقي والجنوب الغربي: كل من بلدية ولتام وبلدية الهامل.

ب-الموقع الجغرافي:

تقع بلدية بوسعادة في الجنوب الشرقي للبلاد على بعد 248 كلم من عاصمة الجزائر وإلى الجنوب من عاصمة شرق البلاد قسنطينة على 320 كلم.

2/تقديم مجال البحث:

يقع حي أول نوفمبر على طرف المدينة الجديدة بوسعادة من الجهة الشمالية تحده أرض شاغرة قابلة للتعمير ومن الجنوب خط كهربائي متوسط الشدة+الطريق الوطني رقم 08 ومن الشرق شعبة+أرض شاغرة قابلة للتعمير ومن الغرب حي 110 مسكن وهي سكنات فردية، ويحتوي الحي على 250 مسكن جماعي.

1-2 الشكل العام للنسيج العمراني للحي:

إن الملاحظ للحي يرى أنه يتوفر على نسيج عمراني متماسك وذو تركيبة عمرانية تتسم بالتلاصق وهو عبارة عن عمارات تتكون من 5 طوابق تغلغلها طرق ملتوية ومتكسرة وضيقة وغير نافذة في بعض الأحيان، وتعتمد في تشكيلها على مخططات مستخدمة عبر الوطن.

<sup>1</sup>- عبد الحميد دليهي. الواقع والظواهر الحضرية، مرجع سابق، ص 128.

1-2-1 المنافذ: يحتوي الجي على عدد من المنافذ هناك منفذ رئيسي يشق الجي إلى قسمين ومنافذ أخرى قليلة تفصل بين عدد من العمارات.

2-1-2 المساحات: يحتوي الجي على مساحة أساسية تلعب دورا في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

3-1-2 التجهيزات: يوجد بالجي مجموعة من التجهيزات لكنها قليلة يتردد عليها سكان الجي وسكان الأحياء المجاورة، وذلك نظرا لأن الجي يقع في مدخل المدينة، كما يوجد بعض الدكاكين ومسجد. الجي يفتقر للمساحات الخضراء. كما توجد هناك ثانوية ومتوسطة ومدرسة لكن هذه الأخيرة بعيدة بالنسبة للأطفال، كما يوجد مركز صحي لكنه قليل التجهيزات ولا يقدم خدماته ليلا ما يستدعي بالضرورة التنقل إلى مستشفى المدينة القديمة.

### 3-العينة:

إن دراستنا هذه "المدن الجديدة والهوية الاجتماعية" تسعى إلى معرفة الجوانب الاجتماعية التي تتضمنها مخططات التعمير وكذا معرفة المشكلات التي تواجه المستفيدين والمستعملين للمساكن، ونظرا لصعوبة إحضار جميع الأفراد يستدعي ذلك اختيار عينة من هذا المجتمع لتسهيل البحث باعتبار أن العينة هي دراسة مجموعة مختارة من الناس من بين كل الأفراد أي اختيار جزء من الكل وهو يعبر عن الكل.

ومن هذا المنطلق قمنا باستخدام العينة العشوائية التي تعتبر أساس هذه الدراسة فاعتمدنا الطريقة التالية:

مجتمع البحث يتكون أساسا من 250 مسكن، أين اخترنا نسبة 16% من مجموع المساكن موزعة على 50 عمارة. فكان عدد أفراد العينة 40 مفردة.

4-الاستمارة: هي من أحد أدوات جمع البيانات وهي مفيدة وفعالة في جميع البحوث الاجتماعية لجمع أكبر عدد من المعلومات.<sup>1</sup> هذا الموضوع -المدن الجديدة والهوية الاجتماعية- قمنا بإعداد استمارة بحث تضم عددا من الأسئلة مقسمة إلى محاور وتشمل 19 سؤالا:

1/المحور الأول: ويتضمن البيانات الشخصية وتشمل (03 أسئلة).

2/المحور الثاني: وهي بيانات متعلقة باستعمال المسكن وتتضمن (04 أسئلة) حول المدخل الرئيسي للمسكن، الرحبة في المسكن، دار الضيافة.

3/المحور الثالث: وهي بيانات متعلقة بشكل ونوع البناء وتتضمن (03 أسئلة) حول المساحات الخارجية، المرافق العمومية (ساحات لعب الأطفال، ساحات الالتقاء)، الممرات داخل الجي.

4/المحور الرابع: وهي بيانات متعلقة بشكل ونوع البناء وتتضمن (07 أسئلة) حول شكل ونوع البناء، وإذا كانت هناك معاناة داخل المسكن (الضيق، طريقة التخطيط وغير ذلك، إجراء تعديلات على المسكن التهوية داخل الجي، اقتراح مسكن آخر، مواد البناء المستعملة في بناء المسكن، التهوية داخل الجي، الراحة داخل المسكن صيفا، الراحة داخل المسكن شتاء). مع العلم أن الأسئلة كانت نوعان مغلقة ومفتوحة.

<sup>1</sup>- بن سعيد سعاد، علاقات الجيرة في السكنات الحضرية الجديدة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، 2007، ص 143.

## 5- عرض نتائج الدراسة:

## 1- استخلاص النتائج حسب الأهداف والفرضيات:

إن هدفنا من الدراسة هو معرفة الجوانب الاجتماعية التي تتضمنها مخططات التعمير لإنشاء مدن جديدة، وخصائص المنطقة الحضرية الجديدة، وكذا معرفة المشكلات التي تواجه المستفيدين والمستعملين للمساكن. وضعنا فرضيات حاولنا التحقق من صحتها حسب النتائج التالية:

## 1-1 النتائج المتعلقة بالمبحوثين:

\* وجود نسبة 14.17% من مجتمع البحث من خريجي المدارس القرآنية يدل على انتشار الوازع الديني ما يستدعي وجود حرمة وخصوصية لهذه المساكن.

\* غالبية السكان لم يقوموا بإحداث تغييرات على المسكن، يعني أنهم راضون على هذه المساكن ولكنهم من ذوي الدخل المحدود، فهناك نسبة 35% من السكان ليس لهم راتب شهري يسمح لهم بتوفير احتياجاتهم اليومية.

## 1-2 النتائج المتعلقة بالمسكن واستعمالاته:

\* جل سكان الحي أقروا بأن هذه المساكن لا تحافظ على الحرمة بالنسبة لمدخل المسكن لتقابله مع المسكن المجاور وهذا ما يدعم صحة الفرضية السابقة الذكر بأن المستفيدين يواجهون مشكلات وهذا راجع إلى سوء تقدير المخططات لخصوصيات المجتمع ولم تأخذ بعين الاعتبار هذا الجانب.

\* وجدنا أن نسبة 74.28% من أفراد العينة يعانون من ضيق المسكن. يرجع ذلك لعدم مراعاة حجم العائلات. فالمساكن ذات غرفة أو غرفتين غير كافية.

\* نسبة 62.69% يقرون بنقص المرافق العمومية، ساحات الالتقاء ساحات لعب الأطفال... وهذا ما يؤكد فرضية: يجب معرفة الجوانب الاجتماعية التي تتضمنها مخططات التعمير.

\* نسبة 88.53% من سكان الحي غير راضين عن شكل ونوع البناء فهم يفضلون السكن في حي عتيق يحمل بعض مواصفات الحي الجديد.

## 6/ التوصيات والاقتراحات:

## 1-6 التوصيات:

\* تحديد المستويات بدقة نعني المدينة (المخططون والمهندسون) ومسيريها (الهيئات السياسية والإدارية والمالية المعنية)  
\* خلق ورشات متعددة الاختصاصات على مستوى فرق البحث الجامعي تضم المختصين في ميدان التخطيط والعمارة والتقنيين (مكاتب الدراسات) والاختصاصات الإنسانية.  
\* تقديم الخطط العمرانية التي تتطور على أساسها المدينة بتدراك التغييرات التي يمكن أن تطرأ من حين لآخر حيث يبقى التقويم أداة هامة للقائمين على المشاريع العمرانية بتعميق فعاليتها وتحسين تفاعلها مع الفرد.  
\* تنشيط الجمعيات المختصة لتمارس وظيفتها المراقبة الموجهة لتقييم التعليمات العمرانية التي تهدف للمحافظة على المجال الحضري والبيئة العمرانية مع إعطائها الصلاحيات الواسعة التي تدخل في إطار السياسة العامة وتطويرها (تدعيمها بقوة القانون لدى المصالح الأمنية والإدارية)

\*تعميق وتأهيل الانتماء بالمستعمل ومجاله العمراني عن طريق:

أ- المحافظة على الاستمرارية التاريخية للنسيج العمراني بخلق إطار معيشي يسمح للسكان بإيجاد توازنه وموضعه في المجال والإحساس بالأمن إزاء التحويلات التي يشهدها المجتمع باعتبارها المحيط الفيزيائي والاجتماعي المكونان لشخصيتها.

ب- تأكيد البعد الاجتماعي في تخطيط المناطق السكنية بالمقاييس التي تساعد على خلق الترابط الاجتماعي الناتج عن الحياة الجماعية، وتتوج بسهولة التعرف بين شركاء المجال.

ج- ضرورة التنوع في المجال الخارجي حتى يسهل التعرف عنها وتمييزها عن المجاورة لها لكسر الملل وفتح مجال للرؤية.

د- ضمان الاستمرارية في النسيج العمراني ويتم ذلك بمخططات عمرانية تستند على أدوات التعمير.

هـ- اقتراح شراكة بين القطاعين العمومي والخاص لإنجاز مشترك في ميدان التنمية الحضرية.

## 2/ الاقتراحات:

أ- أخذ تطلعات السكان في مختلف التدخلات حيث أن السكان وحدهم على دراية بما ينقصهم وما يتناسب مع احتياجاتهم.

ب- إنشاء مدن جديدة باعتماد التجارب الأجنبية والمزاوجة بينها وبين العادات والتقاليد والخلفيات الثقافية للسكان لتجنب الوقوع في المشاكل التي تعترض السكان.

ج- إنشاء المرافق الضرورية كالمستشفى والمسجد والمؤسسات التعليمية والإدارية مجاورة للأحياء السكنية الجديدة.

## قائمة المراجع:

1. أحمد زايد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006.
2. أحمد محمد صلاح الدين عوف، مقدمة في التصميم العمراني، مطبعة الزهراء، دون تاريخ.
3. بشير التجاني، التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
4. بن سعيد سعاد، علاقات الجيرة في السكنات الحضرية الجديدة، مذكرة مكملة لني لشهادة الماجستير، 2007.
5. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مشكلات المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، مؤسسة شباب الجامعة، دون تاريخ.
6. خلف الله بوجمعة، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005.
7. سيد حسيني، دراسة في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.
8. عبد الحميد دليبي، الواقع والظواهر الحضرية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، دون تاريخ.
9. عزيزي الزين، قارات العمران الفردية وطرق الطعن فيها، دار الهدى، الجزائر، 2000.
10. محمد زعتر وآخرون، مخطط شغل الأرض ما بين النظري والواقع لمدينة المسيلة، مذكرة مكملة لنيل شهادة مهندس دولة، جامعة المسيلة، جوان 2002.
11. الجريدة الرسمية، العدد 14.43 مايو 2002.



## Corporate Governance Impact on Insurance Firm's Performance (The Case of Palestine)

### حوكمة الشركات وتأثيرها على الأداء المالي - قطاع التأمين الفلسطيني

Yaser Shaheen • Nasser Jaradat / Palestine Ahliya University

ياسر شاهين - ناصر جرادات، جامعة فلسطين الأهلية

#### ملخص:

حاولت هذه الورقة العلمية دراسة تأثير حوكمة الشركات على أداء شركة التأمين في فلسطين. تم قياس الحوكمة باستخدام حجم مجلس إدارة الشركة وتكرار اجتماعات المجلس ولجان مجلس الإدارة وحالة الرئيس التنفيذي وهيكل الملكية. تتم استخدام العائد على الأصول (ROA) والعائد على حقوق الملكية (ROE) لقياس أداء قطاع التأمين.

تم استخدام التقنيات الكمية، الإحصاء الوصفي، الارتباط الثنائي بين المتغيرات، تم الحصول على البيانات الثانوية من التقارير السنوية المنشورة لشركات التأمين خلال الفترة 2007 - 2018. كما تم استخدام ارتباط بيرسون واختبار t لمعرفة ما إذا كانت هناك علاقة بين متغير حوكمة الشركات والأداء المالي لها.

أشارت النتائج إلى أن تواتر اجتماعات مجلس الإدارة، وكان لحالة المدير التنفيذي تأثير كبير على أداء الشركة، وأن الشركات التي تعقد اجتماعات مجلس الإدارة بشكل متكرر أكثر من غيرها تميل إلى تحقيق أداء مالي أفضل من حيث (ROA) و (ROE)، كما أن الشركات التي يكون فيها الرؤساء التنفيذيون أيضًا أعضاء مجلس الإدارة (ازدواجية الرئيس التنفيذي) يولدون أداء مالي أعلى من الشركات التي يكون فيها الرؤساء التنفيذيون مستقلون عن المجلس. أما حجم المجلس، ولجان المجلس. وهيكل الملكية فليس لها تأثير كبير على أداء شركات التأمين في فلسطين. أوصى الباحثان بتحسين ممارسات حوكمة الشركات من خلال فرض الالتزام بمدونة حوكمة الشركات، وإجراء مزيد من الدراسات التي تأخذ في الاعتبار القطاعات والمتغيرات الأخرى التي لم تؤخذ في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: حوكمة الشركات، الأداء المالي، شركات التأمين، فلسطين.

**Abstract:**

This study try is to examine the impact of Corporate Governance on Insurance Firm's performance in Palestine. CGwas measured using board size, board meeting frequency, board committees, CEO status, and ownership structure. While return on assets (ROA) and return on equity (ROE) are used to measure the insurance sector performance.

A quantitative technique, descriptive statistics, bivariate correlation where used, secondary data was obtained from the published annual reports of insurance firm's during the period 2007 - 2018. Pearson correlation and t-test are used to find whether there is a relationship between the CG variables and performance.

Results indicated that board meeting frequency and CEO status have a significant impact on firm's performance, firm's that hold board meetings more frequently than others tend to achieve better performance in terms of both (ROA) and (ROE), firms in which the CEOs are also board members (CEO duality) generate higher performance than firms in which CEOs are independent from the board. Board size, board committees. Ownership structure has no significant impact on insurance firm's performance in Palestine.

The researchers recommends: improving CG practices by imposing mandatory compliance with the code of CG, conducting further studies that take into consideration other sectors and variables that are not taken in this study.

**Keywords:** Corporate governance, financial performance, insurance sector in Palestine.

**1-1 Introduction:** Corporate governance has recently received considerable attention from local, regional, and global companies and institutions all over the world. According to the Organization for Economic Cooperation and Development (OECD), corporate governance is defined as "the system by which business corporations are directed and controlled. The corporate governance structure specifies the distribution of rights and responsibilities among different participants in the corporation, such as, the board, managers, shareholders and other stakeholders, and spells out the rules and procedures for making decisions on corporate affairs. (Muller, 2014)<sup>1</sup>. By doing this, it also provides the structure through which the company's objectives are set and the means of attaining those objectives and monitoring performance" (OECD, 2004)<sup>2</sup>. (Oman. C& Blum, D. (2005)<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup>) Muller, 2014.(

<sup>2</sup>) OECD, 2004.(

<sup>3</sup>) Oman. C& Blum, D. (2005

Therefore, good corporate governance practices are critical to the proper functioning of the economy in general and the insurance sector in particular. Specifically, good corporate governance maintains investors' confidence, lowers the cost of capital, minimizes wastages, corruption, risks and mismanagement, enhances share price and, as a result, ensures corporate success and growth. (Sultan K, 2018)<sup>1</sup>.

Financial performance of insurance sector which includes eight listed companies is importance to stakeholders and shareholders, since it is a main source of hedging business. Therefore, analyzing the factors that impact financial performance of insurance sector is importance. This study aims to empirically examine the impact of applying corporate governance practices on the performance of insurance sector in Palestine.

### 1-2 Problem Statement

The impact of applying corporate governance practices on insurance companies' performance and all sectors in Palestinian reign has recently been an important topic. Thus, the main idea of this study is to examine the impact of applying corporate governance practices on the insurance firm's performance in Palestine, the study conducted to answer the following question:

1. Does **board size, board meeting frequency, board committees, CEO status, and ownership structure** affect insurance firm's performance in Palestine measured by return on assets (ROA) and return on equity (ROE)?

### 1-3 Importance of Study

1. Corporate governance characteristics that might affect performance of insurance firms are of great importance to stakeholders and shareholders; the study provides evidence of whether corporate governance and insurance performance in Palestine are related.

2. Corporate financial scandals all over the world have given an increasing attention to corporate governance issues since effective corporate governance practices tend to reduce risks and financial crisis in all sectors.

**1-4 Objectives of Study:** Examine the impact of corporate governance practices (board size, board meeting frequency, board committees, CEO status, ownership structure) on insurance firms performance in Palestine measured by (ROA) and (ROE).

### 1-5 Hypotheses of Study

1. There is a relationship between board size and insurance firms performance measured by (ROA) and (ROE).

2. There is a relationship between board meeting frequency and insurance firms performance measured by (ROA) and (ROE).

<sup>1</sup>).Sultan K, 2018.(

3. There is a relationship between board committees and insurance firms performance measured by (ROA) and (ROE).
4. Insurance firm's performance in terms of (ROA) and (ROE) differs according to CEO status.
5. There is a relationship between ownership structure and insurance firms performance measured by (ROA) and (ROE).

### 1 – 6 Theoretical framework:

The number of insurance companies licensed by the CMA reached 10 companies at the end of 2018; it operates in various types of insurance. The insurance sector in Palestine achieved growth during the year 2018 compared to its predecessor, which reached about 9.4 %. The total insurance portfolio reached \$ 279.4 million in 2018. The insurance sector is witnessing a steady development in terms of the prevalence of insurance services and products in Palestine, where the penetration rate of insurance at the end of 2018 (total insurance portfolio attributed to the gross domestic product at current prices) 1.9%, and the insurance density which indicates Per capita share of total The end of 2018 insurance portfolio is US \$ 58.5. Despite the recent insurance sector in Palestine, its performance has reached the level of the performance of the insurance sectors in the Arab countries. The average age of this sector and the legal environment is only 5.1% for Arab countries. In Palestine, this percentage is still low and does not exceed 33.0% as it was shown that the growth rate of premiums for Palestinian insurance exceeds 14% in the average for the years 2013 and 2014 compared to 2008, while only one Arab country has reached this ratio. (PCMA, reports 2018).<sup>1</sup>

### Concept of Corporate Governance

Corporate governance involves a set of relationships between a company's management, its board, its shareholders and other stakeholders. Corporate governance also provides the structure through which the objectives of the company are set, and the means of attaining those objectives and monitoring performance are determined (OECD, 2015)<sup>2</sup>.

Corporate governance refers to how organization is run, that is, how the resources of an organization are employed in pursuance of the goals of the organization (Chienjien, 2010)<sup>3</sup>. Corporate governance includes corporate discipline, transparency, independence, accountability, fairness, social responsibility, timely and

<sup>1</sup>(PCMA, reports 2018).

<sup>2</sup>(OECD, 2015)

<sup>3</sup>(Chienjien, 2010).

accurate disclosure of all material matters relating to the company including the financial performance, ownership and governance arrangements (Hassan, 2010)<sup>1</sup>.

Good corporate governance regulates the relationship between stakeholders, their boards' members and management team. It is also defined as a "process through which shareholders induce management to act in their interests, providing a degree of investor confidence that is necessary for the capital markets to function effectively" (Guo. Z & Kumara.U, 2012)<sup>2</sup>.

### **Palestine Code of Corporate Governance Principles**

The code of corporate governance in Palestine is divided into six aspects: (1) general assembly meetings, (2) equitable shareholders rights, (3) board of directors and executive management, (4) auditing, (5) disclosure and transparency, and (6) other stakeholders. The most important principles under each of these aspects are briefly outlined below (Palestine Code of Corporate Governance Principles, 2009)<sup>3</sup>.

### **Application of Corporate Governance in Palestine**

The application of corporate governance principles in Palestine is briefly discussed. This discussion depends on the Baseline Assessment of Corporate Governance in Listed Companies which was issued by the (Palestine Governance Institute in 2012)<sup>4</sup>.

General Assembly Meetings, Board of Directors, Auditing, Disclosure and Transparency.

### **Corporate Governance and Corporate Performance**

(Najjar , 2012)<sup>5</sup> in his study " The Impact of Corporate Governance on the Insurance Firm's Performance in Bahrain " find that there is no statistically significant impact of corporate governance expressed by CEO status, ownership concentration, the number of employees, industry performance, and number of shares traded on firm's performance in the insurance industry expressed by the dependent variable - return on equity (ROE). On the other hand board size, firm size, number of block-holders found to have statistically significant impact on firm's performance in the insurance industry expressed by the dependent variable - return on equity (ROE). This result, confirms the importance of good governance structure on the firm and the whole economy in the long run. The researcher suggests that every insurance firm should properly define corporate governance and

<sup>1</sup>(Hassan, 2010).

<sup>2</sup>(Guo.Z & Kumara.U, 2012).

<sup>3</sup> (Palestine Code of Corporate Governance Principles, 2009)

<sup>4</sup>Palestine Governance Institute in 2012(

<sup>5</sup> (Najjar , 2012)

its mechanisms and implement them effectively in order to reach the firm's long-term goals, build stakeholders' confidence and generate positive investment flows.

Almanaseer (2013)<sup>1</sup> conducted a study to assess the effect of implementing corporate governance on the performance of public shareholding service companies in Jordan. The researched utilized the survey formulate by the Jordan Securities Commission in order to measure the extent to which companies are implementing corporate governance rules. The survey contains four groups of rules. These rules are the board rules, general assembly meeting rules, shareholder equity rules, and disclosure and transparency rules.

The performance of public shareholding companies is measured using financial ratios such as (ROA), (ROE), earnings per share (EPS), market to book value (M/B) and price to earnings ratio (P/E). The study found no statistical significant impact of implementing corporate governance rules on any of the financial ratios.

Gardachew W. Fekadu (2015)<sup>2</sup> examines the impact of corporate governance on the performance of closely regulated Ethiopian insurance Industry. The study research design with an econometric panel data of 10 Insurance companies that covers the period 2007 to 2014. Board size, board independence and board diversity have negative and insignificant effect on the performance of insurance companies while size and independence of audit committee and frequency of board meetings have positive but insignificant effect on the performance of insurance companies in Ethiopia. Thus it could be concluded that all corporate governance mechanisms have insignificant effect on the performance of insurance companies measured by return on asset.

NibeditaDatta, (2018)<sup>3</sup> in his study " Impact of Corporate Governance on Financial Performance: A Study on DSE listed Insurance Companies in Bangladesh" find corporate governance involves promoting the compliance of law in letter & spirit and demonstrating ethical conduct. This study is conducted to examine the impact of corporate governance on the performance of insurance companies. The respective study is conducted to apprehend the relationship between corporate governance mechanisms (board size, board composition, board meetings and board audit committee) and performance of the insurance company. This study finds that the corporate governance has an impact on the performance of the insurance sector in Bangladesh. The independent variables of corporate governance (board size, board composition, board meetings and board audit committee) determine 38.20 percent of the performance (ROE) variance. Using Pearson correlation, results provide evidence of a positive relationship between board sizes and ROE as well as board meetings. Results further reveals that a negative relationship between ROE and board composition. However, the study could not provide any association between performances of the insurance (ROE) and board audit committee.

---

<sup>1</sup>Almanaseer (2013)

<sup>2</sup>Gardachew W. Fekadu (2015)

<sup>3</sup>NibeditaDatta, (2018)

## 1 – 7 Methodology

**Population and Sample:** Population of the study consists all Palestinian insurance firms that are licensed by the Palestine Monetary Authority (PMA). The sample of the study consists of the nine Palestinian insurance firms that are listed and traded on the Palestine Exchange (PEX). The sample covers the period from 2007 to 2018. The firms are:

159

Al-Masshriq Insurance Company, Palestine Insurance, Al-Wataniya Insurance, Trust. Insurance, Alahliya Insurance, Al-Takaful Islamic Insurance, Al-Alamiya Union Insurance, Tamkeen Islamic Insurance, and American life insurance.

**Measurement of Variables:** Performance which usually measured by return on assets (ROA) and return on equity (ROE). (Akome, E & Penlil, B & Alhassan, M (2018)<sup>1</sup>.

**Table 4.1:** *Dependent Variables and Their Measurement*

Variable	Measurement
Return on assets (ROA)	After-tax net income ÷ Average total assets.
Return on equity (ROE)	After-tax net income ÷ Average total equity.
<i>Source:</i> Researcher's Construction	

Corporate governance application could be measured using proxies:

**Board Size:** is the total of board members of a company.

**Board Meeting Frequency:** is the total number of board meetings per year.

**Board Committees:** The total number of committees in the board.

**Ownership Structure:** is measured by the total number of shareholders in the company.

<sup>1</sup>(Akome, E & Penlil, B & Alhassan, M (2018).

**Table 4.2:** Independent Variables and Their Measurement

Variable	Measurement
Board size (BS)	The total number of members in the board.
Board meeting frequency (BMF)	The total number of board meetings during the year.
Board committees (BC)	The total number of committees in the board.
CEO status (CEO)	0 if CEO is independent from the board. 1 if CEO is also board member.
Ownership structure (OS)	The total number of shareholders in the company.

Source: (Rezaee, 2009)<sup>1</sup>.

**Statistical Tests:** Two statistical tests are used in data analysis. These tests are bivariate correlation and independent samples t-test. Each of these tests is briefly discussed below.

**Bivariate Correlation:** Bivariate correlation is a measure of the linear association between two variables that are measured on a continuous scale. Correlation is usually measured by Pearson's Correlation Coefficient. This correlation coefficient is a number that ranges between the two values of -1 and +1

**Null Hypothesis:**  $H_0: \mu_1 = \mu_2$

**Alternative Hypothesis:**

$$H_1: \mu_1 \neq \mu_2$$

$\mu_1$  stands for the mean for the first group and  $\mu_2$  stands for the mean for the second group.

### Descriptive Analysis

Descriptive analysis of dependent as well as independent variables is briefly discussed as follows. Return on assets (ROA) and return on equity (ROE) are used as proxies to measure the company performance.

<sup>1</sup>(Rezaee, 2009).

**Table 5.1:** Descriptive Statistics for insurance companies Performance Variables

Variable	Minimum	Maximum	Std. Deviation	Mean
Return on assets (ROA)	-3.26	2.45	0.97	0.82
Return on equity (ROE)	-13.60	22.82	6.93	6.08

As indicated in Table (5.1), the mean value of return on assets (ROA) is 0.81% whereas the mean value of return on equity (ROE) is 6.06%.

On the other hand, five variables are used as proxies to measure corporate governance. These variables are: board size, board meeting frequency, board committees, CEO status, and ownership structure.

**Table 5.2:** Descriptive Statistics for Corporate Governance Variables

Variable	Minimum	Maximum	Std. Deviation	Mean
Board size (BS)	6	13	1.44	10.12
Board meeting frequency (BMF)	3	10	1.35	6.40
Board committees (BC)	3	7	0.98	4.06
Ownership structure (OS)	178	16,54	4,628.50	3,243.60

Table (5.2) shows that the average board size is 10 members and ranges from a minimum of 6 members to a maximum of 13 members. Moreover, the average frequency of board meetings in a year is nearly 6 times and ranges between a minimum of 3 times and a maximum of 10 times. The average number of board committees is 4 and ranges from a minimum of 3 and a maximum of 7. Finally, the average number of shareholders is 3,24 and ranges from a minimum of 178 shareholders and a maximum of 16,50 shareholders.

### 1-8 Testing Hypotheses

**Hypothesis 1:** *There is a relationship between board size and insurance companies performance in Palestine.*

Table (5.3) shows that the correlation between board size and insurance companies performance as measured by return on assets (ROA) is 0.221. This coefficient is not high nor statistically significant at the 0.05 level. Thus, the hypothesis that there is a relationship between board size and performance in Palestine is rejected.

**Table 5.3:** Bivariate Correlation between Board Size and companies Performance (ROA)

		Performance	Board Size
Performance	Pearson Correlation	1	0.221
	Sig. (2-tailed)		0.109
	N	54	54
Board Size	Pearson Correlation	0.221	1
	Sig. (2-tailed)	0.109	
	N	54	54

Following the same procedure, Table (5.4) shows the results of the bivariate correlation between board size and insurance companies performance as measured by (ROE).

**Table 5.4:** Bivariate Correlation between Board Size and companies Performance (ROE)

		Performance	Board Size
Performance	Pearson Correlation	1	0.247
	Sig. (2-tailed)		0.071
	N	54	54
Board Size	Pearson Correlation	0.247	1
	Sig. (2-tailed)	0.071	
	N	54	54

The correlation between board size and companies performance as measured by (ROA) is 0.247. This correlation coefficient is not numerically high. In addition, the correlation coefficient is not statistically significant at the 0.05 level. Therefore, the hypothesis that there is a relationship between board size and performance in is rejected.

**Hypothesis 2:** *There is a relationship between board meeting frequency and insurance companies performance in Palestine.*

Table (5.5) shows that the correlation coefficient between board meeting frequency and bank performance as measured by (ROA) is 0.491. This coefficient is positive and statistically significant at the 0.01 level. Thus, the hypothesis that there is a relationship between board meeting frequency and performance as measured by (ROA) is accepted.

**Table 5.5:** *Bivariate Correlation between Board Meeting Frequency and insurance companies Performance (ROA)*

		Performance	Board Meeting Frequency
Performance	Pearson Correlation	1	0.490*
	Sig. (2-tailed)		0.000
	N	54	54
Board Meeting Frequency	Pearson Correlation	0.490*	1
	Sig. (2-tailed)	0.000	
	N	54	54

\*Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed)

Board meeting frequency is found to have a positive effect on bank performance.

Table (5.6) is the SPSS output of the bivariate correlation between board meeting frequency and performance as measured by return on equity (ROE).

**Table 5.6:** Bivariate Correlation between Board Meeting Frequency and insurance companies Performance (ROE)

		Performance	Board Meeting Frequency
Performance	Pearson Correlation	1	0.628*
	Sig. (2-tailed)		0.000
	N	54	54
Board Meeting Frequency	Pearson Correlation	0.628*	1
	Sig. (2-tailed)	0.000	
	N	54	54

\*Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

Table (5.6) shows that the correlation coefficient between board meeting frequency and performance in terms of (ROE) equals 0.627. This coefficient is statistically significant at the 0.01 level. The positive sign of the correlation coefficient indicates that board meeting frequency and performance are positively correlated. To conclude, the frequency of board meetings in the insurance companies is considered to be an important way of improving the effectiveness of the board and thus improving the performance.

**Hypothesis 3:** *There is a relationship between board committees and insurance companies performance in Palestine.*

**Table 5.7:** Bivariate Correlation between Board Committees and insurance companies Performance (ROA)

		Performance	Board Committees
Performance	Pearson Correlation	1	0.096
	Sig. (2-tailed)		0.480
	N	54	54
Board Committees	Pearson Correlation	0.096	1
	Sig. (2-tailed)	0.480	
	N	54	54

Table (5.7) shows that the correlation coefficient between board committees and performance as measured by (ROA) is less than 0.10. This coefficient is very low and not statistically significant. Thus, the hypothesis that there is a relationship between board committees and performance as measured by (ROA) is rejected. The

bivariate correlation between board committees and bank performance in terms of return on equity is shown in Table (5.8).

**Table 5.8:** Bivariate Correlation between Board Committees and Bank Performance (ROE)

		Performance	Board Committees
Performance	Pearson Correlation	1	0.216
	Sig. (2-tailed)		0.114
	N	54	54
Board Committees	Pearson Correlation	0.216	1
	Sig. (2-tailed)	0.114	
	N	54	54

Table (5.8) shows that the correlation coefficient between board committees and insurance companies performance in terms of return on equity (ROE) equals 0.218. This coefficient is not statistically significant at the 0.05 level. Thus, the hypothesis that there is a relationship between board committees and performance as measured by return on equity (ROE) is rejected.

**Hypothesis 4:** companies performance in Palestine differs according to CEO status.

**Table 5.9:** Group Statistics for the Independent Samples T-Test (ROA)

	CEO Status	N	Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean
ROA	Independent CEO	46	0.6026	0.90174	0.13296
	Board member CEO	8	2.0125	0.25778	0.09112

Table (5.9) indicates that the mean of (ROA) have independent CEOs is approximately 0.60%. On the other hand, insurance companies in which the CEO is also a board member have a mean value of (ROA) equal to 2.01%. These figures indicate that insurance companies that have CEOs who are also board members achieve higher performance than other companies in terms of (ROA).

To test the above results formally, we look at the significance column under the t-test for equality of means in Table (5.10). The difference in the means of 0.60 and 2.01 for independent CEOs and board member CEOs is significant at the 0.01 level.

The hypothesis that insurance companies performance in Palestine differs according to CEO status is accepted. Specifically, banks that have independent CEOs tend to have performance worse than other insurance companies in terms of (ROA).

**Table 5.10:** Independent Samples T-Test (ROA)

		Levene's Test for Equality of Variances		T-Test for Equality of Means		
		F	Sig.	t	df	Sig.
ROA	Equal variances assumed	2.333	0.132	-4.360	52	0.000
	Equal variances not assumed			-8.747	40.185	0.000

Using (ROE). The results of the t-test are shown in Tables (5.11) and (5.12).

**Table 5.11:** Group Statistics for the Independent Samples T-Test (ROE)

	CEO Status	N	Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean
ROE	Independent CEO	46	3.9933	5.08367	0.74955
	Board member CEO	8	17.9313	2.46052	0.86992

As indicated in Table (5.11), the mean of (ROE) for insurance companies that have independent CEOs is 3.9%. On the other hand, companies in which the CEO is also a board member have a mean value of (ROE) equal to 17.9%. Obviously, the figures indicate that banks that have CEOs who are also board members achieve higher performance than other insurance companies in terms of (ROE).

**Table 5.12:** Independent Samples T-Test (ROE)

		Levene's Test for Equality of Variances		T-Test for Equality of Means		
		F	Sig.	t	df	Sig.
ROE	Equal variances assumed	2.205	0.144	-7.557	52	0.000
	Equal variances not assumed			-12.138	19.573	0.000

The t-test for equality of means in Table (5.12) indicates that the difference in the means of 3.9 and 17.9 is statistically significant at the 0.01 level, the hypothesis that insurance companies performance differs according to CEO status is accepted, companies in which CEOs are also board members tend to have better performance in terms of (ROE).

**Hypothesis 5:** *There is a relationship between ownership structure and insurance companies performance in Palestine.*

**Table 5.13:** Bivariate Correlation between Ownership Structure and insurance companies Performance (ROA)

		Performance	Ownership Structure
Performance	Pearson Correlation	1	-0.182
	Sig. (2-tailed)		0.187
	N	54	54
Ownership Structure	Pearson Correlation	-0.182	1
	Sig. (2-tailed)	0.187	
	N	54	54

Table (5.14) shows the outcome of the bivariate correlation between ownership structure and bank performance in Palestine in terms of (ROE). As indicated in Table (5.14), the correlation coefficient between

ownership structure and insurance companies performance as measured by (ROE) is not statistically significant at the 0.05 level. Therefore, we reject the hypothesis that ownership structure and performance are related.

**Table 5.14:** Bivariate Correlation between Ownership Structure and insurance companies Performance (ROE)

		Performance	Ownership Structure
Performance	Pearson Correlation	1	-0.109
	Sig. (2-tailed)		0.430
	N	54	54
Ownership Structure	Pearson Correlation	-0.109	1
	Sig. (2-tailed)	0.430	
	N	54	54

## Conclusions

1. Board size has no significant impact on the performance of insurance companies in Palestine in terms of (ROA) and (ROE), suggest that certain board membership requirements such as a minimum number of years of experience may be more important than the board size.
2. There is a significant statistical relationship between board meeting frequency and insurance companies performance in terms of both (ROA) and (ROE). This means that boards that meet more frequently tend to generate higher performance. This conclusion is in accordance with the fact that board meetings are considered to be the channels through which board members fulfill their monitoring role.
3. There is no significant relationship between the number of board committees and insurance companies performance in terms of (ROA) and (ROE). This may be attributed to the committee members' lack of expertise in helping the board in the governance of the insurance companies.
4. Insurance companies performance differs, in general, according to CEO status. The results indicate that companies that have CEOs who are also board members achieve higher performance in terms of both (ROA) and (ROE) than other companies, due to the fact that CEO duality creates more efficient communication between the board and executive management.

5. There is no significant relationship between ownership structure and insurance companies performance in terms of (ROA) and (ROE), may imply that companies management is not distinguished from ownership and this, creates the agency problem.

### Recommendations

1. Regulators should make the code of corporate governance principles compulsory for all listed companies. In addition, continuous review of the code should be done.
2. Keeping the members of a company board to a minimum size is recommended since that minimum size enables the board to perform its supervision activities properly. Moreover, insurance companies board must be made up of qualified professionals who are familiar with oversight function.
3. Continuous training should be given to board members and senior managers in companies to promote corporate governance practices.
4. Investors are advised to know the corporate governance characteristics of insurance sector in Palestine before investing in any of them.

### References:

1. Akome, E &Penlil, B &Alhassan, M (2018), "**The Impact of Capital Structure Decisions on Firm Performance**": The Case of Listed Non-Financial Institutions in Ghana. International Journal of Academic Research in Accounting, Finance and Management Sciences. Volume 8, Issue 4 , 2018.
2. Corporate Governance Committee (2015), **Guidelines on Corporate Governance in Palestine**.
3. Chienjien, F. (2010), **Corporate Governance in the Nigerian Financial Sector: An Ethical Analysis of the 2009 Intervention and Operators Behavior**.
4. Code of Corporate Governance in Palestine, (2009).
5. Gardachew W. Fekadu (2015), **CORPORATE GOVERNANCE ON FINANCIAL PERFORMANCE OF INSURANCE INDUSTRY**. Corporate Ownership & Control / Volume 13, Issue 1, 2015, Continued - 10
6. Guo Z., & Kumara U. (2012), **Corporate Governance and Firm Performance of Listed Firms in Sri Lanka**, J. Soc. Behav. Sci. 40: 664-667.
7. Hassan, A. (2010), **Corporate Governance and Performance of Deposit Money Banks in Nigeria**, Nigerian Journal of Accounting and Finance.

8. Sultan, Khurram, "Effects of Corporate Governance on Organization's Performance: Evidence from Karachi Stock Exchange (30 Index)". International Journal of Academic Research in Accounting, Finance and Management Sciences. Volume 8, Issue 3 , 2018.
9. Manaseer, Omar, "The Effect of Implementing Corporate Governance Rules on the Performance of Jordanian Public Shareholding Companies" (2013), Master Thesis, Hashemite University, Zarqa, Jordan.
10. Muller, V. (2014), **The Impact of Board Composition on the Financial Performance of FTSE100 Constituents**, 2<sup>nd</sup> World Conference On Business, WCBEM, Procedia, Social and Behavioral Sciences, 109, 969–975.
11. Najjar. Naser, "The Impact of Corporate Governance on the Insurance Firm's Performance in Bahrain". International Journal of learning & development. ISSN 2164-4063. 2012- vol 2 . no. 2.
12. Nebadita, Detta, 2018 . "Impact of Corporate Governance on Financial Performance: A Study on DSE listed Insurance Companies in Bangladesh". Global Journal of Management and Business Research: D Accounting and Auditing Volume 18 Issue 2 Version 1.0 .
13. OMAN, C., & BLUME, D. (2005). " Corporate governance: the development challengee" . Journal USA: PerspectivasEconômicas.
14. Organization for Economic Cooperation and Development "OECD" (2015), **G20/OECD Principles of Corporate Governance**, OECD Report to G20 Finance Ministers and Central Bank Governors, Ankara, Turkey.
15. Palestine Governance Institute (2012), **Corporate Governance in Listed Firms: Baseline Assessment**, Ramallah, Palestine.
16. Rezaee, Z. (2009), **Corporate Governance and Ethics**, John Wiley & Sons, Inc, USA.
17. www. pcma. Ps – **Annual Reports** – 2018 – 2019 .

## The sciences in middle ages

### العلم □ العصور الوسطى

Algeria Mascara University/Dr. Bensoula Noureddine

د.بن سولة نورالدين /جامعة معسكر، الجزائر

#### Abstract:

to specify the time a certain era is to determine the pattern of life of the various aspects of the political, economic, social, scientific, cultural and religious...This pattern is different from the various patterns of life in other times, or in other words, the beginning of an era or the end does not specify a certain year, therefore, the overlap between the historical ages did not allow discrimination including only through turns root causes in the Human walking on the basis of changed political concepts, frameworks and the economic and social relations and rollover intellectual property, these shifts need to centuries of time.

**Keywords:** science / medieval / Science in Europe / science when Muslims and Arabs.

#### ملخص :

إن تحديد فترة زمنية لعصر معين هي تحديد لنمط حياة بمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية و الدينية وما إلى ذلك...وهذا النمط يكون مغاير ومختلف عن أنماط الحياة في عصور أخرى ، أو بمعنى آخر فإن بداية عصر أو نهايته لا تحدد بسنة معينة ،لذلك فإن التداخل بين العصور التاريخية لا يسمح بالتمييز بينها إلا من خلال الانعطافات الجذرية في سير البشرية على أساس تغير الأطر والمفاهيم السياسية وتبدل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والانقلابات الفكرية ، وهذه التحولات تحتاج إلى قرون من الزمن .

الكلمات المفتاحية: العلم / العصور الوسطى / العلم في أوروبا / العلم عند المسلمين والعرب.

## I. Introduction:

For a medieval town which is the subject of this article, it extended between the fourth and fifth centuries AD until the 15th and 16th centuries A.D, because with the beginning of the fourth and fifth centuries AD political, economic and intellectual developments cultural landmarks appeared different from what it was in the preceding time period.

In ancient times, we note the emergence of global tendencies for control between nations, which led to a great empires such as the Persian, Assyrian, Egyptian..and others, however, the Roman Empire was the largest and most powerful empire, was the human constitution and continued until the 15th century A.D. where the fall of Rome fell at the hands of East Timor, which was formed in separate kingdoms of barbarism, the unit was replaced by the many place .<sup>1</sup>

In other words, the transformation of the world of unity under the Roman Empire in ancient times to the multiplicity of the Warring States, among them in the Middle Ages. In economic, social and applied the Roman Empire in ancient times, the method of slavery in production in the sense that slaves were the major production class in the fourth and fifth centuries A.D. the Colón have emerged as tier applied major production (COLÓN were farmers who work the land in return for a share of the production).

Gradually established the foundations of the feudal system, thus applied the SERFS who worked in the feudal property layer is the main producing countries in Europe in the Middle Ages, thus prevailed in the feudal relations in the economy and society in the Middle Ages after the relations of slavery is prevailing in ancient times.

In terms of intellectual property has been characterized ancient pagan worship multiple gods control, as influenced by the ancient creeds in the various cultural manifestations, but in the 4th and 5th century A.D. were deployed in Europe and the new religion is Christianity, which has had a significant impact on various aspects of political life and manifestations of artistic, literary, scientific, and social relations, in the sense that Europe printed christian nature instead of idolatry in ancient times.

. Through this comparison between human life before the fourth and fifth century A.D. and skin life beyond it is clear that there is a difference makes us differentiate between different modes of life, and therefore the possibility of separation between two epochs or different historic costumes.

The same thing for the end of the middle ages, where we find that its features changed from the late 15th century and the beginning of the 16th century CE, from the political standpoint the empire fell, additions in

<sup>1</sup>. نعيم فرح. تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. مطبعة طربين. ص 09-10.

1453 AD by the Turks, and thus still Christian empire and replaced by Islamic Ottoman Empire differs from its predecessor, with their DOGMAS, followed by several events, i.e., the Hundred Years War between France and England, Russia joined the bank to Bologna the year 1466 AD, as Spain was liberated from the Arabs, the year 1492 AD and other events

In terms of economic and social development, the transformation of the economy from an agricultural activity to the total industrial and commercial activities, in addition to agriculture, and began marching toward the capital and international trade-offs and the bourgeois revolution overthrew the feudal serfdom. And increased trade between Europe and the Levant as a result of the openness of the Mediterranean Sea which was chained in Europe by the Arab Muslims in the first era of the Middle Ages, they also discovered the roads leading to the year 1492 AD and India.

In terms of intellectual property has changed, and the usual religious concepts in the middle ages and released the European mentality of control of religion<sup>1</sup>.

In the middle ages use the FIEFS of Christianity and the teachings of the church to deploy intellectual concepts that matched the economic interests and privileges of caste and monopolized the church cultural and fought the scientific concepts and ideas and progressive free contrary to their interests, either in the European Renaissance Movement has replicated the classic culture and art match the glories of Greek monuments gained a liberal tendency science writers and philosophers began attacking the backward ideas born of the feudal relations, they also demanded the dismissal of the political power of the religious, and helped in the dissemination of progressive ideas the advent of printing, as well as a global uproar as a result of the geographical discoveries and the opening of the American continent and to identify the roads leading from the south of the African continent to the east of India, all of these cultural features of the prediction of the birth of a new era.

We aim through this article to identify the most important intellectual and scientific stations in a specific time period and different from previous stages and later, as we aim to identify the extent of the interest in science and to contribute to the intellectual, scientific, and it shows that our means in a specific time period, the stage of the middle ages, but add that we are dealing with science in medieval town in all of the European countries and the Islamic State at that time, we have chosen some scientific stations for each of the European Union and Islamic worlds as models for science and scientific thinking at that stage.

Science in medieval times:

Historians agreed that the science in medieval stage over three stages:

<sup>1</sup>.نعيم فرح.مرجع سابق.ص ص 11-14.

The first stage: the first beginnings of the age of the mediator and extends from the 04 century to the 10th century AD and learn about the dark ages, this phase was characterized by political, military and economic disturbances, where many races struggle for looted the Roman Empire such as :the Goths, Huns, ..., and in the midst of conflict and fighting and the remains of the Roman Empire and the political, social and economic turmoil, the church is growing slowly, meaning that at the time of the state authority to deteriorate the authority of the church is growing and more, these circumstances impact on science.

On the one hand, the European Community was suffering from instability in various political, economic and social levels, and on the other hand, increasing the authority of the church has led to the predominance of Religion, thought and became the people's attention to the AFTERLIFE at the expense of the worldly life, restricted scientific thinking in the eyes of Church authority in the search for logical evidence to support religious belief<sup>1</sup>.

Typically the canon thought prevailing in this fun and can deal with the ideas of St. Augustine, who is considered a landmark in this period.

St. Augustine was born in Thagaste (Souk Ahras in Algeria currently) in 354 AD, and died in 430 AD , Italy.

St. Augustine was a prolific science widely thought, arthuis principles of Christianity and became one of the largest Catholic,split of the christian church to the Church of the Roman Catholic Church and Eastern Orthodox) dedicated his life to resist the doctrines which could impede the progress of the Christian religion.

Augustine has many authors, which established an integrated religious philosophical theory still taught and discussed to this day in the theological and intellectual forums, and attributed to him under the name augustinienne.<sup>2</sup>

Augustine was very spiritual foundations for require two types of worldly knowledge and theology.

The worldly knowledge is composed of two groups:

- a. The Tripartite Group: which include as sanitation oratory and any all arts say the discourse , this group is necessary to read the Bible and the teachings of the church and annotate it.
- B. The Quartet: Account include engineering and astronomy and music, this group is indispensable to rituals and calculation of religious holidays<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>.الشيخ كامل محمد محمد عويضة. أوغسطين فيلالعلمية.ر الوسطى. دار الكتاب العلمية. ص 07.

<sup>2</sup>.www.ahewar.org(مارس 2010).

<sup>3</sup>.فوزي خليل الخطيب. تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور. القاهرة، طبعة 01. 2002. ص 55.

Many of the works of Augustin recall write my confessions about me powered by orgfree (in which he narrates his biography), the book of the city of God (in the Augustin to respond to those who attributed the fall of Rome was ushered to Christianity, the Augustin that the fall of Rome was the result of the lack of religiosity in the AEOLIAN and corruption and obscene material vices), writers of the trinity la Trinité (and studying the Christian conception of the diagnosed God in three persons, Father, Son, and Holy Spirit).

According to Augustin, the absolute real knowledge comes through the sunshine, Sunshine Nour divine mind on the human mind in the sense that Augustin wanted to make the facts of faith in Christianity philosophical facts also was to say: "I believe in order to Prohibition in Marriage.

".Indicated that the approach of Augustin first on WHO SECONDLY faith faith is not intended to ratify all the naive and is intended to avoid the attitude of rejection and intransigence of the building of the Absolute, and self-doubt to believe what the evidence Handout<sup>1</sup>.

Stage II: From the 11th to the 13th centuries A.D., this phase was characterized by a kind of relative stability.

The second century was an era of political and social progress, in which cities grew and commerce was active, and a community emerged, the bourgeois class that sent in people a tendency to personal freedom, and the movement of translation from Arabic and Greek, and this stage also witnessed the emergence of universities such as the Sorbonne and others, which contributed to the advancement of theology and philosophy<sup>2</sup>.

As for the authority of the church, it was living an internal conflict that led to the deterioration of its position and the reduction of its authority despite the reforms carried out by the faithful to the church such as: Pope Gregory VII 1037 - 1058 AD and Pope Leo IX 1014-1054 A.D.

A conflict emerged between the religious and civil authority over the precedence of either one of them and appeared as their supporters, as there are those who were looking at the Pope as the successor and servant of the Lord on the earth, including those who were seeing the Emperor derive his power from the Lord ;He may not be isolated unless he comes out of the Christian religion<sup>3</sup>.

In other words, this phase witnessed the emergence of a scientific movement at the beginning of the 11th century ;However, it soon disappeared due to church reforms .

<sup>1</sup>.الشيخ كامل محمد محمد عويضة، مرجع سابق. ص ص 38- 101.

<sup>2</sup>. فوزي خليل الخطيب. تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور. القاهرة. ص 57.

<sup>3</sup> .(04.02.2010).ww.weltareekh.com .

The most important is the establishment of the Inspection Courts in 1233 A.D. to fight the heresy (heresy is every deviation, even simple, from the Christian doctrines).

People were being taken to the Inquisition, even with suspicion, or even with the tattooing of a neighbor, where the suspect was being interrogated until he confessed to his body and asked for repentance.

The Inquisition continued until the late 17th century, and among those who appeared before it were the Italian philosopher Giordano Bruno 1548-1600 A.D .

He was originally a monks and then moved from theological studies to philosophy, he was sentenced to eight years' imprisonment and then cut his tongue and burned on the charge of blasphemy because of his adherence to the theory of Copernicus Nicolaus Copernicus on Earth's rotation .The famous scholar Galili, who followed the same reason, preferred to retreat and escape the death sentence, also Nicholas Copernicus, characterized his position with great caution since he was not allowed to publish his book until the day of his death ;*The importance of Cornelius's theory lies in the fact that it is based on the reversal of the concept of the historical theory of the Earth's center of the universe, and that it was able to formulate a negation theory, in which the Sun was the center of the universe and the planets revolved around it, including Earth.*

*Through these events we seek freedom from prevailing ideas that were based on non-scientific grounds .Thus, the period between the 14th and 15th centuries A.D. is a period that is set up for a period contrary to the earlier stages of the Middle Ages ,This is The Third Stage in which the signs of modern science in Europe appeared through contact with the Arab and Greek sciences, and this stage was the first roots of the age of enlightenment.<sup>1</sup>*

From the above, we conclude that the contributions of medieval Europe in the field of knowledge and science have not been extreme, and this is due to two main factors: Political upheavals that have spread to social and economic conditions ; These were reflected in their totality on cognitive scientific mode ; The second factor is represented in the church, which represented an obstacle to the progress of science.

On the other hand, in the same time span, we find that the Arabs were living in stable conditions in different fields This is due to the emergence of the Islamic State in 629 what had the most significant effect on the enrichment and promotion of scientific research.

The contributions of Muslims in the scientific field are so many that they cannot be limited to a few pages ; We will therefore look at examples of those contributions and we chose, Medicine, geography, and mathematics as a representation.

فوزي خليل الخطيب .مرجع سابق.ص ص 57-58.<sup>1</sup>

### Medicine in Arabs:

The Arabs knew the medical medicine (the medical doctor's craft) before the appearance of Islam and its development with its appearance .Arabs and Muslims were interested in medicine in addition to their great interest in their language and knowledge of the provisions of their Sharia and their religion .

In accordance with the commandments of the Messenger, God bless him and grant him salvation ,The Prophet Muhammad advised God's prayer and peace be upon him to use honey and Qur'an in the treatment, as he advised to use the black pill for its importance in healing many diseases ; The method of treatment was for the Prophet Muhammad (God's prayer) based on three types: Natural medicines, divine medicines, i.e. the Holy Quran, or both.

In the early days of the Muslim era, the doctors of religion appeared to deny them the plowing of the Ibn Kalda al-Thaqafy, el malik of Abu abjar al-Kanani, abn Anal al al-Nasrani, Abu al-Hakam, hakam el damshki, Jacob Ibn Ishaq el kindi, Abu al-Hasan ibn Thabit ibn kora, and Sinan ibn Thabit ibn kora

Some Moroccan doctors include, for example, Isaac Bin Omran, Isaac Ibn Suliman and others, Among the doctors of Al-Sham, abo Nasr Al-Farabi, Isa Al-Raqi, Kamal Addin Al-Homsi <sup>1</sup> .

It should be pointed out that Muslim Arabs worked in different branches of medicine and surgery and in all matters related to the human body .In addition, they were able to link physical diseases to psychological diseases ; He was also the son of Abu Ala bin Zahr, known as Abu Marawan, carried out a detailed study on cancer in the stomach and the pharynx . The scientists and doctors of the modern age were astonished, and the Arab doctors were able to clean the equipment that was poisoned by the stomach tube ;. It is worth mentioning, that Arab Muslim doctors are the first to know that some diseases are transmitted by infection such as smallpox and cholera , In addition to the plague disease, they were the first to set up the medical examination system and to give a certificate under the supervision of a specialized medical committee.

Women also had a prominent role in the field of medicine, including doctor Zainab and the ophthalmologist And The doctor Rofaida who was famous for the surgery in the time of the Prophet, peace be upon him .In addition to some women Al Zahr who worked in the field of medicine <sup>2</sup> .

The Arab contributions to medicine are summarized in the following points:

- The first person to establish hospitals was known as bimarstans, and the medical services were provided free of charge, and Muslims also initiated clinical examination to diagnose the disease,
- Give away the blood circulation as its discovery returns to Ibn Nafis ,

حسان الحلاق. تاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب. دار النهضة العربية. بيروت. ص 17.

حسان حلاق. مرجع سابق. ص 22.

- Make use of ironing by fire in the treatment of some diseases ,
- The removal of tumors in many parts of the body as well as the extraction or dispersion of stones in the urinary tract,
- the discovery of the lines used in surgery and making her From the intestines of some animals, especially cats ,<sup>1</sup>
- He devised several surgical instruments that were not known in the same way as the wheels used for tooth extraction ,
- Give away the sins of a needle to absorb the eye's water from the tip of Ammar Bin Ali Al Mawsili

### Muslim contributions to geography

Muslims were interested in geography and wrote many writings about it ,They helped them, as they were the most important traders, and they visited various regions east and west , Their interest and geographical knowledge increased because of Islamic conquests in addition to other factors such as pilgrimage, journey to science, and this requires knowing places and regions, In addition to the need for the Islamic state to know the major roads that reach its territories and know its wealth.

For these and other reasons many have developed the love of the journey and the risk of overseas, and Muslims have been able to visit many countries from East to West, including China, India, Europe and others.

Muslim geographers have provided many geographic information about the wonders of the countries they visited, relying mainly on viewing, experimenting and mixing, not on quoting and transportation. Among the Muslim geographers We remember the Chalbe, AlKhawarizmi, el kindi , Ibn al-Fakih, al-Jacobi, al-Gharnati, Ibn Jubayr, Ibn Batuta and others geographers have worked in other sciences .<sup>2</sup>

As a model, we are addressing the contributions of Ibn Jubeir , He is Ibn Jubeir, Abu al-Hasan Muhammad ibn Jubeir el kinani el andalussi 540 AD/614 Hijri , He wrote a book, "Ibn Jubeir's journey as a reminder of the news about the agreements of travel", which he published in English William Wright in 1852, and then reviewed after De Goije .

Jubeir's son recorded his memoirs and watching him on a pilgrimage , He started his journey in 578 Hijri, corresponding to 1183AD, during which he visited Islamic and Christian countries. Among the countries visited are Sicily, Alexandria, Cairo and Jeddah, where they crossed the Red Sea ; then he went to Mecca, Medina, and completed his journey by visiting the Prophet's Mosque, then went to Iraq, Khorasan, Kurdistan, and Sham and arrived in Madaen, the capital of the Persian state before Islam, and many Islamic and Iranian countries.

<sup>1</sup>.www.kids.islamweb.netg(04/02/2010).

<sup>2</sup>.حسان حلاق. مرجع سابق. ص ص 95-97.

The importance of his book is that it contains much of both geographic and historical information, as well as many political and military situations for Muslims and crusaders ; It also includes many traditions and customs of the peoples it visited, and Ibn Jubeir's book is considered as a historical and anthropological encyclopedia for the different countries it visited <sup>1</sup>.

### Mathematics in Muslims:

The 9th and 10th centuries A.D. is considered the intellectual period of mathematics in Muslims' sense of religion, seeking to preserve and adapt it at a time when Europe was experiencing a period of scientific decline. The Muslims translated, added, and transferred Greek mathematics to the European, Islamic and Arab world.

In terms of calculations, the Arabic or foreign numbers that are known today were not used by Egyptians, Babylonians, Greeks and Romans, but the numbers used by Greece and Romans in general are known as "Roman symbols" or "Roman numerals " : I. II. III. IV. V. VI. VII. VIII. IX. X..... ; It is numbers that can be used in the counting process or addition, but it is difficult or impossible to use in the multiplication or even addition of numbers of thousands and millions, especially since Europe has not yet known the zero that solved mathematical problems .

Muslim and Arab mathematicians were able to find two kinds of numbers:

1) Indian numbers : ١, ٢, ٣, ٤, ٥, ٦, ٨, ٧, ٩...

2) Arab numbers : 1,2,3,4,5,6,7,8,9 ...

Indian numbers have spread to the eastern countries, while Arab numbers have spread in the western Arab regions and in Europe <sup>2</sup>, The Arabs have transferred them from India and developed it and put a scientific system for it, and they have changed their transfer to Europe and continued using it till now.

It is worth mentioning that the Arabs, before and under the advent of Islam, used symbolic characters for reasons of mathematics, trade, military, economic and social, and each letter had a special number to indicate :

<sup>1</sup>. حسان حلاق. مرجع سابق. ص 98.

<sup>2</sup>.. حسان حلاق. مرجع سابق. ص ص 58-59.

ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	أ	احاد Units
9	8	7	6	5	4	3	2	1	
ص	ف	ع	س	ن	م	ل	ك	ي	عشرات Dozens
90	80	70	60	50	40	30	20	10	
ظ	ض	ذ	خ	ث	ت	ش	ر	ق	مئات Hundreds
900	800	700	600	500	400	300	200	100	
طغ	حغ	زغ	وغ	هغ	دغ	جغ	بغ	ع	الآف Thousands
9000	8000	7000	6000	5000	4000	3000	2000	1000	
صغ	فغ	عغ	سغ	نغ	مغ	لغ	كغ	يغ	عشرات الآلاف Tens of thousands
90000	80000	70000	60000	50000	40000	30000	20000	10000	
ظغ	ضغ	ذغ	خغ	ثغ	تغ	شغ	رغ	قغ	مئات الآلاف Hundreds of thousands
900000	800000	700000	600000	500000	400000	300000	200000	100000	

Examples include:

$$3000 = 200 + 100 = \text{قر}$$

$$210 = 200 + 8 + 2 = \text{بحر}$$

The Arabs also reported using zero and its development, in the eastern Arab regions it was in the form of a point." "The Arabs of Morocco used zero in the form of a vicious circle "0", and the Arabs realized the zero importance because the five were different from the 50 and different from the 500.

Muslims introduced many advanced theories and methods to the science of algebra , This science was linked to the name of the famous scholar Al-Khwarizmi who invented theories and methods of constraint, especially those related to inheritance science, and he wrote a famous book entitled "The book that is abbreviated in calculating reparation and midwife" ,In addition to the fact that the book was important in the science of algebra, the English scientist Robert Schuster in 1940 translated it from Arabic to Latin, and this book had a prominent impact on Europe's awareness and knowledge of algebra.

The contributions of Al-Khwarizmi have had the profound effect on algebra and mathematics in general, and he explained six types of second-degree equations with their solutions, as he explained the four processes in algebra and addition, subtraction, division, multiplication.

The term is used to refer to a number of different types of objects, such as a trivial, a quadratic pyramid, and a cone, so that the name algebra is given to Muhammad ibn Musa al-Khwarizmi and has been referred to by Europe by the same name as algebre ,The name Al-Khwarizmi became synonymous with the various

mathematical processes in different terms of Algorithm, and it should also be noted that Muslim scholars realized the relationship between algebra and engineering .They used algebra techniques to solve engineering operations and vice versa, and they began to lay the groundwork for analytical engineering .

In addition to al-Khwarizmi, there is a large group of Muslim mathematicians such as : Tabit Ibn Kora , Abou Kamil El Massri , Omar El Khiam , Ibn Elbanaa , El Marakichi , Ibn Hamza El Mareribi And Others <sup>1</sup>.

In the course of his study, it is clear that Islamic Arab civilization contributed greatly to the enrichment of scientific knowledge , The scientific knowledge that was accumulated and stored in the Arab Islamic civilization moved to the West through the great efforts of translation , Modern science is the product of interaction between the civilizations of the West, Muslims, Christians and ancient civilizations.

In this regard, the American Dr. Toby E. Huff: In his book "The Rise of early modern science islam, china and the west" , This book was translated into Arabic.

Says Toby E. Huff : “ Perhaps the most astonishing thing was that the Arab-Islamic civilization had the most advanced science in the world before the 13th and 14th centuries ,

Its achievements in optics, astronomy and medicine have been surpassed “

However, the deterioration of the contributions of Arabs and Muslims after the thirteenth century raised several problems among the researchers regarding the reasons that led to the Muslims' stagnation.

#### Arab References :

- (1) نعيم فرح .تاريخ أوروبا في العصور الوسطى .مطبعة طرين.
- (2) الشيخ كامل محمد محمد عويضة .أوغسطين فيلالعلمية.ر الوسطى .دار الكتاب العلمية.
- (3) فوزي خليل الخطيب .تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور .القاهرة ، طبعة 01 .2002.
- (4) فوزي خليل الخطيب .تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور .القاهرة
- (5) حسان الحلاق .تاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب .دار النهضة العربية .بيروت.

#### Electronique references :

- 6) www.weltareekh.com : 04.02.2010 .
- 7) www.kids.islamweb.netg(04/02/2010.
- 8) www.m-shaltout.com :04.02.2010 .
- 9) .www.ahewar.org :10/03/2010 .

<sup>1</sup>. حسان الحلاق .مرجع سابق .ص ص 61-62.





جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2019